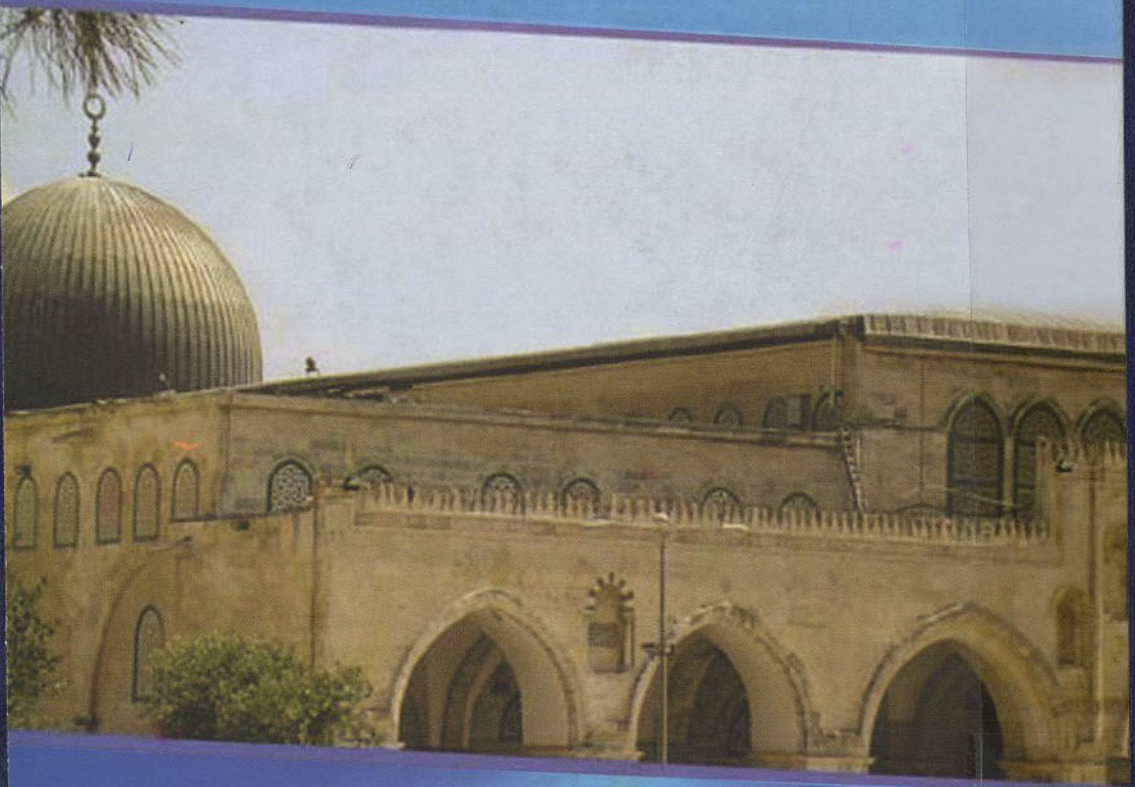




يوم القدس العاشر
استشراق الواقع الثقافي و الحضاري
في مدينة القدس عام 2009



عقد في كلية الآداب

25/2/2009

تحرير:
أ.د. خليل عوده

الهدى
جامعة النجاح
١٤٧
٦ د

١٦٦٢١٦



جامعة النجاح الوطنية

كلية الآداب

مؤتمر القدس العاشر

بعنوان:

تشريف الواقع الثقافي والحضاري في مدينة القدس 2009

عقد في كلية الآداب
يوم الأربعاء 2009/2/25

مكتبة جامعة النجاح الوطنية



NL271092

تحرير
أ.د. خليل عودة

ميم والمونتاج
الهادي جواره
ف: محمد عودة

كلمة أ.د. رامي حمد الله رئيس الجامعة

السادة الحضور

أهلاً بكم جميعاً في مؤتمر يوم القدس العاشر الذي يعقد في رحاب جامعة النجاح الوطنية تزامناً مع احتفالات العالم العربي والإسلامي باختيار القدس عاصمة للثقافة العربية، فلم تعد القدس مجرد حائط للبكاء أو تراث للتغني به، أو التباكي على أطلاله، وإنما هي رمز للقضية والوطن والمقدسات، ولا مجال مع هذا الكم الهائل من الأحقاد التي تلف المدينة، والمؤامرات التي تحاك لبيل مظلم من حولها، وعالم لا يرى الأمور إلا بعين عوراء إلا أن نخاطب العقل والمنطق، ونبدأ مشوار التحدي لنجعل القدس ليس عاصمة للدولة الفلسطينية، أو للثقافة العربية فحسب، وإنما عاصمة لعشاق الحرية ومحبي السلام في العالم كله.

فالقدس كانت وستظل بمساجدها وكنائسها عصية على محاولات الترويض والإذلال، لأن مدينة بحجم القدس ومكانتها الدينية والتاريخية وعمقها العربي والإسلامي لا يمكن أن تذوب أو تتآكل مع احتلال يحاول أن يغير هويتها، ويزرع فيها بيوتاً من الحجر تغطي سورها العظيم الذي بناه آباؤنا وأجدادنا.

إن الحراك الثقافي الذي تصنعه القدس من خلال اختيارها عاصمة للثقافة العربية يجب أن يكون حراكاً مستديماً وليس في عام ثم ينقضي، لأن الثقافة بمعناها الواسع هي عنوان الحضارة والحرية، وهي بوابة لحوار الحضارات الذي يستند على المنطق والعقل، وليس على القوة وفرص سياسية الأمر الواقع.

ويجب أن يكون شعارنا ونحن نحتفل بالقدس ليس فقط ماذا يمكن أن تقدم القدس لنا، لأننا لا ننتظر منها شيئاً وهي مكيلة بالدين، معصوبة العينين، وإنما ماذا نستطيع نحن أن نقدم للقدس، واسمحوا لي بالقول أننا نستطيع أن نفعل الكثير، وأول ما يمكن أن نفعله من أجل القدس هو أن نلتقي جميعاً على قلب رجل واحد، فالقدس تحتاج منا أن نكون كذلك، وأن يلتحق الجميع بالقافلة، لا أن يخرجوا عنها، ولا أعتقد أن القدس سعيدة بما ترى من حال التمزق الذي يعترينا فريق هنا وفريق هناك. ثم ما حصل في غزة هاشم بسبب هذا الانقسام يدمي القلب ويحزن العين، والسبب في ذلك كله، هو أننا لا نلتقي على هدف واحد ولا على كلمة سواء.

واليوم ونحن نحتفل بالقدس عاصمة للثقافة العربية، وفي مؤتمر القدس العاشر، نجدد الدعوة للعقول والقلوب التي تصنع الثقافة، وتصنع الإنسان، أن الأوان لنجتمع ولا نفترق، فالقدس وفلسطين أكبر من مصالحنا الشخصية أو انتماءاتنا الحزبية والفئوية.

مرة أخرى باسمي واسم جامعة النجاح، أرحب بكم في هذا المؤتمر الذي أصبح معلماً من معالم جامعة النجاح يعقد في كل عام، ونأمل أن يستمر عقد هذا المؤتمر في كل المؤسسات التعليمية والثقافية والاجتماعية والسياسية، من أجل أن تظل القدس حاضرة في فكر ووجدان كل واحد منا.

والشكر لأصحاب البحوث العلمية الذين يشاركون في هذا المؤتمر، وإلى اللجنة التحضيرية التي أعدت لعقده، وللمشاركين والضيوف.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



جامعة نابلس

بأمانة

الآراء الواردة في الكتاب تعبر عن وجهة نظر أصحابها،
وتم الاعتماد على أصحاب المقالات في تدقيقها واعتمادها

٩٥٦,٩٤٤

مؤت

كلمة أ.د. خليل عوده عميد كلية الآداب رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر

تواصل كلية الآداب في جامعة النجاح الوطنية عقد مؤتمرات يوم القدس ، وقد اختارت هذا العام مؤتمراً بعنوان :

“ استشراف الواقع الثقافي والحضاري في مدينة القدس 2009 ”

ويأتي عقد المؤتمر استمراراً لمؤتمر يوم القدس الذي ينعقد في كل عام، ويشارك فيه عدد كبير من الباحثين الفلسطينيين والعرب من مختلف الجامعات الفلسطينية والعربية، ويصادف عقد المؤتمر في هذا العام، تزامنه من الاحتفالات التي تقام بمناسبة اختيار القدس عاصمة للثقافة العربية ، وهو تأكيد آخر على أهمية القدس التي أصبحت في مركز الاهتمام الفلسطيني والعربي والإسلامي.

ويتناول المؤتمر موضوعاً على قدر كبير من الأهمية وهو استشراف الواقع الذي يمكن أن تؤول إليه مدينة القدس في عام اختيارها عاصمة للثقافة العربية. وقد تعددت موضوعات الأبحاث التي قدمت لهذا المؤتمر.

وجاءت أوراق العمل التي وزعت على جلستين على النحو التالي:-

في الجلسة الأولى، ورقة عمل بعنوان: « عرض مقترح نحو مكتبة رقمية لتراث القدس » تقدم من الباحث المغربي من جامعة تطوان الأستاذ الدكتور أحمد السعدي، ويتناول فيها مقترحاً عملياً لإنشاء مكتبة رقمية تحافظ على تراث القدس وتمنع من تزويره أو تزيفه، لتكون شاهداً ودليلاً على أصالة التراث العربي والإسلامي في مدينة القدس.

وقدمت ورقة عمل بعنوان « بيت المقدس رؤية مستقبلية » للدكتور هشام الرطوط من كلية الهندسة بجامعة النجاح الوطنية، حدد فيها الباحث الرؤية المستقبلية للمدينة المقدسة. وتحدث الدكتور إبراهيم الفني عن الخطط الإسرائيلية الثلاث حول بناء الهيكل وتدمير المسجد الأقصى. وتحدث الدكتور جمال خضر عميد كلية الآداب في جامعة بيت لحم عن مستقبل الإرث العربي المسيحي في القدس ، مع تزايد حملات التهويد للمدينة المقدسة، وتحدثت أمية خريشه من جامعة الخليل عن بيت المقدس في العهد الإسلامي، وتناول الدكتور سميح حموده من جامعة بير زيت موضوع مستقبل القدس بين الرؤية الصهيونية والنموذج الحضاري العربي الإسلامي. وتحدث الدكتور محمد الشريدة عن مكانة القدس الدينية ، والسياسية، والاجتماعية، والعمرانية التي تفرضها إسرائيل على أرض الواقع في المدينة المقدسة.

وتناولت جلسة العمل الثانية موضوعات متنوعة، عاجلت مستقبل مدينة القدس على أكثر من صعيد، فالدكتور فيصل طحيمر من جامعة القدس المفتوحة، تناول استشراف المستقبل في شعر عبد القادر الحسيني وتراسله، وتحدث أ. عليان الهندي عن مستقبل مدينة القدس من وجهة النظر الإسرائيلية.

وتناول عباس نمر من وزارة الأوقاف مستقبل المقدسات الدينية في ضوء الخطر المحدق بهذه المقدسات، ومحاولات هدم المسجد الأقصى، وازدياد عمليات الحفر في داخل البلدة القديمة.

وتناول د. حسن نعييرات من جامعة النجاح خصائص العمارة الإسلامية والزخرفة الإسلامية في بيت المقدس، وتحدث د. خالد الحلو عن مستقبل الصراع على القدس من منظور ديني.

وعرض أ. غسان بدران من جامعة النجاح موضوع أبناء الخزر الذين هم الأصل في التسمية، وتحدث صباح الصباح عن الواقع العمراني والحفريات حول الحرم القدسي الشريف.

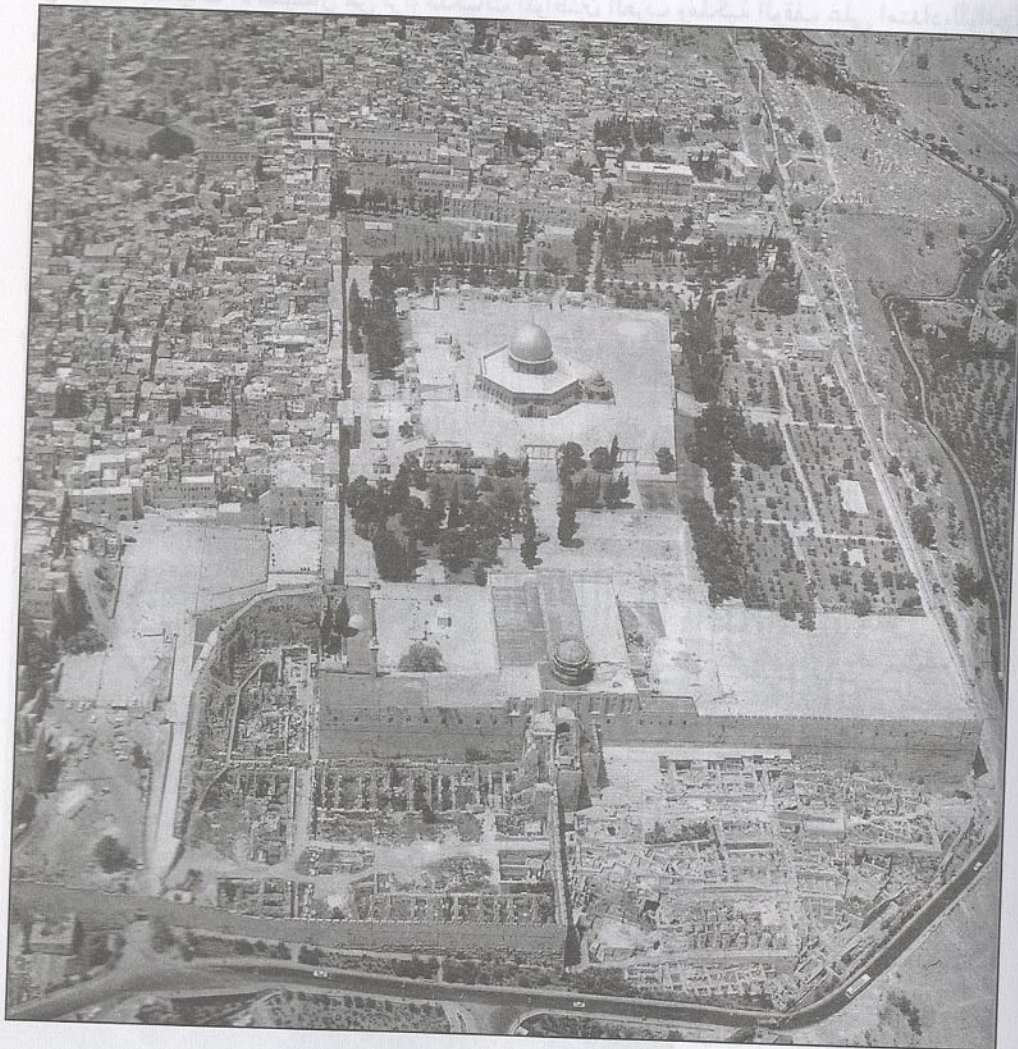
وتناول زهير الدبعي موضوع استشراف مستقبل القدس، وتحدث عن سبل حماية المدينة المقدسة في مقابل ألوان الخطر التي تتهددها. واستعرض د. يحيى جبر مع أ. عبير حمد موضوع المسجد الأقصى في الزمان والمكان والسنة والقرآن.

أعضاء اللجنة التحضيرية لمؤتمر يوم القدس العاشر

أ.د. خليل عوده	رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر
د. نايف أبو خلف	عضو
د. ماهر أبو زنت	عضو
د. حسن نعييرات	عضو
د. عبد الجواد عبد الجواد	عضو
د. سمر الشنار	عضو
أ. موسى أبو ديه	عضو
أ. ياسمين شحرور	عضو
السيدة منار جربان	عضو

اسرائيل أنهت الخطط المرحلية وبدأت في تنفيذ الخطة الاستراتيجية

د. ابراهيم القني



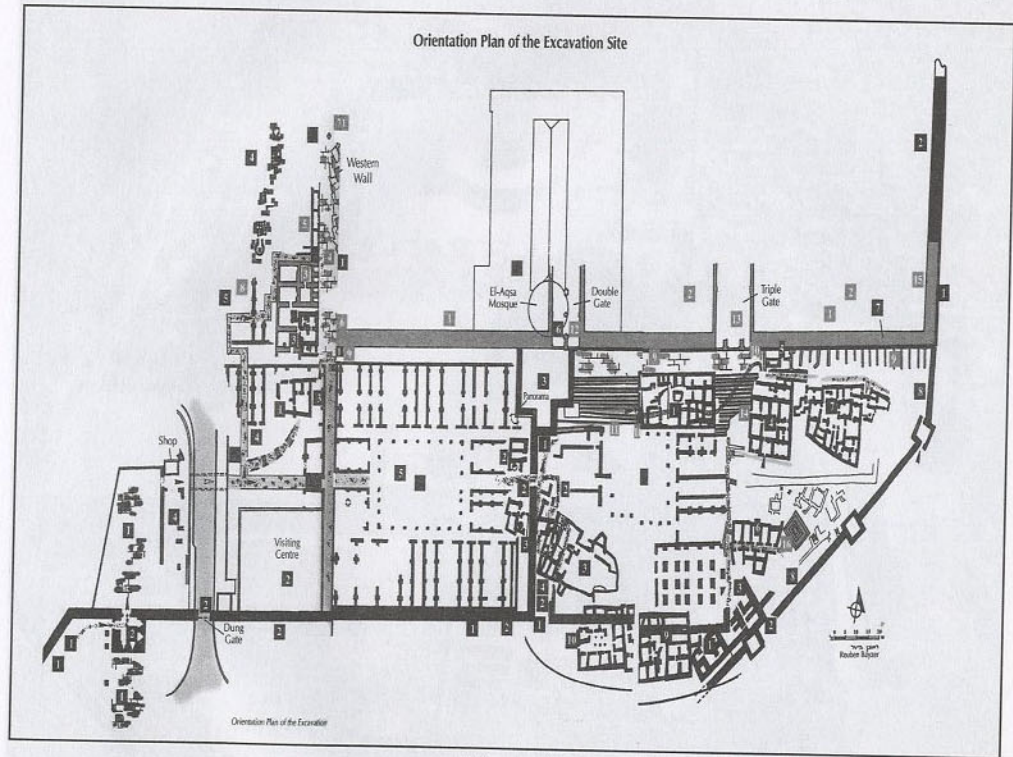
سلطة الاثار الاسرائيلية نقلت بؤرة نشاطاتها الى منطقة البلدة القديمة في القدس، بهدف تنفيذ ما لا يقل عن تسع حفريات كبيرة طويلة المدى، عنوانها الخطة الاستراتيجية المتكاملة. تقوم هذه الحفريات جمعيتان استيطانيتان هما (عطرت كوهنيم) وجمعية العادلا اللتين تسعىان علنا التيهود مدينة القدس وقد بدأت العمل في انجاز خمس مواقع عبر حفرياتها التي بدأت منذ مطلع عام 2008م. نقرأ في الخطة الاستراتيجية توصيات (درفمان) مدير سلطة الاثار الاسرائيلية عبر توجهاته

اوراق العمل المقدمة للمؤتمر

بنقل عمل سلطة الاثار من المنطقة الوسطى في فلسطين ونعني منطقة الساحل الفلسطيني ما بين قيسارية والطنطورة القريتان الفلسطينيتان المدمرتان بعد عام 7491م. الى العمل في مدينة القدس وضواحيها

سلطة الاثار الاسرائيلية وقعت اتفاقية مع بلدية القدس والجمعيتين المولتان للحفريات حيث اتفقت هذه الاطراف على التنسيق فيما بينها حول ظروف العمل في منطقة المسجد الاقصى، وبعد ان مهدت جمعيات الاستيطان من نزع ملكيات المواطنين العرب وملكبة الوقف على امتداد الواجهة الغربية لمنطقة المسجد الاقصى فقد تم عزل كل من فريق الجامعة العبرية والجمعيات الممولة الاخرى وانيط العمل عبر الجهاز الحكومي الرسمي عبر ثلاث مرجعيات هي :-

سلطة الاثار - بلدية القدس - الكيرن كايت - صندوق أراضي دولة اسرائيل عبر ملكه لمؤسسة (ارث حائط المبكى).



مخطط الخطة الاستراتيجية التي تنفذها اسرائيل في منطقة المسجد الاقصى.

ومن قراءة في هذه الخطة فقد وجدت أنهم يريدون تغيير واجهة البلدة القديمة، ولهذا انيط بالانجاز الشق السياسي للخطة الى البلدية كي يكون البعد السياسي للخطة من مسؤوليتها، ولهذا فان الاتفاق بين سلطة الاثار والبلدية جاء لتوسيع نطاق السيطرة اليهودية على البلدة القديمة بأجمعها، ونجد في الخطة ان جزءا كبيرا من الحفريات الاثرية في البلدة القديمة تمت تحت اشراف وإدارة الحكومة الاسرائيلية الرسمية وهذا تم من اجل اطفاء الشرعية القانونية على اعمال الحفريات واقامة الهيكل ومنح ملكية الموقع الى صندوق ارث حائط المبكى، اما منهجية الخطة فتعود الى سلطة الاثار الاسرائيلية التي

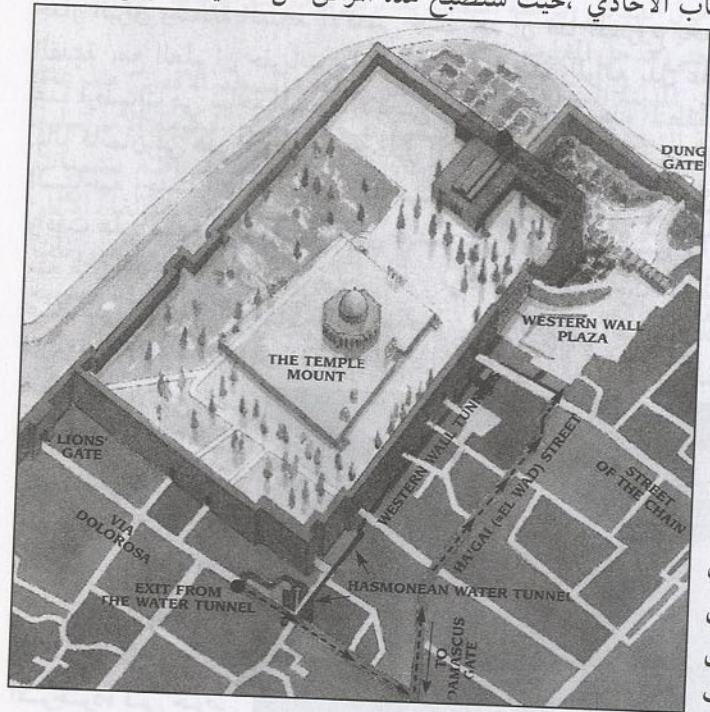
تقوم باجراء جميع الحفريات والهدف من قبولها دعم الاستيطان في القدس الشرقية حيث تم تقسيه الى مرحلتين، مرحلة اقامة الهيكل، والمرحلة الثانية تسويق الخطة سياحيا حيث ان ثقافة الهيكل عبر المنظور الاسرائيلي ثقافي و يستخدم الدين كنموذج لا يمكن الخروج عن نصوصه وعبر مؤتمر اكاديمي عقده علماء اثار اسرائيلين حيث شرحوا خطتهم التي اعتبروها جزءا من الحفريات الاثرية التي تمت في منطقة المسجد الاقصى وطبقاته الارضية منذ عام 1967م ولغاية عام 2006م

وكي نطرح الواقع فان احدى الحفريات تجري منذ ثلاث سنوات في منطقة باب الساهرة اي في منطقة برج اللقلق حيث تعرف هذه المنطقة باسم (كرم المسكوب) وكذلك الحفريات التي تمت في فراغات الابنية المملوكية والايوبية والعثمانية من اجل اقامة الكنيس الذي سموه خيمة اسحاق في الحي الاسلامي، وقد عمدوا ان يدخلوا الكنيس المذكور الى حوض المسجد الاقصى من اجل هدف سعى اليه كثيرا لتحقيقه وفشلوا وهامهم اليوم ينجحون بادخال المقدس الى حوض المسجد الاقصى عبر ارضيات هذا الكنيس

ومن خلال دراسة مخطط الحفريات عبر بوابة المغاربه وجدت أنهم يريدون تقسيم منطقة المسجد الاقصى الى قسمين، قسم شمالي يخص حوض الصخرة وقسم جنوبي يختفي به المسجد الاقصى وتقام عليه ثلاث مباني كبيرة هي :-

القصر الملكي الذي سيقام في المصلى المرواني، والثاني الهيكل حيث سيقام على المسجد الاقصى، والثالث فتح الثلاث بوابات الواقعة في الواجهة الجنوبية للمسجد الاقصى وهي البوابة المزروجة، والبوابة الثلاثية، والباب الاحادي، حيث شتصبح هذه المرافق من ملكيات أرض الهيكل ومؤسساته.

اما الحفريات الجارية في بلدة سلوان في المدينة الاثرية الكنعانية فهي ممولة من جمعية (العاد) حيث غيرت هوية هذه الاثار الكنعانية واطلقت عليها مدينة (داود) بواقع شطب اسم مدينة العصر الحجري الموجوده على ضفاف القدرود منذ اربعة الاف قبل الميلاد، وتم انجاز مجسم للمدينة الكنعانية واطلقوا عليها مدينة داود والواقع ان داود لم يبن مدينة بل احتل مدينة في القرن العاشر قبل الميلاد، كذلك فقد شملت الحفريات في سلوان توسيع نفق عين سلوان وربطه مع منطقة البستان وبركة سالومي، كذلك فقد تم حفر نفق من اجل ان يكون



المباني العشرين التي تريد اسرائيل اقامتها على امتداد الواجهة الغربية والواجهة الشمالية لمنطقة المسجد الأقصى.

اما الثانية فقد تمثل باقامة جسر كبير على مدخل المغارة المؤدي الى المسجد الأقصى وهدف هذا الجسر الربط بين المسجد الأقصى والسوق التجاري الذي ستقيم اسرائيل على امتداد الشارع الهيرودي الروماني عبر طبقات الارض أسفل شارع الواد ابتداء من الهوسبيس النمساوي حتى عقبة المغارة

اما الثالثة فكما يبدو فتح مدخل سري يوصل الى الطبقات الارضية الى المدخل المدرج الغربي للصخرة، وهذا من اجل الوصول الى موقع ورد في التلمود من ان هذا المدخل اقيم فوق (حجر الشرب) كي نفس هذا المفهوم فان مصادر التلمود تقول ان حجر الشرب هو حجر الاساس الذي يرتكز العالم عليه، وحسب النصوص فقد وجد على هذا الحجر التابوت المقدس والالواح المقدسة في قدس الاقداس، وهو نفس الحجر الذي اقرت عليه عقيدة اسحق (من الواقع ان الذبيح اسحق) وليس اسماعيل وان يعقوب منحه لورثته في بيت ابل اثناء توجهه من منزل والده الى (الرم -نهرم).

واليهود يفسرون خطتهم بأن الصخرة المشرفة اقيمت على حجر الشرب ومن على هذه الصخرة عرج الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الى السماء والخطوة الاسرائيلية تهدف الى اقامة مشروع استيطاني سياحي ضخم مكون من عدة مباني لاستيعاب المزيد من المستوطنين في منطقة باب المغارة، ومجمع تجاري سياحي في الساحة التي تقابل السور الجنوبي للمدينة وهذا من اجل توفير ساحة يمر بها خط المترو الارضي الذي سيمر عبر هذه المنطقة ويتم عرض سينمائي بها حول الهيكل ومرافقه المتمثلة بعشرين موقع يتم اقامتها على امتداد الجدار الغربي من باب السلسلة حتى مدخل المغارة

اسرائيل انتهت الجزء الاكبر من المدينة السياحية الدينية أسفل طبقات المسجد الأقصى منذ عام 1997م، وقد انتهت حاليا البنية التحتية للخطوة الاستراتيجية لهذا اصيحت الحكومة الاسرائيلية المباشر المنفذ لهذه الخطوة عبر مرجعتان سلطة الاثار وبلدية القدس، كذلك فقد تم وضع مسميات تلمودية في منطقة المسجد الأقصى منها كنيس خيمة اسحاق أو حجر الشرب والهدف هو الغاء الاثار الاسلامية الاموية والايوية والملوكية ودمجها بالبناء الجديد كي تظهر وكأنها موروث من موروثات الهيكل كما حصل في موقع القصور الاموية والبوابات الثلاث القائمة على امتداد الواجهة الجنوبية للمسجد الأقصى، وأن الهيكل غطا سياسيا بالاضافة لكونه مبنى دينيا

هل دمجت الخطه الاستراتيجية مع الخطه الميكليه لبلدية القدس عبر مشروع الخطة تظهر اختفاء المسجد الأقصى وتصبح المنطقة من مسؤولية ارث حائط البراق. 2000-2020؟

هدفت الخطة الى تحديد سكان القدس العرب وزيادة عدد السكان اليهود، وان المخطط لا يتعامل بمقياس الصدق من واقع انه يطلب تغيير اتجاهات التطور بهدف الحد من السكان العرب، ومن قراءة في هذا المخطط نجد ان اسرائيل تسعى الى تقليص نسبة السكان العرب ما بين 35-40% من السكان وهذا ما سعى اليه المخططين من سياسيين ومهنيين حيث تعاملوا مع السكان الفلسطينيين في القدس الشرقية كمشكلة من منطلق المواجهة وليس من منطلق الحلول

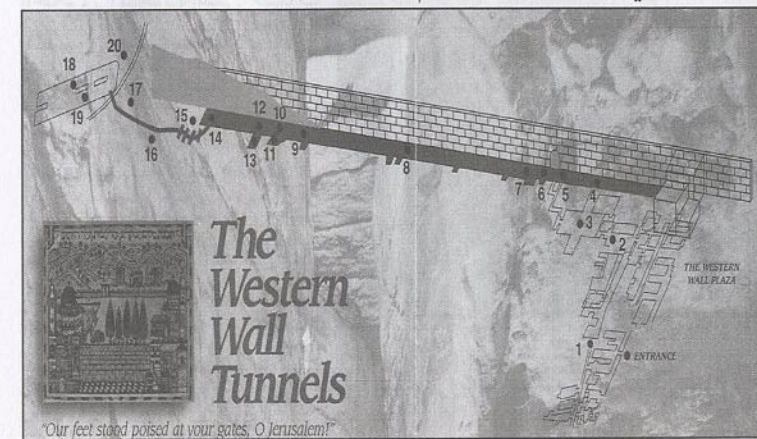
موقف للسيارات القادمة من اجل تطوير الاعمال السياحية التي ذكرناها في سياق هذا البحث، وقد اطلقوا على هذا الموقف باسم (جبعاتي) والتطور في هذه الحفريات في انها بدأت تلامس السور الجنوبي للبلدة القديمة وسفح جبل اوفل الذي اطلقوا عليه (جبل صهيون) وهو تسمية من خيال علماء (المكراه والمشنه).

سلطة الاثار الاسرائيلية قد صادقت على جميع الحفريات الجارية وتلك التي يخطط للبدء بها وذلك في اطار اجراءات حفريات سرية سموها عبر الاعلام بحفريات (الانقاذ) ونعتقد ان سلطة الاثار تريد اجراء حفريات انقاذية للموقع قبل ان تسمح باقامة ابنية على هذه البقايا، وبهذا الطرح تكون سلطة الاثار قد تخضت الكشف عن تدمير مواقع حضارية اسلامية أو رومانية وبيزنطية قبل ان يقام عليها اغمات معمارية يهودية، ومن خلال البحث في خطط البلدية فاني وجدت انه لا يوجد مخطط بناء ولم نجد ان هناك ملف تنظيم في البلدية وكذلك لم نجد سجل الى اربع مناطق بدأ الحفر بها وهذا يدل على ان تنفيذ الخطه الاستراتيجية هي مغلفة بالسرية التامة، ونسأل لماذا تم هذا؟

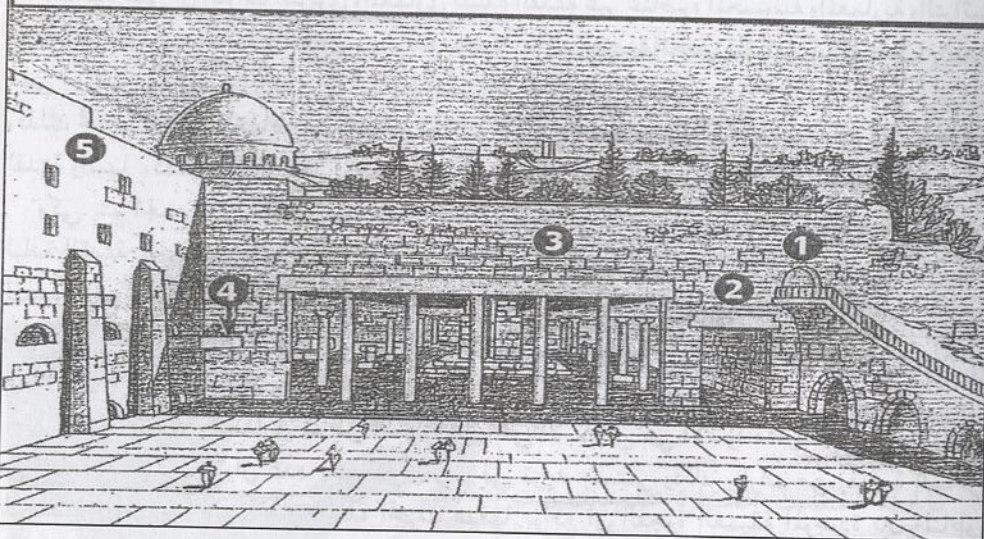
لم تعلق سلطة الاثار على الاسئلة والندوات التي وجهت اليها بعدم الموافقة على هذا العمل ولم نجد اي نداء من منظمة اليونيسكو او اعتراض على هذا التدمير المبرمج ولماذا تم الموافقة عليه من قبل دائرة رسمية تمثل الحكومة ومؤسساتها؟

المشروع السياحي في الخطه يتم العمل به بعد انتهاء الحفريات الاثرية

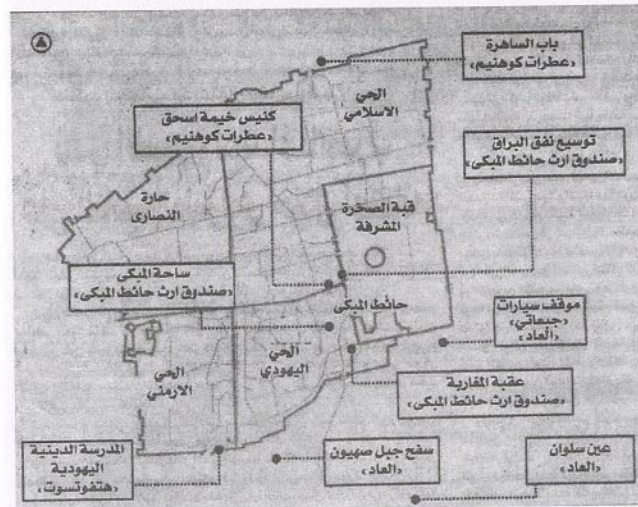
في الخطه الاستراتيجية نقرأ ان الحكومة قد شكلت لجنة باسم دولة اسرائيل تشرف على ادارة جدار البراق ومنطقة المسجد الأقصى حيث نجد ان هذا المشروع يخترق عدة منازل عربية في البلدة القديمة، مع العلم ان حفريات سابقة تمت في المنطقة والواقع يدل على ان المشروع يستهدف اختراق عدة ارضيات في ساحة المسجد الأقصى والهدف تسويق هذه المنطقة بواقع ان الهيكل الاول والثاني كانا قائمان في هذه المنطقة، ومن خلال الاضطلاع على المجسمات التي يتم تسويقها عبر الشركات السياحية وجدت انها نفذت بعناية كبيرة، وما يدعم هذا التوجه فان الحكومة الامنية الاسرائيلية وافقت على اقامة هذا المشروع الذي يعتمد على اقامة هذا المشروع الذي يعتمد على حفر نفق طوله مئة متر وهو عبارة عن نفق يرتكز على فراغات موجودة تحت الارض صندوق تقاليد حائط البراق عمل على استغلال الفراغات الموجودة تحت شارع الواد في الحي الاسلامي من اجل ربط كنيس (خيمة اسحق) بالانفاق والفراغات الموجودة في حائط البراق، وقد تم تنفيذ خمس نقاط من الخطه: —



النقطة الاولى اقامة جدار على زاوية حمام العين الذي اصبح فيما بعد واجهة من واجهات الكنيس الذي اقيم وقد سمح بربط بناءه بأرضية النفق ومداخله الموجودة في حوض المسجد الأقصى



13 مؤتمر يوم القدس العاشر



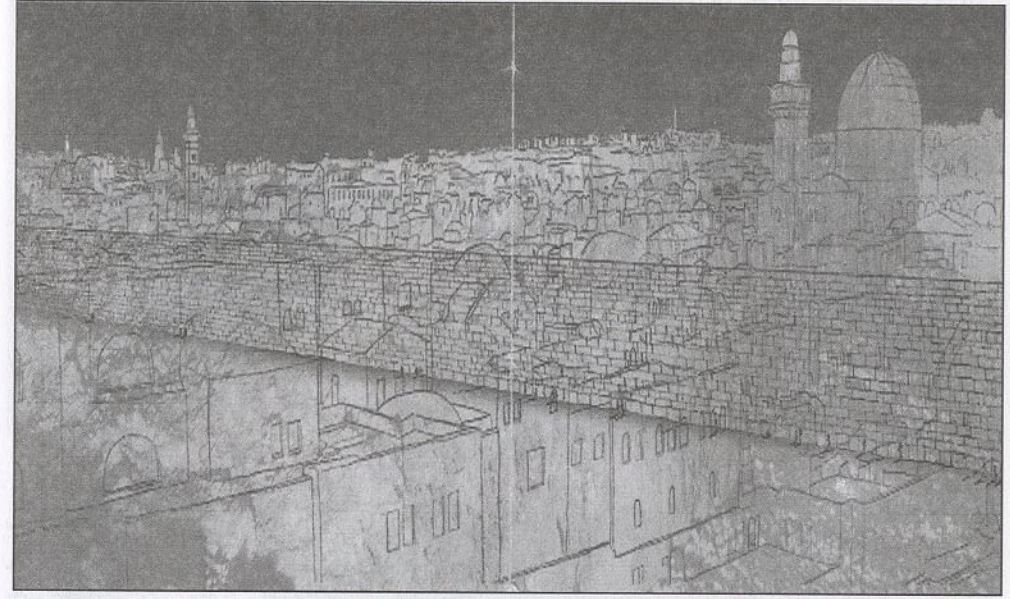
وكذلك فإن الخطتين تحوي مشاريع متعددة استيطانية تهدف الى نزع السيطرة عن اراضي واملاك وقفية ومسيحية ومن ثم ضمها الى صندوق ارث حائط المبكى وتشمل هذه المواقع منطقة الصوانه ،والجسمانية ، ومنطقة الطور وباب الاسباط ومقبرة الرحمه التي تعرضت لعمل استيلاء على الزاوية الشرقية الجنوبية منها وادخالها في مجال تطوير منطقة الحوض المقدس

في كلا الخطتين نجد ان البلدة القديمة والحوض التاريخي المحيط بها يكونان المساحة التي نشأت فيها مدينة القدس خلال ستة الاف عام

**لماذا تجاهلت اسرائيل اعتراف اليونسكو بان البلدة القديمة في القدس
واسوارها موقع اثري عالمي ؟**

التحول في موقف اليونسكو جاء بعد مؤتمر مدريد وحرب الخليج وفك الارتباط الاردني مع الضفة والذي تم بعد ان تولت منظمة التحرير التفاوض حول القضية الفلسطينية والذي اسفر عن توقيع اتفاقية اوسلو وقيام السلطة الفلسطينية

ماهي الاهداف التي وضعها طاقم التخطيط للخريطة المفصلة للبلدة القديمة ؟



الاهداف تظهر عبر الواجهة الغربية للمسجد الاقصى.

للتأكيد على ان التراث التربوي والمعماري للبلدة القديمة عبر عناصره المحسوسة والمعمارية والتراثية كان ملكا للشعب اليهودي مع قبول الواقع بوجود أماكن مقدسة تخص المسلمين والمسيحيين ، وحتى تنهي اسرائيل ملكية موروثها فانها عملت على تحديد اللوائح للحفاظ على البلدة القديمة وما حولها ، كذلك تحديد اللوائح للحفاظ على المواقع الخاصة ، ولوائح للحفاظ على مجال رؤيا مفتوحة من البلدة القديمة واليها ، كذلك ضم المناطق المخصصة للحفريات الاثرية في اطار التخطيط العام للدولة وكي يتم الجمع بين الخطتين فقد عملت على خلق ظروف تتناسب مع تطور السياحة والحج في البلدة القديمة ، ولهذا جاءت الخطة الاستراتيجية كي تعمل على تطوير الجهاز السياحي في البلدة القديمة بواقع خلق مناطق للمكوث والمبيت وتطوير مسارات سياحية مختلفة بتنسيق الخدمات المقدمة من المؤسسات الحالية والخاصة مع الخدمات البلدية ، من المعطيات التي جمعها في تنفيذ الخطة الاستراتيجية نجد هذا النص في الخطة :

(الوضع البنيوي والمعماري لمناطق السكن في الحي الاسلامي هي الاسوأ مقارنة مع مناطق أخرى في البلدة القديمة كما وأن عدد السكان العرب في تزايد مستمر وذلك بالرغم من رفاهية السكن المنخفضة والمحدودة ولهذا فان الخطة انجزت هدفها بواقع ان الفجوة العميقة الموجودة بين المناطق المختلفة في البلدة القديمة من الناحية البنيوية والمعمارية والاجتماعية تؤثر على امكانية صيانة المناطق كما وتؤثر على أمن سلامة المواطنين

ضمن انجازات الخطة قامت سلطة الآثار بعمل دراسات واحصاءات للبحث ، الهدف منها فحص مشاكل المباني والهيئة المعمارية في البلدة القديمة ، تطرق البحث أيضا لمواضيع تتعلق بالحفاظ على المباني وعلى واجهة البلدة القديمة على سبيل المثال امكانية البناء المستقبلي وتأثيرها على الاسوار، مناطق المشاهدة خط الافق مناطق البانوراما التي يستطيع منها المرء مشاهدة البلدة من

الداخل والخارج ، عبر هذه المفاهيم فقد تم وضع خطة تفريغ منطقة الحوض المقدس التي أشرنا اليها سابقا في الدراسة ، أيضا تم التطرق الى العناصر المعمارية مثل الفتحات والاقواس وشرفات المباني والمقصود المشربيات التي كانت تشكل زينة تشتهر بها البلدة القديمة من القدس وتعطي جمالا لواجهة البلدة القديمة عدا كونها تشكل الظلال للمنازل وتوسع فتحات الشبابيك

خط الافق يمثل الرؤيا المشاهدة

ان الخطة الاستراتيجية درست علامات البلدة القديمة المميزة لهذا جاءت الخطة للسيطرة على خط الافق التقليدي للمدينة والذي يتمثل بالسور الافقي ، أبراج المآذن والكنائس والاديرة التي تبرز من خلف السور وسطوح المدينة المنبسطة والقباب وكذلك سطوح القرميد ، امر هام يميز المدينة هي الاحياء المتدرجة الارتفاع من المركز المتمثل من الشوارع الرئيسية الى الاعلى مثال ذلك شارع الواد حيث ان المباني تبدأ بالارتفاع باتجاه (ساحة جبل الهيكل) كما يدعون والمقصود ساحة المسجد الاقصى ، لهذا بدأت الخطة في هذه المنطقة ويمكن تميز الاشكال المختلفة لانية تم السيطرة عليها واحياء يجب اضافات عليها مبان تخص الهيكل ، وخصوصا رفع طوابق اضافية فوق المباني القائمة بطرق غير مدروسة كما حصل في بناء الكنيس الذي سموه كنيس خيمة اسحاق وقد نجحت الخطة عندما جعلت الرؤيا والتميز بين المباني التي نزعو ملكيتها صعب التعرف عليها ، ولهذا فان السيطرة على خط الافق القائم لا يمكن ان ينجح الا بواسطة هدم المباني التي تغطي هذا الخط وهذا ما سنشاهده قريبا عند تنفيذ اقامة المباني العشرين التي توجد في الخطة الاستراتيجية

منجزات الخطة في البلدة القديمة

1. حين النظر الى بيوت البلدة القديمة نرى

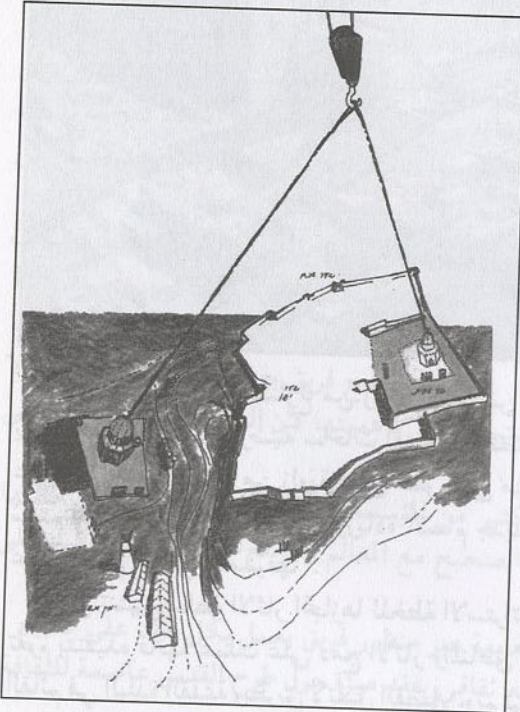
انها تتوجه الى ثلاثة نقاط —

منطقة المسجد الاقصى - كنيسة القيامة -

جبل الزيتون

لهذا فان الخطة تقول ان النظر الى الاماكن المقدسة اليوم واستعادة ذاكرة المناظر التاريخية للحجاج هو كنز حضاري لان هذه المناظر تمكن المشاهد من فهم تاريخ مدينة القدس وجغرافيتها ومراحل تطورها

فالخطة اعتمدت السيطرة على الطبقات الارضية كما اعتمدت السيطرة على أفق المدينة ولهذا فان هذه المناظر يمكن رؤيتها من أسوار القدس ، ومن برج الاجراس في كنيسة القيامة ومن مأذنة القلعة ، وقد تم تحديد المباني والمناطق المعدة للحفظ في الخطة التفصيلية التي يتم اعدادها ، ثم جرى شرح التعليمات الخاصة بامكانية البناء الاستيطاني في البلدة القديمة



المجسم يظهر نقل الصخرة من موقعها الى تخوم وادي هنوم وتصبح الصخرة غير بارزة في خط افق المدينة.

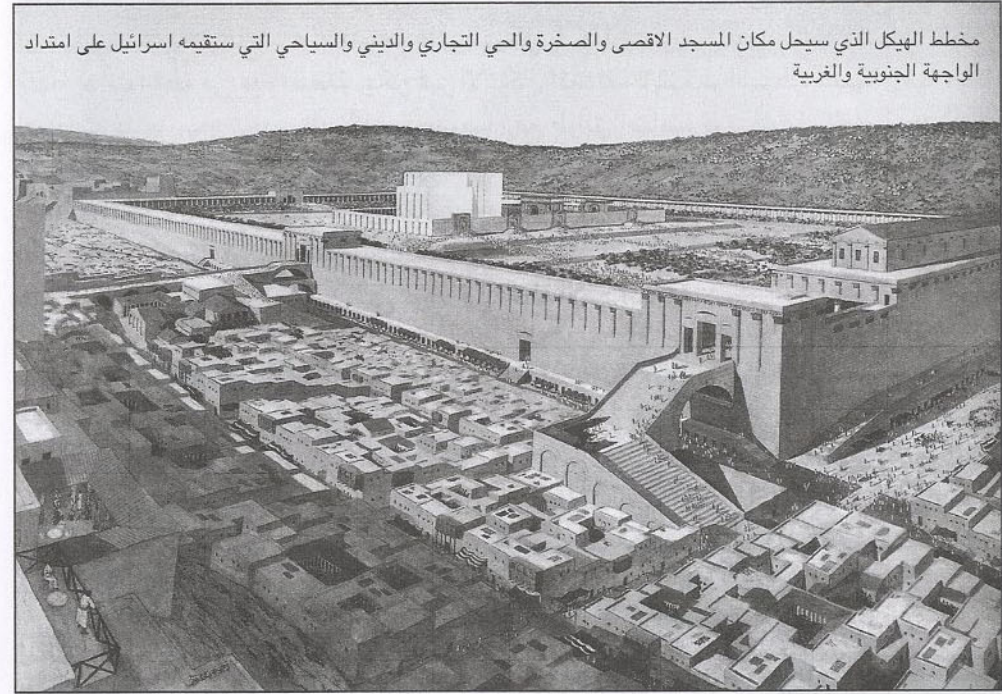
في القدس
سلطة الآثار قدمت الى البونسكو تقرير يخالف الواقع التي تنفذه حيث هي تخاطب العالم
بقولها:-



هكذا اقنعت اسرائيل العالم بانها
تعمل لحماية الآثار ولكنها عبر الطبقات
الارضية تقيم هذه المرافق التي تعتبر
انجازا للبنية التحتية لاقامة
الهيكل.

(ان أهمية المحافظة على الآثار تكمن في مقدرتها على اعطاء الصورة التاريخية والتي تشرح
تطور الحضارات في المدينة وتحمل في طياتها ايضا حفظ القيمة الدينية والثقافية والتراثية)
لكن الواقع التي تفرزه الحفريات الاثرية يكمن في تلك الاهمية الكبرى للبقايا الاثرية على
المستويين الوطني واليهودي والدولي المؤيد لهذه الوقائع بواقع ان الكثير من هذه المواقع معرضة للتلف
والضرر ولهذا يجب التعامل مع المنطقة الاثرية كمعلم يجب صيانته وحفظه لكي يبقى شاهدا على
تاريخ المنطقة وتطورها حسب المنظور الاسرائيلي
وكي نقدم الادلة فان البيان الاسرائيلي حول ما سموه كنيس خيمة اسحاق وقد نشرته الصحف
المحلية حسب ما اعلنت عنه اسرائيل بواقع ان هذا الكنيس قائم منذ عام 1917 ودمر عام 1947
ورجال الدين اليهود يقولون انه قائم منذ فترة الهيكل الثاني لهذا فان تنفيذ هذه المزاعم والرد عليها
علميا يحتاج الى وجود فريق أثري فلسطيني أو عربي يعمل مع فريق يعمل عبر المنهج العلمي لا
مع فريق يركز على المفاهيم السياسية التي لا تهتم اسرائيل بأهميتها لان العالم يريد ان يتعرف على
الحقيقة من فريق مؤهل علميا يطرح هذه الوقائع
لهذا فاني وجدت ان اسرائيل قد اقنعت الكثير من المؤسسات الاكاديمية العالمية من ان خطتها
تعمل على تطوير الواقع بشكل يمكن دمجها الصحيح مع المعالم والمواقع الاثرية مع التأكيد على
ضرورة تواصل أعمال الصيانة للمناطق الاثرية
ومن ثم نطرح برنامج القدس عاصمة الثقافة العربية عبر منظور فريق يعمل بكل جهد على تطبيع
علاقته مع المثقفين الاسرائيليين عبر منهج تطبيع ثقافي يفقد ميزة حول طرح القدس عاصمة للثقافة
العربية وأعني فلسطيني الطرح وفلسطين الرؤيا عبر المنهج العلمي المميز

وارتفاع هذه الابنية والشكل المعماري والاندماج مع النسيج البلدي
الخطة الهيكلية سهلت العمل لانجاز الخطة الاستراتيجية عبر تقسيم البلدة القديمة الى احياء
يفصل بينها شوارع، ولكل حي من هذه الاحياء مميزاته الخاصة به، فمثلا لا توجد أبراج عالية في
الحي اليهودي وهو جزء تم ترميم معظمه وتم بناء أبراج والهدف كان السيطرة على افق منطقة المسجد
الاقصى وحجب افق بروز الصخرة المشرفة من واقع قبة الكنيس المسمى (كنيس خيمة اسحاق).
أما الحي المسيحي فيتميز بالاسطح المغطاه بالكرميد، والحي الاسلامي يتميز بالوحدات السكنية
المتراصة والعالية والحي الارمني بالسور الداخلي المحيط به، لهذا لا نريد ان نعتبر توصيات الخطة
الاستراتيجية هي أفكار صحفية وخطط بل ان الخطة الاستراتيجية أنهت عملية تقسيم المباني
التي تريد اقامتها وقدمت التعليمات للمخططين وخاصة التركيز الان على منطقة شارع الواد عبر
اتجاهين



مخطط الهيكل الذي سيحل مكان المسجد الاقصى والصخرة والحي التجاري والديني والسياحي التي ستقيمها اسرائيل على امتداد
الواجهة الجنوبية والغربية

الاول على امتداد الشارع من زاوية الهسييس النمساوي حتى موقع عقبة المغاربة طولا وعرضا
يدخل عبر الطبقات الارضية ساحات المسجد الاقصى، أما الشق الثاني من خطة العمل فهي تعمل
على حفر النفق الجديد من زاوية قوس حمو حتى موقع باب الاسباط، وفي الخطة نقراً ما يوحي بأنه
سيتم اضافة مباني وهدم مباني وزيادة أقسام جديدة على مباني قائمة ولهذا فان الخطة تعمل الان
على تقسيم المباني وتصنيفها

حتى تنتهي سلطة الآثار انجازها للخطة الاستراتيجية عبر التعقيدات الاعلامية والكشف عن ما
تقوم بتنفيذه فانها عملت على دمج الآثار والمناطق التي اعلن عنها كمواقع أثرية، النسيج المعماري
القائم في البلدة القديمة وبطريق لاتقبل الفصل، وتم ترجمة ذلك عن طريق تثبيت المعالم الاثرية والابنية
القديمة بالخرائط البلدية وكذلك تم تثبيت الآثار المكشوفة ومناطق أثرية تم طمرها بعد دراستها واقامة
عليها موروث اسرائيل ان كان دينيا او اجتماعيا يخدم هدف الاستيطان والسيطرة على البلدة القديمة

الإرث العربي المسيحي في القدس

د. جمال خضر

عميد كلية الآداب / جامعة بيت لحم

في خضم الصراع الفلسطيني الاسرائيلي، وفي قلب هذا الصراع، تعاني القدس من عملية تهويد واضحة. وما تتعرض له هذه المدينة يهدد هويتها الخاصة والمميزة. فللقدس هويتها الخاصة. ولكي تصبح القدس ما نصبو له وتحتل مكانتها المميزة، وجب علينا التعرف على هذه الهوية واحترامها. وهنا لا بد من ملاحظتين منهجيتين لا بد من ذكرهما: الاولى تتعلق بكون المسيحي الفلسطيني هو فلسطيني في الدرجة الاولى، يرى في القدس مركز هويته وعاصمته السياسية والدينية والثقافية والاقتصادية... والملاحظة الثانية تتعلق بالجانب بموقف المسيحيين والكنائس المسيحية من مدينة القدس؛ فليس للمسيحي مطالب سيادية على القدس انطلاقاً من كونه مسيحياً، بينما تنبع هذه المطالب من الهوية الفلسطينية. المسيحي والكنائس المسيحية تريد ان تحافظ القدس على هويتها الدينية والشمولية، لذلك فلها ولهم كلمة يقولونها في القدس، ومن حقهم ان تسمع هذه الكلمة. للقدس وقصبتها بعد ديني واضح، هو كالصخرة التي تمكن ان يبنى عليها كل تفاهم وتعايش مستقبلي، واذا تم تجاهل هذا البعد الديني، فستكون القدس كالصخرة التي تحطم وتدوس كل اتفاق او تعايش. لذلك اذ نتكلم عن القدس في المسيحية فليس لنستأثر بها كمسيحيين، بل لنؤكد على قدسيتها عندنا كما عند غيرنا. كما أن القدس المدينة المقدسة للمسيحية، ليس تاريخها بمعزل عن تاريخ القدس المدينة المقدسة لليهود والمسلمين فهي المدينة عينها. والتاريخ المشترك في مراحل كثيرة، بالإضافة إلى أن المدينة العربية والكنعانية واليهودية هي أيضاً المدينة عينها¹.

1. أهمية القدس للمسيحيين

قدسية القدس متأتية من كونها مكان الوحي الإلهي على مر العصور حتى قبل المسيحية وهي في المسيحية مكان الفداء والخلاص، ومكان انطلاقاً إلى العالم أجمع دون تمييز بين عرق وجنس. وهذا ما أوصى به السيد المسيح قائلاً: « ستكونون لي شهوداً في اورشليم، وفي جميع اليهودية والسامرة، وإلى أقاصي الأرض ». (أعمال الرسل 1:8)، وأيضاً: « أذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الأب والإبن والروح القدس. وعلموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر » (متى 20-38:19)².

أ. يسوع ومدينة القدس:

هذه هي المدينة، التي كان يسوع يصعد غلبها بمناسبة الأعياد، يواجهها، شأن سائر الحجاج، بآيات من المزامير المدعووة « مزاميو الصعود »: « ها قد وقفت أخيراً خطاننا عند أبوابك، يا اورشليم! أدعوا لأورشليم وقولوا: ليسعد من بك يهيم! ليحل السلام بأسوارك، والرخاء داخل قصورك »³

1- المطران لطفلي لحام، القدس في المسيحية، محاضرة في الدورة العاشرة لمؤتمر التراث، 1992؛ في "القدس". دراسات فلسطينية اسلامية مسيحية، ص. 48.

2- المطران لطفلي لحام، القدس في المسيحية، محاضرة في الدورة العاشرة لمؤتمر التراث، 1992؛ في "القدس". دراسات فلسطينية اسلامية مسيحية، ص. 49-50.

3- المزمور 121

واذا ما فتحنا الإنجيل المقدس، وقفنا فيه على فقرتين متساويتين، تبيان للحال حب المسيح للمدينة.

ففي الأولى، نسمع المسيح يخاطب اورشليم، في ختام أكثر خطبه شدة قائلاً: « اورشليم! - اورشليم! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن اجمع أبناءك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها! فلم تريدوا »⁴

فالقدس مدينة السيد المسيح. إن نظرة سريعة على العهد الجديد، كتاب المسيحيين المقدس، لكافية لتبين لنا مركزية القدس فيه. بينما يرد ذكر مدينة بيت لحم في العهد الجديد مثلاً ثمانين مرات، والناصرة إثنتي عشرة مرة، يرد ذكر القدس واحداً وتسعين مرة بهذا تحتل القدس في الإنجيل المرتبة الأولى بلا منازع.

وتستمد القدس أهميتها لنا كمسيحيين من السيد المسيح نفسه، فإليها وجه أنظاره (لوقا 9:51)، وحياته الأرضية لم تكن سوى مسيرة نحو القدس، فكانت محط أنظاره ونهاية دربه، ومكان صعوده (لوقا 13:33).

وقد ارتبطت حياة السيد المسيح بالقدس ارتباطاً ليس له من مثيل، فظلت بصماته عالقة على حجارته وفي كل شبر منها أقيمت معالم تشهد لشخصه وتذيع رسالته. فبوابات القدس تشهد لدخوله إليها دخول الملوك إلى عواصمهم، وبيوتها ما زالت تتحدث عن المائدة التي أعدت فيها ليأكل مع تلاميذه عشاءه الأخير

وبساتينها وأشجار زيتونها أبصرته على أديمها راکعاً مصلياً، وأزقتها نظرتة يحمل الصليب سائراً على درب الآلام، وتلالها رآته مرفوعاً على الصليب معلقاً بين الأرض والسماء، وصخورها انتفضت عندما حطم الأغلال وقام منتصراً على قوات الشر والفساد. فالقدس هي المدينة التي اختارها الله لتكون مسرحاً للملحمة الإلهية الكبرى. ولتكون مدينة الفداء والخلاص والتحرر والإنعتاق⁵

ب. مدينة الفداء:

إذا كانت بيت لحم مدينة المولد الساطع فقرا ونورا، في حضن الطبيعة، وإذا كانت الناصرة مدينة الطفولة والشباب والاستعداد الطويل في الصلاة والعمل، وإذا كانت ارض الجليل، بتلاله وبحيرتها وسهولها وجمالها، مقر البشارة الأولى، فأورشليم هي مدينة الفداء وما يستمد منه. إلهيا كان يسوع يصعد في الأعياد ويسمع صوته. وفيها قضى آخر أيامه، وأجرى أعظم آياته؛ السر الفصحى، أي سر الألم والموت والدفن والقيامة والصعود والعنصرة. وهناك أنشأ ما يخلد سره الفصحى عبر الدهر، من قربان وكهنوت، إلى جانب الوحي بأعمق شؤون إيماننا، والادلاء بأهم وصايا شريعتنا: المحبة. لذلك كان لديانة المسيح صلة صميمية بأورشليم هي جزء من تدبير الخلاص، لا يمكن فصله عن الوحي الإلهي « (دانيال رويس)⁶ ».

ج. القدس أم الكنائس:

قبل صعوده الى السماء أوصى يسوع تلاميذه إلا يبرحوا من القدس. بل أن ينتظروا فيها كي يؤيدوا بقوة الروح القدس. خمسين يوماً بعد قيامة المسيح، حل الروح القدس على التلاميذ فولدت الكنيسة، ولدت ففي القدس، لذلك دعيت القدس بأُم الكنائس.

4- متى 23:37

5- القس متري الراهب، ارتباط المسيحيين بالقدس، دراسات فلسطينية اسلامية مسيحية، ص. 80.

6- الاب جورج سابا، القدس في المسيحية، مجلة اللقاء، السنة الخامسة، العدد الثاني، 1990، ص. 68.

يوم ميلاد الكنيسة المسيحية هو يوم خاص بالنسبة لنا نحن العرب المسيحيين، إذا نقرأ في العهد الجديد أن عربا كانوا في القدس يوم نشأت الكنيسة وأنهم قبلوا الروح القدس، وبذلك يصبح هذا التاريخ ميلاد كنيسة العرب.

من القدس انطلقت البشارة المسيحية إلى المكونة كلها. وفيها عقد الرسل مجمعهم الأول ليناقدشوا التحديات التي تعترض طريق الكنيسة، وبقيت القدس مقر القيادة الكنيسة حتى سنة ست وستين ميلادية، عندما اندلعت الحرب في فلسطين واضطهد المسيحيون واضطروا للجوء إلى شرق الأردن⁷ ولهذا دعيت الكنيسة الأولى في الإنجيل الخامس، كون حجارته وأسوارها تتحدث عن حياة السيد المسيح، وكون كنائسها تشهد عن أعماله، وأجراسها تذيع حمده. ولهذا راح الرهبان يهرعون إلى فلسطين ليسكنوا القدس وبرارها، يبنون الأديرة، ويقومون الصلاة. وأصبحت القدس مركزا للإشعاع المسيحي، ففيها طورت الكنيسة طقوس العبادة المسيحية، فبالقرب من القبر المقدس وفي القرن الرابع الف القديس كيرلس المقدسي نظام العبادة والقداس الإلهي. ولأهميتها رأى المسيحيون في القدس مركز العالم برمته، لذلك رسموا في الخرائط القديمة القدس في الوسط دلالة على مركزيتها، كما يظهر على سبيل المثال لا الحصر في فسيفساء مأدبا في القرن السادس.

ولهذا بنيت بجانب كنيسة القيامة كنيسة أخرى أطلق عليها اسم كنيسة نصف الدنيا دلالة على أن القدس هي قلب العالم النابض. وبقيت القدس في قلوب المسيحيين على مختلف ألوانهم وأجناسهم، وبقي شوق غريب يداعبهم ليحثهم على زيارة القدس والتبرك بمقاماتها⁸ يعتقد المسيحيون في رؤية إيمانهم أن القدس التي تكلم عليها الأنبياء في مكان الخلاص الذي تنبأوا به، والذي تحقق في يسوع المسيح وبواسطته. وفي الأناجيل المقدسة، فإن القدس ترفض المرسل إليها ليخلصها، وهو يبكي عليها لأن مدينة الأنبياء هذه ومدينة أحداث الخلاص الأساسية، أعني موت يسوع وقيامته، قد عميت عن رؤية طريق السلام (لوقا 19:42).

وفي أعمال الرسل فان القدس هي المكان الذي حل فيها الروح القدس، ومكان ميلاد الكنيسة فصل (3)، وجماعة تلاميذ يسوع الذين سيكونون شهداء له ليس فقط فيها بل وفي أرجاء المعمورة (1:8)، وفي القدس أيضا جسدت الجماعة المسيحية الأولى المثال الكنسي الذي ظل مرجعا دائما للجميع

وأما سفر الرؤيا فإنه يبنى بأورشليم الجديدة السماوية (راجع 3:12 و 2:12 وقارن مع غلاطية 26:4 وعبرانيين 12:22). وهذه المدينة المقدسة هي صورة للخلق الجديد ولتطلعات الشعوب كلها، حين «يكفكف الله كل دموع تسييل من عيونهم، ولا يبقى للموت وجود ولا للبكاء ولا للصراخ والألم، لأن العالم القديم قد زال» (4:21).

وأورشليم الأرضية هي في التقليد المسيحي صورة لأورشليم السماوية و «لرؤية السلام». وقد اتخذت الكنيسة لنفسها في الطقوس الدينية اسم اورشليم، وأخذت تعيش جميع لآلام المدينة وأفراحها وآمالها. وقد أصبحت الطقوس الدينية التي تكونت في المدينة المقدسة أساس لجميع الطقوس الدينية في كل مكان وزمان ولهذا تركت هذه الطقوس أثرا عميقا فيما بعد في الطقوس الدينية المختلفة، وذلك عن طريق الحجاج الكثيرين، وبسبب الأهمية الرمزية التي كانت تتمتع بها المدينة المقدسة وكثر الحج ونما معه شيئا فشيئا الإحساس بضرورة الجمع بين تقديس المكان، عن طريق الاحتفالات

7- القس متري الراهب، ارتباط المسيحيين بالقدس، دراسات فلسطينية اسلامية مسيحية، ص. 82.

8- القس متري الراهب، ارتباط المسيحيين بالقدس، دراسات فلسطينية اسلامية مسيحية، ص. 83.

في الأماكن المقدسة، وتقديس الزمن، عن طريق التقويم الزمني للاحتفال بالأحداث الخلاصية المقدسة (راجع إيجاريا والقديس كيرلس الأورشليمي). واحتلت القدس بسرعة مكانا فريدا في قلب العالم المسيحي في كل مكان. وظهر لاهوت الحج ومعه روحانية خاصة به. فهو زمن زهد وإحياء للكتاب المقدس عن طريق العودة إلى الينابيع، وزمن اختبار كان المسيحيون يذكرون فيها أنهم غرباء وحجاج على الأرض (عبرانيين 11:3)، وأن دعوتهم، أفراد وجماعات، في كل مكان وزمان، تقوم بحمل صليب يسوع والسير خلفه⁹

٢. القدس مدينة مقدسة اليوم

القدس مدينة مقدسة بالنسبة لنا كمسيحيين، لكن قداستها لا تكمن في حجرها بل في بشرها، واليوم ولأول مرة في تاريخ القدس أصبح الوجود الفلسطيني في القدس مهددا بالاضمحلال. نظرة سريعة على بعض الإحصائيات عن القدس:

أ.	القدس القديمة أحياء مسيحية أحياء مسلمة أحياء يهودية مرافق عامة	927 دونم 420 دونم 405 دونم 40 دونم 6,2 دونم
ب.	عدد الأديرة ما يقارب	100 دير وكنيسة
ج.	عدد المدارس	24 مدرسة
د.	عدد المؤسسات الخيرية	47 مؤسسة

فقد بلغ عدد المسيحيين الفلسطينيين في القدس عام 1947 (27,000)، وهذا يعني أن عددهم اليوم كان يجب أن يكون على الأقل الضعف إن أخذنا المعدل الطبيعي للتكاثر في فلسطين، ولكن واحسرتاه إذ لا يعيش في القدس اليوم سوى (9000) مسيحي فلسطيني مما يعني أن 5/6 المسيحيين الفلسطينيين قد هجروا وهاجروا في الأربعين سنة الأخيرة.

اليوم ولأول مرة في تاريخ فلسطين أصبح أبناء فلسطين من مسيحيين ومسلمين غرباء في عقر دارهم، فهم محرومون من رؤية زهرة مدائنهم، ومحرومون من رؤية أهم القدس، بينما أضحت القدس سجنينة لا يستطيع الفلسطيني أن يزورها إلا بتصريح عسكري. يحدث هذا على مرأى ومسامع العالمين المسيحي والإسلامي، فلو منع اليهود من زيارة القدس لأقاموا الدنيا ولم يقعدوها، أما وقد منعنا كفلسطينيين من زيارتها، فما من أحد يحرك لنا ساكنا¹⁰

ويستمد العدل والسلام من واقع القدس، المادي والروحي، دوافعه وقواعده الثابتة. إن القدس هي مدينة الله التي يستظل تحت جناحيها أبناء الله الكثيرون. وعليه فلا يمكن أن يتم السلام لفئة على حساب فئة أخرى، كما لا يمكن أن ينعم شعب بسلام القدس عندما يحرم غيره من هذه النعمة. إن الاستثنائية والإنفرادية اللتين تحرمان فئة من خلايق الله من نعمة القدس لهما تعد على طبيعة القدس ودعوتها ورسالتها وواقعها التاريخي والديني والسياسي. وهذا يتطلب رؤية سياسية رحبة تترجم هذا

9- مذكورة: "المفهوم المسيحي للقدس"، رؤساء الكنائس المسيحية في القدس، 23 تشرين ثاني 1994، رقم 8-6.

10- القس متري الراهب، ارتباط المسيحيين بالقدس، دراسات فلسطينية اسلامية مسيحية، ص. 48-58.

الواقع إلى حقيقة سياسية تستوعب معطيات القدس ومركزيتها لجميع أبنائها وللعالم بأسره. وعلى هذا الأساس تصبح القدس نقطة تنافر، داعية الجميع إلى أن يكونوا قادرين على قبول بعضهم البعض بكل واقعهم الإنساني والسياسي والاجتماعي والديني والثقافي.

٣. مستقبل المدينة

إن حل القضية الفلسطينية، والصراع العربي الإسرائيلي، يجب أن يبدأ بإيجاد صيغة سياسية أصيلة ومبتكرة لمدينة القدس، صيغة تعكس ما ذكرناه من خواص تنفرد بها هذه المدينة المقدسة¹¹ في هذا الصراع تحتل القدس مكانة مركزية من حيث معناها وأهميتها للديانات الموحدة الثلاث، الإسلامية واليهودية والمسيحية. ففي كل حل لا بد من الأخذ بعين الاعتبار في الوقت نفسه التطلعات القومية للشعبين الفلسطينيين والإسرائيليين، والعلاقة الروحية العميقة التي تشد جميع مؤمني العالم من مسلمين ويهود ومسيحيين إلى المدينة المقدسة والبلاد التي تحوطها¹² إن إيجاد صيغة تبقى المدينة على وحدتها وفي الوقت عينه تحترم جميع أسماؤها ممكن، لا بل ضروري وحيوي وحاسم لمستقبل السلام. إن السلام المنشود للأرض المقدسة الذي يستمد من حل مسألة القدس نموذجاً يمكن أن يكون عليه السلام في المنطقة كلها. وإن الاختفاق في هذا الحل يعني إبقاء المنطقة على بركان دفين يمكن أن يتفجر في أية لحظة. إن هذه المدينة المقدسة تستحق كل ما يمكن أن يبذل من جهود تجتهد لها أفضل طاقات المخيلة الإنسانية الخلاقة لإيجاد الحل الذي يشعر فيه كل من ينتمي إلى هذه المدينة المقدسة، انتماء قومياً أو روحياً، إنه في بيته، حيث لا ظالم ولا مظلوم، لا غالب ولا مغلوب، لا مستعبد ولا مُستعبد، لا مواطن من الدرجة الأولى وغريب من الدرجة الثانية، إن مدينة القدس هي ملهمة السلام ومحركة.

إننا نأمل أن يأتي اليوم الذي فيه يتحقق قول الحديث الشريف: "من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقاع الجنة فلينظر إلى بيت المقدس" وتتم نبوءة أشعيا العائلة: "فيسكن الذئب مع الحمل، وبريض النمر مع الجدي، ويكون العجل والشبل المخلوف معا وصبي صغير يسوقها" (أشعيا 11: 6)، ويتحقق ما اراده السيد المسيح دائماً، أي أن يجمع جميع أبناء المدينة المقدسة كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها (متى 38 - 37: 23)¹³

يؤكد رؤساء الكنائس المسيحية في وثيقة نشرت عام 1994 أنه "حتى تكون مدينة القدس مدينة السلام، وحتى لا يطعم فيها بعد الآن طامع من الخارج، وحتى لا تبقى سبباً للصراع بين أطراف متحاربة، يعلمنا التاريخ أنه لا يمكن لهذه المدينة أن تكون ملكاً لشعب أن لدين واحد فقط، بل يجب أن تكون القدس مفتوحة للجميع، وأن يشارك الجميع فيها من واجب الذين يحكمون هذه المدينة أن يجعلوها منها "عاصمة إنسانية" وقد تساعد هذه الرؤية الشمولية للقدس هؤلاء الذين يتولون السلطة فيها لكي يفتحوها أمام الآخرين ويقبلوا إشراكهم فيها، لأنهم هم أيضاً يحبونها وينظرون بشوق إليها"¹⁴.

11- راجع الوثيقة الأساسية: "اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة"، اصدار "مركز اللقاء للدراسات الدينية في الأرض المقدسة، 1988.

12- البطريرك ميشيل صباح، القدس مدينة السلام، كلمة في افتتاح الدورة العشرة لمؤتمر التراث العربي للمسيحيين والمسلمين في الأرض المقدسة، 1992؛ في "القدس. دراسات فلسطينية إسلامية مسيحية"، ص. 34.

13- راجع الوثيقة الأساسية: "اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة"، اصدار "مركز اللقاء للدراسات الدينية في الأرض المقدسة، 1988.

14- مذكرة: "المفهوم المسيحي للقدس"، رؤساء الكنائس المسيحية في القدس، 23 تشرين ثاني 1994، رقم 5.

٤. الحضور المسيحي المستمر:

بالنسبة إلى الديانة المسيحية، فإن القدس هي مكان الجذور الحية أبداً والمحبة. فيها ولد كل مسيحي. وكل مسيحي يشعر في القدس أنه "في بيته" منذ ما يقارب ألفي سنة، ظلت الكنيسة المحلية مع جميع مؤمنائها حاضرة في القدس حضوراً فعالاً، عبر الصعوبات العديدة ومع تعاقب الحكومات الكثيرة عليها. وظلت الكنيسة المحلية تشهد، عبر العصور وفي الأماكن نفسها، لحياة السيد المسيح وبشارته وموته وقيامته. وكان المؤمنون يستقبلون إخوانهم وأخواتهم في الإيمان، حجاجاً مقيمين أو عابري سبيل، ويدعونهم إلى الانتعاش في هذه الينابيع الكنسية المتجددة الحيوية مدى الأجيال. وهذا الحضور المستمر لجماعة مسيحية حية لا يمكن فصله عن المكنة التاريخية، لأنه من خلال "الحجارة الحية" تستمد الأماكن الأثرية المقدسة حياتها¹⁵

القدس مدينة مقدسة ومدينة كسائر المدن. كمدينة، فيها سكان لهم حاجاتهم ومتطلبات حياة كريمة من تعليم وصحة وعمل وحقوق اقامة وغيرها من الحقوق الطبيعية لكل سكان المدن. ونعلم جميعاً أن هذه الحقوق غير مضمونة لسكان القدس كونها مدينة محتلة وبسبب سياسة التهويد. يجب أن لا ننسى واقع السكان في هذه المدينة وحقوقهم في اختيار ممثليهم ومن يحمي حقوقهم. وللقدس في المفهوم المسيحي بعدان أساسيان لا يمكن الفصل بينهما وهما: أولاً: القدس مدينة مقدسة، وفيها أماكن مقدسة عزيزة جداً على المسيحيين، بسبب ارتباطها بتاريخ الخلاص الذي تحقق في يسوع المسيح وبواسطته. ثانياً: هي مدينة فيها جماعة من المسيحيين عاشوا فيها بصورة مستمرة منذ نشأتهم.

وهكذا فإن القدس بالنسبة إلى المسيحيين المحليين، كما هو الحال أيضاً بالنسبة إلى المسلمين واليهود المحليين، ليست مدينة مقدسة فحسب، بل هي المدينة التي ولدوا فيها وفيها يعيشون. ومن ثم حقهم على متابعة العيش فيها، مع كل الحقوق التي تنجم عن ذلك¹⁶ القدس هي في جوهرها مدينة مقدسة، ولهذا يجب أن تتمتع، فوق أي اعتبار، بحرية الوصول على أماكنها المقدسة وبحرية العبادة. ثم إن الحقوق من حيث الملكية والرعاية والعبادة التي اكتسبتها الكنائس المختلفة عبر العصور يجب أن تبقى كما هي بيد الكنائس نفسها. وهذه الحقوق التي يحميها اليوم نظام "الستاتوكو" للأماكن المقدسة وفقاً "للقرارات" التاريخية وغيرها من الوثائق، يجب الاستمرار في الاعتراف بها واحترامها.

إن المسيحيين في العالم كله، سواء من الغرب م من الشرق، يجب أن يكون لهم حق القدوم إلى القدس لأداء الحج. وينبغي أن يجدوا فيها كل ما هو ضروري لأداء الحج وفقاً لروح تعاليمهم الدينية الأصلية، فتكون لهم حرية الزيارة والتنقل وأداء الصلاة في الأماكن المقدسة، وتوفير الرعاية الروحية واحترامهم في أثناء أداء شعائر إيمانهم، وإمكانية إقامة مطولة، وما يلزم من الخدمات للضيافة والإقامة اللائقة

يجب أن تتمتع الجماعات المسيحية المحلية بكل الحقوق التي تمكنها من متابعة حضورها الفعال بحرية، ومن الاضطلاع بمسؤولياتها تجاه أعضائها المحليين أنفسهم وتجاه الحجاج المسيحيين من العالم أجمع. يجب أن يتمتع المسيحيون المحليون، ليس فقط لأنهم مسيحيون، بل مثل جميع المواطنين،

15- مذكرة: "المفهوم المسيحي للقدس"، رؤساء الكنائس المسيحية في القدس، 23 تشرين ثاني 1994، رقم 9.

16- مذكرة: "المفهوم المسيحي للقدس"، رؤساء الكنائس المسيحية في القدس، 23 تشرين ثاني 1994، رقم 10-12.

المتدينين وغيرهم، بكافة الحقوق الأساسية، الاجتماعية والثقافية والسياسية والقومية¹⁷
5. وضع خاص لمدينة القدس؟

كل هذا يفترض مقدما وضعاً خاصاً قانونياً وسياسياً لمدينة القدس يعكس الأهمية العالمية للمدينة
وبين معناها. يؤكد رؤساء الكنائس المسيحية على هذا الوضع الخاص في مذكرتهم عام 1994:

1. من أجل تلبية الطموحات الوطنية لجميع سكانها، ومن أجل أن يشعر كل واحد من اليهود
والمسيحيين والمسلمين في القدس أنه في بيته، وحتى يكونوا جميعاً في سلام مع بعضهم
البعض، لا بد من إشراك ممثلين من الديانات الموحدة الثلاث، بالإضافة إلى القوى السياسية
المحلية، في تحديد هذا الوضع الخاص وتطبيقه.

2. وبسبب البعد العالمي لمدينة القدس، فلا بد من أن يلتزم المجتمع الدولي في تثبيت وديمومة
هذا الوضع. إن القدس أعز وأثمن من أن تكون منوطة. بسلطات بلدية أو سياسية أو قومية
فقط، أياً كانت. والخبرة تبين أن الضمانات الدولية أمر ضروري.

إن الخبرة تبين أن مثل هذه السلطات المحلية قد تجد نفسها أحياناً مضطرة، لأسباب سياسية أو
مقتضيات أمنية. لنقض حق حرية الوصول إلى الأماكن المقدسة. ولذا فإنه من الضروري أن يكون
للقدس وضع خاص، يحول دون جعل القدس ضحية قوانين تفرض عليها بسبب حالات عداً أو حروب.
بل تكون مدينة مفتوحة تسمو فوق النزاعات المحلية والإقليمية والسياسية العالمية ويشارك في
تحديد هذا الوضع السلطات الدينية والسياسية المحلية، ثم يجب أن يدعم بضمانات من قبل الأسرة
الدولية¹⁸

٦. موقف الكنيسة الكاثوليكية

عبر المطران جان لويس توران في كلمته أمام الأمم المتحدة عن موقف الكرسي الرسولي من القدس،
وذلك في 1998/10/26

تعتبر الكنيسة الكاثوليكية القدس مدينة محتلة، "فمنذ عام 1967، احتل جزء من المدينة
احتلالاً عسكرياً ثم ضم. وتقع في هذا الجزء المحتل معظم الأماكن المقدسة للديانات الموحدة الثلاث.
القدس الشرقية محتلة بطريقة غير شرعية" لذا من الخطأ القول أن الكرسي الرسولي يهتم فقط
بالبعد الديني للمدينة أو بأبعادها الأخرى، ويهمل بعد الأرض أو البعد السياسي لها. الكرسي
الرسولي مهتم بهذا البعد أيضاً، وله الحق وعليه الواجب في ذلك، لاسيما ما دامت القضية من غير
حل، وما دامت سبب نزاع وظلم وانتهاك لحقوق الإنسان وسبب حد من حرية العبادة والضمير وخوف
وقضية أمن للأشخاص. لا شك أن اهتمام الكرسي الرسولي الأول هو الأمور الدينية، وبلي ذلك
اهتمامه بالأبعاد الأخرى، السياسية والاقتصادية، بسبب انعكاساتها الأدبية. صحيح أن الكرسي
الرسولي لا يتدخل في الخلافات حول الحدود بين الدول ولا يتحيز لطرف دون الآخر ولا يفرض حلولاً
مفصلة، لكن له الحق وعليه الواجب في تذكير الأطراف المتنازعة بواجب البحث عن الحلول بالطرق
السلمية، مع احترام مبادئ العدل والمساواة في إطار القوانين الدولية

في موضوع القدس، كلا البعدين الديني والسياسي أي بعد الأرض مرتبطان ببعضهما البعض
ارتباطاً وثيقاً، بالرغم من اختلافهما من حيث المضمون الأساسي، ومن حيث طريقة المعالجة والبحث
عن الحلول.

17- مذكورة: "المفهوم المسيحي للقدس"، رؤساء الكنائس المسيحية في القدس، 23 تشرين ثاني 1994، رقم 11.

18- مذكورة: "المفهوم المسيحي للقدس"، رؤساء الكنائس المسيحية في القدس، 23 تشرين ثاني 1994، رقم 14.

١. ماذا يطلب الكرسي الرسولي للقدس؟

يطلب أولاً أن تحترم القدس كما هي بخصوصيتها، أو كما يجب أن تكون، وليست الآن كذلك إذا نظرنا
إلى وضعها الحالي، هذا ما عنيته عندما تكلمت قبل قليل على دعوة المدينة المقدسة وهويتها. القدس كنز
لل البشرية بأسرها. ومع النظر إلى وضع الصراع القائم والصريح، وإلى ما يحدث فيها من تغيرات سريعة،
فأي حل من جانب واحد أو أي حل مفروض بالقوة ليس الحل، ولا يمكن أن يكون هو الحل.

يرى الكرسي الرسولي أن أي استئثار بالمدينة المقدسة - سياسياً كان أم دينياً - يناقض طبيعة
المدينة والمنطق الخاص بها. أكرر: كل مواطن يعيش في القدس وكل حاج أو زائر يمر فيها يجب أن
يقبل بروح الحوار والتعايش والاحترام الذي تفرضه المدينة ولا يجوز أن يعتمد الاستئثار بالمدينة
على معطيات تاريخية أو على العدد.

إنه لا مستقبل للسلام والتعايش في الأرض المقدسة والشرق الأوسط، إلا إذا وجد حل لقضية
القدس السياسية. فالأببا يوحنا بولس الثاني يقول في رسالته "سنة الخلاص" عام 1984: "أنا مقتنع
أن الفشل في إيجاد حل مناسب لقضية القدس، وأن تأجيل البحث في القضية، يزيد في صعوبة
إيجاد الحل السلمي والعدل للشرق الأوسط بأكمله".

ب. الوضع الخاص:

فيما يختص بالقدس، ما زال الكرسي الرسولي يطلب أن يكون للمدينة وضع خاص يحميها وله
ضمانات دولية - ماذا يعني ذلك؟ يرى الكرسي الرسولي أنه:

أ. يجب حماية الميزات التاريخية والمادية، والدينية والحضارية للمدينة. وقد حان الوقت أيضاً
للكلام على ترميم وحماية ما بقي قائماً منها.

ب. يجب أن تتمتع الجماعات الدينية الثلاث الموجودة في المدينة بالمساواة في الحقوق والمعاملة،
وذلك ضمن إطار من حرية النشاطات الروحية والحضارية والمدنية والاقتصادية

ج. يجب المحافظة على الأماكن المقدسة الموجودة في المدينة، وعلى حق حرية الدين والعبادة
فيها وحرية الوصول إليها وذلك لسكان المدينة وللحجاج، سواء أتول من الأرض المقدسة أو
من أماكن أخرى من العالم.

الموضوع والقضية الأساسية هي المحافظة على هوية المدينة المقدسة بكاملها وحمايتها، من جميع
جوانبها. فعلى سبيل المثال لا يكفي مبدأ "الاستقلال الذاتي" (extraterritoriality) مع ضمان
وصول الحجاج إليها من غير عائق - فهوية المدينة تتضمن طابعاً مقدساً لا ينطبق فقط على المواقع
بمفردها أو المباني الأثرية، كما لو كان يمكن فصل هذه الأخيرة عن بعضها البعض أو عن الجماعات
المؤمنة فيها. قدسية القدس تشمل المدينة بكاملها بأماكنها المقدسة وجماعاتها المؤمنة ومدارسها
ومستشفياتها ونشاطاتها الحضارية والاجتماعية والاقتصادية.

خاتمة:

دعاء للقدس:

ادعوا بالسلام لأورشليم - وقولوا: "ليسعد من بك يهيم" - ليحل السلام بأسوارك - والرخاء
داخل قصورك - واني حبا بإخواني وخلصاني - سأحييك تحية السلام - وحبا ببيت الرب الهنا - سأدعو
لك بالإنعام (مزمو 121)

إنذار لأورشليم: أورشليم أورشليم، - يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها! - كم مرة أردت أن
أجمع أبناءك - كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها! فلم تريدوا. - هو ذا بيتكم يترك لكم
- ها هوذا بيتكم يترك لكم. (لوقا 13، 34-35)

نحو مكتبة رقمية لتراث القدس

أحمد السعيد

باحث في كلية الآداب، تطوان، المغرب

ينطلق هذا العرض من سؤال التراث، أي تراث، وقدرته على مجازاة التحولات المعاصرة بما فيها التحولات المعلوماتية.. إذ إن التراث اليوم وحصره عند بعض الباحثين في مفهومه وقضاياه ومكوناته.. صار قاصرا بمعزل عن هذا الطريق السيار للمعلومات، وأكاد أجزم بأن أي تراث ليس موجودا ومتوافرا من حيث مصادره على شبكة الأنترنت هو تراث يكاد يكون ميتا بغض النظر عن مضامينه وقيمه الفكرية. من هنا صار توفير التراث على الأنترنت بما هو تركة فكرية عن القدامى فرض عين على المحدثين لكن أي تراث هو المقصد هنا؟

بغية هذا العرض تجلية مظاهر التراث العربي الإسلامي عامة والفلسطيني خاصة والمقدسي على الأخص كيف يمكن خدمة هذا التراث المتألف من نصوص مخطوطة ومطبوعة في مختلف مجالات المعرفة؟ كيف يكون حفظه من دون الحاجة إلى خزائن، وصيانته من دون الحاجة إلى مواد لمقاومة الآفات الطبيعية والبشرية والفيزيائية وترميمه من دون الحاجة إلى آلات ملء خرومه وتبييضه وإزالة الحموضة منه..، وقراءته من دون الحاجة إلى طباعته أو قراءته باستعمال القارئات الفيليمية..؟ خدمة هذا التراث متيسرة جدا وذلك بواسطة التقنيات المعلوماتية الحديثة (الحاسوب، الأنترنت، الماسح الضوئي، برامج التنسيق والقراءة والترميم والصيانة المعلوماتية).

غرضنا هو إحياء تراث القدس ليس من وجهة علمية أي الدعوة إلى نشر هذا التراث وتحقيقه ودراسته، فكثير من الباحثين يجعلوننا في غنية عن ترداد هذا الأمر، بل إحياء ذاك التراث بتوفيره على الأنترنت في شكل مكتبة رقمية تضم تراث القدس المخطوط والمطبوع أي النصوص المعروفة نسبتها إلى هذه الحاضرة، لكن ما الخطة الكفيلة بإنجاز هذه المكتبة؟

لأبد من الإشارة إلى أن هذه المكتبة تقوم في كليتها على الرقمنة digitalisation أي تحويل المخطوط أو المطبوع أو الصورة أو الرسم إلى مادة رقمية يمكن تصفحها على الحاسوب الشخصي وفي الأنترنت بما هي واقع افتراضي Virtual Reality ومن ركائز هذه الخطة:

إنشاء موقع إلكتروني على الأنترنت يكون مكتبة للمواد الرقمية من مخطوطات ومطبوعات ودوريات في البدء يومكن توسعته ليشمل كل ما أنتج في مجال القدس وفلسطين فكريا وفنيا.. إحصاء دقيق لهذا التراث والقيام بدراسة بيبليوغرافية عنه خصوصا المخطوط منه (أماكن وجوده، عدد نسخه، تاريخ النسخ، حالته المادية)

القيام بجهود أولية لجمع هذا التراث بالتصوير أو بالاقترناء، والبدء أولا بالتراث الأقرب فالقريب ثم البعيد من حيث المكان، إذ لا يمكن التعويل على جمع التراث كله ثم القيام بعد ذلك بتصويره، فهذا صعب جدا، ثم يمكن البدء بالتراث المخطوط لأنه الأكثر عرضة للتلف، كما ينبه هنا إلى ضرورة احترام شروط الملكية الفكرية، ومن ثم فلا بد من اقتناء هذه الحقوق من لدن المؤلفين أو دور النشر. البدء بتصوير هذا التراث بالماسح الضوئي المتطور الذي يتوافر على سرعة قياسية يمكن بواسطته تصوير الكتب المخطوطة والمطبوعة في دقائق معدودة.

معالجة المواد المصورة ببرامج معلوماتية تحول الصور إلى كتاب إلكتروني وتفهسه مما ييسر قراءته

ببرامج متطورة مثل (أدوب رايدر). ونبيه هنا إلى أن الكتاب المخطوط أو المطبوع يكون مطابقا تماما للأصل، ومن ثم فهو صالح للاعتماد في مجال البحث العلمي.

هندسة الموقع الإلكتروني وتصنيف مواده حسب التخصص المعرفي أو الزمان أو عنوان الكتاب أو اسم مؤلفه.. ويتم تحيين هذا الموقع كلما جد جديد مثل إضافة مواد جديدة..

لو توافر لكل عملية بعينها فريق (فريق البحث عن التراث وفهرسته، فريق التصوير، فريق المعالجة المعلوماتية، فريق النشر على الأنترنت، فريق الصيانة والمراقبة والحماية من القرصنة..) وإن كان العمل برعاية مؤسسة ومدعما ماديا ومنهجيا لكان من القيمة بمكان، كما هو شأن مشروع رقمنة تراث الجامع الأزهر بالقاهرة برعاية إحدى مؤسسات الإمارات.

إنشاء منتدى في الموقع نفسه للتداول بشأن هذا التراث ومناقشته ودراسته..

وبعد، فما الثمرات المنتظرة من مثل هذا العمل؟

المتتبع للأنترنت وما تتركه في مجال التراث والبحث العلمي سيجد عددا من المواقع والمنتديات العربية التي أنشئت بمجهودات فردية كالوقفية والمكنز والمصطفى وملتقى أهل الحديث واللوكة.. وسيقف على الفوائد الجمة التي تقدمها، وخاصة الاطلاع على المواد الرقمية من مخطوطات ومطبوعات، وهذا أمر لا مرء فيه. وهذا المشروع إذا تحقق وقبض له أن يرى النور، فقيمه المعرفية والحضارية والاستراتيجية والفكرية والمستقبلية كبيرة جدا، وبإمكان المتصفح في أي مكان من العالم الاطلاع على تلك المواد الرقمية وتحميلها والاستفادة منها بطريقة سهلة جدا، ومن ثم فاستشراف الواقع الثقافي والفكري لمدينة القدس يبتغي في هذا العرض استنبات هذا الواقع في المستقبل أي جعل تراث القدس حيا ومتداولاً ومتفاعلاً في الواقع الحقيقي والافتراضي، ذلك يعني أكثر الحفاظ على الذاكرة الجماعية بواسطة ذاكرة أخرى رقمية تكون متاحة للأجيال القادمة.

كتب هذا البحث بالتعاون
بين هيئة التوجيه السياسي والوطني
وبين جامعة النجاح

مستقبل القدس الشرقية وفق الرؤية الإسرائيلية

عليان الهندي

الفهرس

29	المقدمة
31	الأهداف الإسرائيلية في القدس الشرقية
31	جغرافيا
31	تغييرات جغرافية في القدس ومحيطها
33	ديموغرافيا
34	الإجراءات الإسرائيلية في القدس
35	قوانين وقرارات
37	مستعمرات
41	طرق وسكك حديدية في القدس ومنطقتها
42	جدار الفصل الطرد
45	إجراءات اقتصادية
45	إجراءات بحق الأماكن المقدسة
46	حل البلدية وإغلاق المؤسسات
47	الرؤية الإسرائيلية المستقبلية للقدس
50	الخلاصة
51	ملاحق
51	خارطة القدس الكبرى
51	خارطة الحفريات الإسرائيلية في البلدة القديمة في القدس
51	صورة ساحة البراق المستقبلية
51	صورة موقع الهيكل الثالث

مقدمة¹

لن يجد من يرغب قراءة المشروع الإسرائيلي المستقبلي للقدس الشرقية أو التعرف عليه أية صعوبة في معرفة تفاصيله، بما في ذلك المواطن العادي الذي نفذت بحقه كل الإجراءات الهادفة لترحيله من المدينة المقدسة، التي يجري فيها العمل بكثافة لتغيير وضعها الديني والتاريخي والديموغرافي والجغرافي.

وتعدت الإجراءات الإسرائيلية بحق المدينة المقدسة المواطنين العرب الفلسطينيين من مسلمين ومسيحيين، إلى الأرض والأماكن المقدسة وكل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وإذا قدر للمشروع الإسرائيلي النجاح -لا سمح الله- لأصبحت المدينة المقدسة خالية من سكانها العرب، وحولت أماكنها المقدسة إلى كنس ومواقع مقدسة لليهود بما في ذلك بناء هيكل سليمان المزعوم. يذكر أن دولة إسرائيل احتلت عام 1967 ما تبقى من مدينة القدس التي أصبحت تعرف بعد عام 1948 بالقدس الشرقية، وأصبح شطرا المدينة موحدتين تحت الاحتلال الإسرائيلي، الذي بذل جهودا حثيثة ومتواصلة من أجل تغيير معالمها وتحويلها من عربية إسلامية إلى يهودية وإلى منطقة فصل بين الفلسطينيين بعد أن كانت قبلتهم وعاصمتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكانت بخطوط مواصلاتها التاريخية حلقة الوصل بين معظم أجزاء فلسطين ومع الضفة الشرقية ومن ثم مع بقية العالم العربي والإسلامي.

تحاول الدراسة المطروحة أمامنا طرح الوقائع الإسرائيلية منذ عام 1967 حتى يومنا هذا، ومحاولة وضع تصور إسرائيلي مستقبلي للقدس الشرقية بناء على الدراسات والمشاريع المختلفة المطروحة من المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية ومراكز الأبحاث الإسرائيلية المعنية في موضوع القدس، في عدة مجالات أساسية أهمها العوامل الجغرافية والديموغرافية والدينية والبلدية، مع محاولة التركيز على الشطر الشرقي من القدس.

كتبت هذا البحث مفترضا أنه لن يكون هناك اتفاق سلام نهائي مع الفلسطينيين. وحتى لو كان هناك اتفاق فإن الحقائق المفروضة على الأرض لا يمكن لأي اتفاق سلام تجاهلها مستقبلا. كما أنني لم أتطرق في هذا البحث لمواقف مختلف الأطراف من موضوع القدس لأن موقفها ليس موضوع البحث. ولا بد من الإشارة إلى اعتمادي على كثير من المراجع العبرية في هذا البحث لأن جزءا كبيرا منها جاء على شكل مخططات رسمية مستقبلية على المستويين البلدي اليهودي والحكومي، ولأن المراجع العربية قليلة في هذا الموضوع. وحتى المراجع العربية التي كتبت في هذه المواضيع فقد اعتمدت كثيرا على المراجع العبرية مثل موضوع الإحصاءات وغير ذلك. ونتيجة لذلك فضلت العودة للأصل لتمكيني من اللغة العبرية.

كتبت هذا البحث لصالح مؤتمر القدس العاشر الذي يعقد سنويا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، وذلك بالتعاون مع هيئة التوجيه السياسي والوطني في السلطة الوطنية الفلسطينية.

1-عليان الهندي : باحث في الشؤون الإسرائيلية. ألف العديد من الكتب والأبحاث في الشأن الإسرائيلي أهمها: "سياسة الفصل والعزل" و "الجدار الفاصل: وجهات نظر إسرائيلية في الفصل أحادي الجانب" و "الجدار الفاصل في القدس" و "خيارات إسرائيلية للحل النهائي في الضفة الغربية وقطاع غزة" والجهات اليهودية العاملة لبناء الهيكل. ترجم العديد من الكتب والأبحاث العبرية من أهمها: "الانتفاضة: أسباب وميزات وخصائص" لأرييه شاليف و "الطعم في المصيدة: سياسة إسرائيل في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967-1998" لشلومو غازيت، وأسياد البلاد: المستوطنون ودولة إسرائيل 1967-2004 لعقيبا إدار وعديت زرطال و "بين الانذار والمفاجأة" لشلومو غازيت و "الأبعاد الاقتصادية لجدار الفصل" لمجموعة مؤلفين.

وإناسبة الإعلان أن القدس عاصمة للثقافة العربية عام 2009 لعل ذلك يساهم في تزويد أصحاب القرار والأكاديميين والمهتمين بموضوع القدس بالمخططات الإسرائيلية المستقبلية، في محاولة مني لمساعدتهم في وضع مشاريع وبرامج مضادة للمحافظة على الوجود والتاريخ العربي والإسلامي لهذه المدينة المقدسة.

وأخيراً أقدم بالشكر لكل من ساعدني في إخراج هذا البحث لحيز الوجود خاصة هيئة التوجيه السياسي والوطني التي هيئت الظروف ووفرت الإمكانيات، وللأخ يوسف غنيم على مراجعته المتكررة لهذا البحث وللأخت سعاد شنارة على مراجعتها اللغوية وتقديمها المقترحات المهمة التي اغنت البحث.

جغرافيا

تقع مدينة القدس على هضبة القدس وفوق القمم الجبلية التي تمثل السلسلة الجبلية الوسطى للأراضي الفلسطينية، والتي بدورها تمثل خط تقسيم للمياه بين وادي الأردن شرقاً والبحر المتوسط غرباً، مما جعل من السير عليها أن تتصل بجميع الجهات. والقدس حلقة في سلسلة تمتد من الشمال إلى الجنوب فوق القمم الجبلية للمرتفعات الفلسطينية وترتبط بطرق رئيسية تخترق المرتفعات من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، كما أن هناك طرقاً عرضية تقطع هذه الطرق الرئيسية لترتبط وادي الأردن بالساحل الفلسطيني. ويحيط بالمدينة من الجهة الشرقية وادي جهنم (قدرون)، ومن الجهة الجنوبية وادي الرابنة (هنوم) ومن الجهة الغربية وادي (الزبل)، وتبعد القدس مسافة 22 كم عن البحر الميت و52 كم عن البحر المتوسط، كما ترتبط بعواصم الدول المحيطة براً بطرق معبدة عن طريق البر. أما جواً، فتتصل بدول العالم عن طريق مطار قلنديا⁴.

وترجع أهمية الموقع الجغرافي للقدس كونها نقطة مرور لكثير من الطرق التجارية. حيث يجمع الموقع الجغرافي بين الانغلاق وما يعطيه من حماية طبيعية للمدينة، والانفتاح وما يعطيه من إمكان الاتصال بالمناطق والأقطار المجاورة الأمر الذي كان يقود إلى احتلال سائر فلسطين والمناطق المجاورة في حال سقوط القدس.

تغييرات جغرافية في القدس ومحيطها

بعد نكسة حزيران في عام 1967، احتلت دولة إسرائيل الجزء الشرقي من القدس حيث كانت مساحتها كمدينة تبلغ 6000 دونم، وأصبحت مساحة مدينة القدس بفرعيها، الشرقي والغربي 44,100 دونم⁵ لكن إسرائيل أقدمت على مصادرة 64 ألف دونم من أراضي الضفة الغربية⁶ (أي أكثر من ضعف مساحة المدينة بحدودها التاريخية)، اقتطعتها من أراضي أكثر من 28 مدينة وقرية بعضها تم إلغاؤها كلياً مثل قرى صور باهر وجبل المكبر والنبي صموئيل وحولتها إلى أحياء داخلية

1. حزان آنا وأمنون رامون، ترسيم حدود القدس، ص 20، مركز القدس للدراسات الإسرائيلية، 1995.
2. غفيرتسمن حاييم، خارطة المصالح الحيوية في يهودا والسامرة، مركز بيجن للدراسات الاستراتيجية، جامعة تل أبيب ص 9، 1997.
3. بشير بركات، مباحث في التاريخ المقدسي، ص 118-133، 2006.
4. بلنر إيتان وآخرون، سياسة التمييز، مصادرة الأراضي والتخطيط والبناء في القدس الشرقية، ص 11، تقرير شامل، بيتسيلم أيار 1995.
5. نفس المصدر.

في مدينة القدس ومن بيت جالا وبيت لحم وبيت ساحور وبيت إكسا وقطنة. ونتيجة لذلك أصبحت مساحة مدينة القدس ما يقارب من 126 ألف دونم بعد أن ضمت 12 ألف دونم من مناطق فلسطينية احتلت قبل عام 1948 إلى القدس⁷.

وبعد أن فرضت حقائق على الأرض بدأت إسرائيل في عام 2002 بإجراءات عملية لإقامة القدس الكبرى التي تمتد من كتلة مستعمرات غوش عتصيون في محافظة بيت لحم (جنوب القدس)، وكتلة مستعمرات غفعات زئيف في شمال غرب القدس ومستعمرات بنيامين في الشمال ومعاليه أودوميم والمستعمرات القريبة منها البالغة 8 مستعمرات من الشرق. وتبلغ مساحة المنطقة المنوي ضمها للقدس الكبرى في هذه المنطقة 164 كم⁸ وبالإضافة إلى ذلك، توجد في منطقة بركة القدس (المسماة إسرائيليًا صحراء يهودا) مناطق تدريبات عسكرية إسرائيلية ومنتزهات طبيعية متنوعة. وتصل مساحة بركة القدس ما يقارب 600 كم وتصل حتى مشارف البحر الميت وأريحا⁹. وتقدر المصادر الإسرائيلية أن مساحة القدس الكبرى تصل إلى أكثر من 250 كم¹⁰. أما المصادر العربية فتتحدث أن مساحة مشروع القدس الكبرى الذي بدأت إسرائيل التخطيط لها عام 1993 تصل إلى أكثر من 850 كم (أي ما يعادل 17% من مساحة الضفة الغربية) لتمتد من بيت شيمش غربا حتى أريحا والبحر الميت شرقا ومن كفار عتصيون جنوبا حتى رام الله والبيرة وبيتونيا شمالا¹¹ وبذلك تحدد القدس أكثر من سبعة مدن عربية هي رام الله والبيرة وبيتونيا وبيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور ومنطقة أريحا ومنحدرات البحر الميت. ويبدو لي أن لا الدراسات الفلسطينية ولا العربية تحدث عن مساحة مناطق التدريبات العسكرية ولا المتنزهات الطبيعية الإسرائيلية ولا المخططات المستقبلية لهذه المنطقة من بناء مستوطنات جديدة ومناطق سياحية وغير ذلك، التي تمتد حتى منحدرات البحر الميت والتي لا تعرف مساحتها على وجه الدقة رغم أن بعض المصادر الإسرائيلية تتحدث عن 600 كم.

يذكر أن موضوع القدس الكبرى طرح لأول مرة في شهر أيلول من عام 1967 من قبل وزير التعليم الإسرائيلي حينها يغيثال ألون الذي طرح خطة حل شاملة مع العرب سميت بخطة ألون. وفيما يتعلق بمدينة القدس الشرقية تحدثت الخطة عن القدس الموحدة بشقيها الشرقي والغربي تحت السيادة الإسرائيلية ومد تدريجي للسيادة الإسرائيلية على بركة القدس¹² الممتدة حتى مداخل مدينة أريحا ومنحدرات البحر الميت حتى منطقة مستعمرات غوش عتصيون في منطقة بيت لحم في الجنوب وجبال رام الله والبيرة في الشمال¹³.

وعندما تولى شارون وزارة الزراعة عام 1977 وطرح خطته الاستيطانية المشهورة بخطة شارون

7. موقع بلدية القدس الإلكتروني، مساحة بلدية القدس، www.jerusalem.muni.il

8. نفس المصدر، اعتبارات إضافية لبناء حاضن القدس، من الموقع الإلكتروني للجمعية.

9. ملاحظات جمعية بمكوم، مخطوطون من أجل حقوق التخطيط، بخصوص المخطط الهيكلي لمدينة القدس عام 2000، ص 5، صدر عن المركز عام 2006.

10. هلب جاف، جهاز السيطرة، 95% "الاقتراح الكريم لبراك وشبكة السيطرة، ص 3، 16/4/2003.

11. الائتلاف الخيري للدفاع عن حقوق الفلسطينيين، مؤتمر أربعون عاما على احتلال القدس "القدس عاصمة الدولة الفلسطينية من الشعار إلى التطبيق، ص 3، 2007. ورقة عمل قدمت للمؤتمر الذي رعته م. ت. ف.

12. المنطقة المسماة إسرائيليًا "صحراء يهودا" هي منطقة صحراوية شبه قاحلة ووفق خارطة فلسطين التي أعدها ونفذها الدكتور محمد محمود الصياد فإن لهذه المنطقة ورغم جغرافيتها الموحدة أسماء نسبة لسكان هذه المناطق منها عرب الصويرة وعرب بن عبيد وعرب التعمارة وبرية القدس والنبي موسى وعرب رشيد. لكن للأسف، تعتمد كثير من المراجع والمواقع العربية والإسلامية على المصادر الإسرائيلية في طرح اسم صحراء يهودا.

13. بدتهسور رؤيين، النصر الخبير، ص 124، مؤسسة الكمبيوترات للنشر، 1996.

للعمل، لم يفكر كثيرا في تبني خطة ألون خاصة في كل ما يتعلق منها بموضوع القدس. وفي نهاية عام 1994 وضع الجنرال إيلان بيران قائد ما يسمى بالمنطقة الوسطى ورئيس إدارة الاتفاق المحلي في نفس القيادة التابعة للجيش الإسرائيلي خطة إعادة انتشار الجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية التي تضمنت إقامة القدس الكبرى التي تضم معاليه أودوميم وغفعات زئيف وغوش عتصيون، والسيطرة على كل محاور الطرق المؤدية إليها مثل شارع 45 الذي يتعمق في أراضي بلدة بيتونيا ويصل لعين عريك وهو يبعد 3-4 كم عن شارع 443 وشارع 60 في الجنوب الموصل للقدس من غوش عتصيون وشارع 08 (شارع ألون). وسميت تلك الخطة بخطة حاضن القدس¹⁴ وبناء على المخططات المذكورة بني الجدار الفاصل في مدينة القدس مع إدخال بعض التعديلات الطفيفة والتي لا تكاد تذكر لصالح الفلسطينيين.

ديموغرافيا

بلغ عدد السكان الفلسطينيين في القدس الشرقية عام 1967 ما يقارب من 69 ألف نسمة، وتواصل ارتفاع عدد السكان الفلسطينيين في هذه المدينة حيث تضاعف عدد سكان المدينة المقدسة عام 1983 ووصل إلى 122 ألف نسمة، ثم تضاعف مرة أخرى بأكثر من مرة تقريبا في الفترة الواقعة بين عام 1983-2005 حيث وصل عددهم عام 2006 إلى 253 ألف نسمة¹⁵ ووصلت نسبة الزيادة الطبيعية للسكان العرب إلى أكثر من 3,1% من عام 1996-2005 بعد أن وصلت نسبة الزيادة في صفوفهم إلى 3,5 من عام 1972-1983. وتقول مصادر فلسطينية أن عدد سكان القدس الشرقية بلغ حتى عام 2007 أكثر من 221 ألف نسمة¹⁶ فيما تتحدث مصادر مقدسية عن أن عدد سكان القدس الشرقية في عام 2006 بلغ 280 ألف نسمة موزعين على 23 حي وقرية تقع في حدود بلدية القدس¹⁷ أما المصادر الإسرائيلية فتقدر عدد السكان الفلسطينيين القاطنين في القدس الشرقية بـ 238 ألف وفق إحصائيات عام 2005-2006¹⁸ وتتوقع مصادر إسرائيلية أن يصل عدد سكان القدس الشرقية والقدس الكبرى عام 2020 إلى 380 ألف نسمة مشكلين ما نسبته 40% من مجموع سكان القدس من يهود وعرب¹⁹.

وحول عدد السكان اليهود في القدس عام 7691 فلم يكن لهم أي وجود في القدس الشرقية باستثناء منطقة الجامعة العبرية ومستشفى هداسا في جبل الزيتون المطل على القدس الشرقية. لكن عدد السكان اليهود في القدس الغربية بلغ حتى ذلك الوقت 891 ألف نسمة. غير أن احتلال القدس الشرقية في حزيران عام 1967 وضم 64 ألف دونم من أراضي الضفة الغربية لحدودها دفع إسرائيل إلى تكثيف البناء في هذه المناطق مما رفع عدد السكان اليهود في عام 2006 إلى 182

14. أرثيلي شقول ومردخاي سفارد، الجدار والفشل، ص 301، يديعوت أحرنون للنشر والتوزيع، 2008.

15. حوشن مايه وميخال كورح، معطياتك يا قدس، 2005-2006 "الوضع القائم وتوجهات التغيير، ص 12، معهد القدس للدراسات الإسرائيلية، 2007.

16. مركز الإحصاء الفلسطيني، التعداد العام للسكان، ص 68، 2008. هناك خلاف في المعطيات الفلسطينية والإسرائيلية، ولا أعرف سببا لذلك.

17. ائتلاف المؤسسات الأهلية للدفاع عن حقوق المقدسيين، مؤتمر القدس إلى أين !! في ظل جدار الفصل العنصري وسياسة التطهير العرقي ؟، ص 11، القدس، 2006، ورقة العمل قدمت لمؤتمر رعته م. ت. ف. في نفس العام.

18. حوشن مايه وميخال كورح، معطياتك يا قدس، 2005-2006 "الوضع القائم وتوجهات التغيير، ص 13، معهد القدس للدراسات الإسرائيلية، 2007.

19. نصر سعاد، المخطط الهيكلي للقدس 2000، الجزء الأول، ص 5، الائتلاف من أجل القدس، 2006.

ألف نسمة وفق المصادر الفلسطينية²⁰، فيما تتحدث المصادر الإسرائيلية أن عدد السكان اليهود بلغ حتى عام 2005 ما يقارب من 187 ألف يهودي موزعين على 14 مستعمرة وحي وفي البلدة القديمة من القدس.

ومن أجل المحافظة على أغلبية يهودية في القدس الشرقية تسعى إسرائيل جاهدة إلى ضم المستعمرات المحيطة ببلدية القدس في إطار ما تسميه القدس الكبرى حيث يبلغ عدد سكان هذه المستعمرات أكثر من 70 ألف يهودي موزعين على 164 كم من أراضي الضفة الغربية. وتسعى إسرائيل أن يبلغ عدد سكان اليهود والعرب في عام 2020 إلى أكثر من 900 ألف نسمة 60% منهم من اليهود²¹

ويسكن في المدينة اليوم أبناء الديانات الثلاث حيث بلغ عدد السكان الفلسطينيين أبناء الديانة الإسلامية ما يقارب 97% من العرب المسلمين و 3% من المسيحيين (حيث بلغ عددهم 13 ألف نسمة) ويشكلون سوا ما نسبته 61% من القاطنين في القدس الشرقية والمناطق التي ضمتها إسرائيل إلى المدينة بعد عام 1967 فيما يشكل اليهود وغيرهم 39%. أما نسبة كل العرب في مدينة القدس (الشرقية والغربية) فيصل إلى 34%، فيما تصل نسبة اليهود إلى 66%. حيث بلغ عدد سكان شقي المدينة في نهاية عام 2006 أكثر بقليل من 733 ألف نسمة منهم 252 ألف نسمة من العرب المسلمين والمسيحيين²²

أما طبيعة السكان ونظرا لانتشار الأماكن المقدسة للمسلمين والمسيحيين فقد غلب على السكان العرب التدين. لكن الإحصائيات الإسرائيلية تشير إلى نمو هجرة المتدينين اليهود إلى القدس حيث وصلت نسبتهم إلى أكثر من 32% من سكان القدس الذين وصل عددهم في هذه المدينة إلى 196 ألف ويتوقع أن يشكلون في عام 2020 ما نسبته 35% من سكان المدينة. ولهذا الأمر انعكاسات مستقبلية سنتحدث عنها لاحقا²³

الإجراءات الإسرائيلية في القدس

شكلت الإجراءات الإسرائيلية الحلقة الأهم في فرض الوقائع على الأرض من أجل تهويد المدينة المقدسة وضواحيها. واعتمدت هذه الوقائع على قوانين من أيام الحكم العثماني والانتداب البريطاني والحكم الأردني والاحتلال الإسرائيلي، الذي سن القوانين وفق أهوائه أخذا بعين الاعتبار مصالح اليهود، ومتجاهلا في نفس الوقت مصالح الفلسطينيين الذين هم سكان القدس الأصليون. ولم تتوقف هذه الإجراءات على القوانين بل امتدت إلى فرض وقائع على الأرض حيث أقيمت المستعمرات وشقت الشوارع وغيّرت استخدامات الأراضي واتبعت وقائع اقتصادية تحد من الوجود الفلسطيني الإسلامي والمسيحي في القدس ومحيطها. وامتدت الإجراءات الإسرائيلية إلى الأماكن المقدسة حيث فرضت وقائع دينية يهودية (على الأرض) ليس لها أسس على الأرض لعل من أخطرها محاولات بناء الهيكل داخل الحرم القدسي الشريف. وفي الوقت الذي كان فيه العمل متواصلا فوق الأرض

20. ائتلاف المؤسسات الأهلية للدفاع عن حقوق المقدسين، مؤتمر القدس إلى أين !! في ظل جدار الفصل العنصري وسياسة التطهير العرقي ؟؟، ص 10، القدس، 2006.

21. موقع بلدية القدس الإلكتروني، مساحة بلدية القدس، www.jerusalem.muni.il

22. حوشن مايه وميخال كورج، معطياتك يا قدس، 2005-2006 "الوضع القائم وتوجهات التغيير، ص 11، معهد القدس للدراسات الإسرائيلية، 2007.

23. نحوم هليفي رونيت، هل تتدين القدس، هاريس 2008/9/12

كانت مؤسسات الآثار الإسرائيلية تحفر تحت الأرض بدعم من المؤسسات الدينية. كما عملت الإدارة الإسرائيلية على إلغاء المؤسسات الفلسطينية وإغلاقها وتحويل بعضها إلى خارج المدينة. ومن أجل استكمال حلقة التضييق والحصار مورست بحق هذه المدينة إجراءات اقتصادية أدت إلى إفقار أسواقها وهروب الأيدي العاملة والأسواق إلى المدن الفرعية في الضفة الغربية. وفي نهاية المطاف، أدت هذه الإجراءات إلى خلق وقائع جديدة على الأرض تساهم بصورة كبيرة في رسم مستقبل قاتم للقدس، وهذه الإجراءات هي:

قوانين وقرارات

بعد احتلال القدس في عام 1967 لم تتعامل إسرائيل مع المكانة الخاصة للقدس الشرقية، ولم تفرض قوانين تأخذ بعين الاعتبار هذه المكانة. بل العكس، حيث صدر عن الجنرال الإسرائيلي عوزي نركيس قائد ما يسمى بالمنطقة الوسطى الأمر العسكري رقم 2 يلغي بموجبه الإدارة المدنية الأردنية على الضفة الغربية بما في ذلك القدس الشرقية وقطاع غزة، والقرارات المتعارضة مع أوامر الحكم العسكري²⁴ وبعد ذلك فرض على القدس القانون الإسرائيلي «ترتيب السلطة والقانون» الصادر في 1948/7/26، الذي يخول بموجبه الحكومة بضم أية مساحة من «أرض إسرائيل السابقة» إلى حدود دولتها. ووفق ذلك نشرت سكرتارية الحكومة في 1967/6/28 أمرا تضم بموجبه البلدة القديمة في القدس ومساحات واسعة أخرى (لم تذكر مساحتها)²⁵ من جميع المناطق، خاصة من الشمال والجنوب إلى دولة إسرائيل. وبالإضافة إلى القانون المذكور، ألغت الحكومة الإسرائيلية البلدية الأردنية والمؤسسات الأردنية والفلسطينية الأخرى الموجودة في القدس الشرقية، وحولتها إلى بلدية موحدة -بهذه الطريقة تم ضم 70 ألف دونم إلى حدود مدينة القدس منها ستة آلاف دونم مساحة البلدية الأردنية²⁶، أي ما يعادل أكثر من 1,5 من مساحة الضفة الغربية.

وفي عام 1981 سنت الكنيسة الإسرائيلية قانونا جديدا تحت أسم «القدس عاصمة إسرائيل» أكدت فيه على القوانين السابقة. لكن ميزة هذا القانون أنه سن باعتباره قانون أساسي أي لا يتغير إلا بقانون من هذا النوع. وتحدث القانون عن القدس الكاملة والموحدة. وبموجب هذه القرارات نقلت المؤسسات الرسمية التي ترمز للسيادة الإسرائيلية مثل مقر الكنيسة ومقرات الحكومة ورئاسة الدولة ومحكمة العدل العليا إلى القدس. أما القدس الشرقية فقد نقلت إليها مقرات وزارة العدل وحرس الحدود والشرطة الإسرائيلية وغير ذلك من المؤسسات²⁷ وفي عام 1999 سنت الكنيسة قرارا جديدا سمته «الاستفتاء العام» يمنع بموجبه التنازل عن أية أراضي سرت عليها القوانين الإسرائيلية. وسن هذه القانون إثر المحاولات الإسرائيلية بقيادة إيهود براك للتوصل إلى حل بخصوص مدينة القدس²⁸ وبالإضافة إلى ذلك، أصدرت محكمة العدل الإسرائيلية قرارا في عام 1988 اعتبرت فيه سكان القدس الشرقية سكان دائمون وليسوا مواطنون، لا يحق لهم الحصول على كل الامتيازات التي

24. جامعة بيرزيت، معهد الحقوق، الوضع القانوني في فلسطين، النظام القضائي في فلسطين، عرض توضيحي، موقع معهد القانون على الأليكتروني www.lawcenter.birzeit.edu

25. المناطق الأخرى التي لم تذكر مساحتها هي أراض تم اقتطاعها من الضفة الغربية من أجل توسيع بلدية القدس، حيث تبلغ مساحة هذه المناطق 64 ألف دونم.

26. الهندي عليان، سياسة الفصل والعزل، ص 11، هيئة شغون المنظمات الأهلية، 2002

27. القانون الأساسي للحكومة، موقع الكنيسة الإلكتروني، www.knesset.gov.il 1988 نص القانون المقر.

28. طاقم فكري من قبل مركز القدس للدراسات الإسرائيلية، الحوض التاريخي للقدس، خيارات وبدائل ممكنة، ص 304، مركز القدس للدراسات الإسرائيلية، 2007.

وعلى نفس الصعيد صدر عن الحكم العسكري الإسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة أوامر عسكرية تلغي بموجبها القوانين الأردنية أو تعديها من أجل استكمال السيطرة على أراضي الفلسطينيين المخصصة للقدس الشرقية والكبرى وتهجيرهم. وبلغ مجموع هذه الأوامر (الجديدة والمعدلة) أكثر من 1500 أمر عسكري³⁰ شملت مختلف مناحي حياة الفلسطينيين في كل الضفة الغربية وقطاع غزة. وبعد بناء جدار الفصل العنصري اتخذت الحكومة الإسرائيلية عام 2004 قراراً سرياً -افتضح أمره مما أدى لتراجعها عنه بعد ضغوطات دولية مختلفة- بتطبيق «قانون الغائب حتى لو كان موجوداً» الذي سن عام 1950 من قبل الكنيسة الإسرائيلية بهدف حرمان ما تبقى من الفلسطينيين في إسرائيل من حقوقهم في أراضيهم بالقرى التي كانوا يسكنون بها قبل النكبة. على أراضي الفلسطينيين المصادرة نتيجة بناء جدار الفصل العنصري في القدس والضفة الغربية.

ومنحت قرارات الحكومة القيم على أملاك الغائبين في القدس الشرقية صلاحيات كبيرة ومتعددة من بينها الصلاحيات التي أعطيت للقيم على أملاك الغائبين في القانون الذي سنته عام 1950 اعطاء الحق للقيم بالتصرف المطلق بهذه الأراضي بما في ذلك بيعها³¹ في حين حافظ القيم الأردني على أملاك الغائبين ومنع التصرف بها.

وبالإضافة إلى ذلك، قررت الحكومة تشكيل لجنة وزراء لشؤون القدس الكبرى مهمتها العمل كحكومة مصغرة للقدس الكبرى وتتكون اللجنة من ثمانية وزراء وتضم وزارات المالية والأمن الداخلي والبيئة والبنية التحتية والسياحة³²

كذلك تقرر تشكيل لجنة وزراء بخصوص باب المغاربة مكونة من ثمانية وزراء يترأسها رئيس الحكومة وتضم الوزير العربي غالب مجادلة³³

ولم تتوقف القوانين على الجانب السياسي والقانوني، بل امتدت إلى سلطات البيئة وحماية الطبيعة حيث أعلنت الأراضي المخصصة للعرب إما أراضي خضراء أو أراضي حدائق عامة لمنع تمدد العرب، مثل الإعلان عن منطقة في العيسوية منطقة حدائق عامة، سبق أن وافقت بلدية القدس تخصيصها لتوسع العرب في هذه المنطقة³⁴. ولم تنج من هذه الإجراءات حتى المقابر الإسلامية مثل الإعلان عن مقبرة باب الرحمة كمناطق حدائق وطنية في عام 1970.

إثر هذه القوانين وغيرها بدأت الأجهزة التنفيذية في إسرائيل مثل بلدية القدس والحكم العسكري ووزارة العمل والتأمين الوطني بسن القوانين الفرعية وتطبيقها على الأرض بهدف إفراغ المدينة من سكانها العرب وإحلال المستعمرين اليهود مكانهم³⁵

ونتيجة لهذه القوانين والأوامر بدأت المؤسسات التنفيذية في إسرائيل مثل التأمين الوطني وبلدية القدس والجيش الإسرائيلي وسلطة حماية الطبيعة وسلطة المحافظة على البيئة وغيرها بممارسة شتى أنواع التضييق على سكان الفلسطينيين العرب بهدف إخراجهم من المدينة وخلق وقائع ذات طابع

29. لافيدوت، روت، القدس -تصورات قانونية، معهد القدس للدراسات الإسرائيلية، 1997، ترجمة عليان الهندي.

30. شحادة رجا، قانون المحتل: إسرائيل والضفة الغربية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت، 1988

31. مكتب رئيس الحكومة، صلاحيات القيم على أملاك الغائبين في القدس الشرقية، سكرتارية الحكومة، موقع الحكومة الإسرائيلية على الاللكتروني، www.pmo.gov.il

32. نفس المصدر، قرار تشكيل لجنة وزراء شؤون القدس الكبرى.

33. نفس المصدر.

34. ربابورت عمير، أفيثار كوهين لن يقسم القدس، هارتس، 2008/12/1.

35. معلم، مزال، هارتس، قرار سري بتطبيق قانون الغائب على أراضي الفلسطينيين، 2004.

يهودي فيها. ومن هذه الممارسات فرض ضرائب متنوعة وباهظة على السكان الفلسطينيين، وتأخير المخططات الهيكلية للمناطق العربية في القدس وصلت في بعض الأحيان إلى أكثر من 34 عام بعد قرار ملزم من المحكمة العليا الإسرائيلية، والامتناع عن بناء بنية تحتية تساهم في تطوير المناطق العربية من النواحي العمرانية والاقتصادية والخدماتية، وفرض رسوم بناء باهظة. ويهدف منع عودة المقدسيين الذين أجبروا على ترك مدينة القدس بفعل الإجراءات الإسرائيلية، سنت دولة إسرائيل عدة قوانين وعدلت غيرها مثل قانون «الدخول إلى إسرائيل وتعديلاته» و«قانون إثبات الحياة في القدس» بهدف سحب هويات المقدسيين.

وفيما يتعلق بالأماكن المقدسة فقد اعترفت بالشق المسيحي من اتفاقية الوضع القائم التي وقعها الإمبراطور العثماني ووقعت على ذلك اتفاقاً رسمياً مع الفاتيكان. أما الأماكن الإسلامية وما تدعيه بالأماكن اليهودية فقد رفضت الاعتراف بالوضع القائم متذرة بأن «حقوق اليهود لحق بها الإجحاف»³⁶ ومن أجل ذلك سنت قانونين هما «حرية الوصول إلى الأماكن المقدسة» و«المحافظة على الأماكن المقدسة من أن تفسد»، وذلك من دون تحديد ما هي الأماكن المقدسة. وفي الآونة الأخيرة أدخلت إسرائيل مصطلحاً ذو أبعاد دينية يهودية وسياسية أسمته الحوض التاريخي بدلاً من الحوض المقدس في القدس وزادت من مساحته لتبلغ 2512 دونم بهدف ضم ما تدعيه إسرائيل أماكنها المقدسة³⁷

ولم تكتف إسرائيل بعمل الجهاز القضائي والتنفيذي في القدس بل أسست شركات حكومية مثل شركة تطوير القدس وجمعيات مثل جمعية إلعاد وعطيرت كوهنيم بهدف السيطرة على ما يسمى بالملكات اليهودية في القدس العربية وشراء العقارات العربية فيها مستخدمة في ذلك كل الوسائل غير القانونية وغير الشرعية من غش وخداع وتزوير لمصادرة وشراء المباني السكنية داخل أحياء البلدة القديمة وخارجها وحولتها إلى مدارس دينية أو كنس، أو مباني للسكن (منزل شارون على سبيل المثال).

مستعمرات

بعد احتلال ما تبقى من فلسطين 1967، شرعت حكومات إسرائيل وبلدية القدس وأجهزتهما المختلفة مباشرة بوضع الأسس لأكبر عملية بناء مستعمرات في الضفة الغربية بما في ذلك مدينة القدس الشرقية. ووضعت على سلم أولويات مخططات الاستعمار التي كان من أهمها خطة ألون التي تحدثت مبكراً عن ما يسمى بالقدس الكبرى -المنطقة الأخرى التي كانت مستهدفة بنفس مستوى القدس هي منطقة قلقيلية بهدف توسيع الحاصرة الضيقة لإسرائيل في هذه المنطقة.

وأول عمل قامت به حكومة إسرائيل هو هدم حي المغاربة (أو حارة الشرف) في البلدة القديمة وتوسيع ساحة حائط البراق وبناء حي يهودي فيه وسمي بحارة اليهود³⁸ حيث هدمت 135 منزلاً وطردت 100 عائلة و650 شخصاً من هذه المنطقة إلى مناطق خارج البلدة القديمة مثل مخيم شعفاط والأحياء الواقعة خارج حدود البلدية الأردنية وإلى مدن رام الله وبيت لحم. كما صودرت الأراضي الفلسطينية ضمن حدود البلدية الأردنية لتوسيع المقبرة اليهودية، كذلك بدأت حركة سيطرة واستعمار

36. بيرقويتش شموئيل، المكانة القانونية للأماكن المقدسة في القدس، ص 67، معهد القدس للدراسات الإسرائيلية، 1997.

37. طاقم فكري من قبل مركز القدس للدراسات الإسرائيلية، الحوض التاريخي للقدس، خيارات وبدائل ممكنة، ص 21، مركز القدس للدراسات الإسرائيلية، 2007.

38. الهندي عليان، سياسة الفصل والعزل، ص 12، هيئة شؤون المنظمات الأهلية، 2003.

يهودي في الحي الإسلامي، خاصة في منطقة باب الواد وباب الحديد قرب الحرم وحارة السعدية وبذلت جهود للسيطرة على ساحة عمر بن الخطاب في باب الخليل. وكانت السيطرة تأتي على شكل إعادة ما يسمى بأملاك اليهود في البلدة القديمة أو شراء العقارات العربية الإسلامية والمسيحية في معظمها بطرق الغش والخداع. وقامت إسرائيل بمساعدة من المستعمرين بالاستيلاء على عشرات المنازل في سلوان وغيرت اسمها لمدينة داود. وأقيم حزام لم يكتمل حول البلدة القديمة بواسطة منطقة المقبرة اليهودية والحي اليهودي في سلوان.

وبعد أن بنت إسرائيل الحي اليهودي وزرعت نوى مختلفة في أحياء القدس المسيحية والإسلامية استعداداً لتهويد البلدة القديمة بالكامل، انتقلت حكومة الاحتلال الإسرائيلية وأذعتها التنفيذية المختلفة بمصادرة الأراضي العربية الواقعة خارج حدود البلدية حيث صادرت أراض من 28 قرية عربية (تم ضمها بالكامل إلى حدود مدينة القدس مثل قرى صور باهر وجبل المكبر وأم طوبا، وغيرها). وقد ضمت الكثير من أراض الدن المجاورة مثل مدن بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور ورام الله والبيرة وبيتونيا بهدف بناء أحياء يهودية جديدة في محيط القدس، بهدف إقامة حزام يهودي استيطاني حول الأحياء العربية لمنع تمددها من جهة. ومن جهة أخرى قطع الضفة الغربية عن القدس. وهذه المستعمرات هي جفعات زئيف والنبي يعقوب وراموت وجيلو وهار غيلو وجفعات همتوس وغفعات همفتار وهار حوما (جبل أبو غنيم) ومعلوت دفنا وراموت شلومو وراموت، والمنطقة الصناعية في قلنديا، وبذلك شكل الحزام اليهودي الأول حول القدس الشرقية. كذلك عملت إسرائيل على إقامة حزام يهودي ثاني داخل القدس الشرقية نفسها حيث أقيمت مستعمرات التلة الفرنسية والجامعة العبرية ومستشفى هداسا وماونت سكويس وشرق تلبوت والتلة الفرنسية ورامات اشكول وسنهدريا وريخس شعفاط ورموت وغفعون ورأس العامود. وبلغ عدد سكان هذه المناطق حتى عام 2007 أكثر من 184 ألف مستعمر، فيما بلغ عدد السكان اليهود في محيط القدس الشرقية وداخل الضفة الغربية بأكثر من 139 ألف يهودي منتشرين في حدود ما يسمى بالقدس الكبرى.

وأقيم حزام ثالث حول القدس الكبرى مكون من مستعمرات كتلة غوش عتصيون (بيتار عيليت ونافيه دانيتيل وروش تسوريم وإفراتا واليعازر وألون شفوت وكفار عتصيون ومغدال عوز) في الجنوب، ومن الشرق كتلة مستعمرات معاليه أدوميم (معاليه أدوميم وألون وكفار أدوميم ونوفي إفرات وعلمون وميشور أدوميم وكيدار ومعسكر عناتا).

وبالإضافة إلى السيطرة ومصادرة الممتلكات والعقارات العربية في مختلف أنحاء القدس، تخطط الحكومة والبلدية الإسرائيلية والمجموعات اليهودية المتطرفة إلى بناء مستعمرات جديدة ومشاريع سياحية ومرافق لخدمات وغير ذلك في منطقة القدس الكبرى حتى البحر الميت وهي:

1. E1 : تقع في المنطقة الواقعة بين معاليه أدوميم والقدس الشرقية بهدف إحداث قطع وفصل نهائي بين جنوب الضفة الغربية عن وسطها وشمالها حيث تبلغ مساحة هذه المنطقة 12 كم. ووفق المخطط تبنى في هذه المنطقة 3500 وحدة سكنية لإسكان 15 ألف يهودي فيها، وبناء فنادق ومناطق صناعية. وتم حتى الآن تم بناء مقر لشرطة القدس في هذه المنطقة بدلا من مقر المسكوبية الذي سلم للكنيسة الأرثوذكسية الروسية³⁹.

2. وادي جهنم - قدرون - وادي النار (أو الحوض الأمامي وفق القراءة الإسرائيلية): وفق اليوم

39 ما هي منطقة E1 ، ص، موقع مدينة الشعوب على الاليكتروني، 2006 ، www.ir-amim.org.il

الدراسي الذي عقد في مركز القدس للدراسات الإسرائيلية الذي خصص لبحث المخطط الهيكلي لوادي قدرون الذي يحد البلدة القديمة من القدس والذي يعتبر بعضه جزءا مما تسميه إسرائيل الحوض التاريخي (الحوض المقدس). وتسعى إسرائيل ومؤسساتها المختلفة لبناء آلاف الشقق السكنية في هذه المنطقة لاستكمال محاصرة القدس بالتجمعات اليهودية وربطها ببعضها البعض، واستكمال فصل جغرافي وديموغرافي لجنوب الضفة الغربية عن وسطها، وإحداث تغييرات ديمغرافية لصالح السكان اليهود الذين يبلغ عددهم 30 ألف مستعمر في حين يبلغ عدد السكان العرب 102 ألف عربي يحملون الهويات الزرقاء⁴⁰

3. بركة القدس: وضعت مخططات هيكلية لإقامة فنادق سياحية مناطق مفتوحة ومتنزهات عامة وفنادق سياحية، بما في ذلك متنزهات لمختلف أنواع الدراجات النارية والجيبات.

4. البحر الميت: لم تتوقف المشاريع والمخططات بالقدس الكبرى فقط بل امتدت لتشمل البحر الميت من أجل إحكام السيطرة عليه ومد حدود القدس الكبرى إليه، وإحكام القطع النهائي لجنوب الضفة عن وسطها وشمالها. ويتضمن المخطط الذي تبلغ مساحته 750 ألف دونم بما في ذلك مساحات كبيرة جدا من بركة القدس زيادة عدد السكان إلى 7 آلاف نسمة حتى عام 2020 وبناء مطار وفنادق ومرافق سياحية وإقامة مشاريع زراعية مختلفة⁴¹

5. تلة الوجبة: تضم 23600 وحدة سكنية وعدد سكانها 60 ألف يهودي.

6. أراضي مار الياس: جنوب دير مار الياس وغرب مستعمرة جبل أبو غنيم، وهي مستعمرة تحت التخطيط الهيكلي.

7. خربة مزمرية: وتقع جنوب شرق مستعمرة جبل أبو غنيم وهي أيضا بمراحل التخطيط الأولي، وفي حال بنائها سيغلق طريق وادي النار الذي يتنقل منه الفلسطينيون للوصول إلى جنوب وسط وشمال الضفة الغربية⁴²

8. مستعمرة كديم تسيون (راس العامود): حيث ستبنى فيها 300 وحدة سكنية من قبل جمعيات المستعمرين مثل «عطيرت كوهنيم».

9. غيبوع بنيامين آدم: وهي مستعمرة ستقام شمال شرق القدس وذلك لربط كتل المستعمرات بالمدينة.

10. باب الورود : مستعمرة داخل البلدة القديمة وتقع في الحي الإسلامي.

11. عطوروت: بناء حي للمتدينين اليهود في قلنديا وتوسيع المنطقة الصناعية بـ 96 دونم.

12. حي قبر شمعون هتصديق (الشيخ جراح): وهي منطقة أذعت إسرائيل أن فيها مغارة تحتوي على قبر شمعون هتصديق وأن الأرض الموجود عليها هي أملاك يهودية وتسعى لطردها 27 عائلة عربية وبناء عشرات الشقق لليهود المتدينين فيها.

13. حديقة الملك : هدم 88 منزل وطرده 1500 عائلة في سلوان.

14. إغلاق فتحات الجدار في معاليه أدوميم وغفعات زئيف وغوش عتصيون

40 . يوم دراسي عقد في مركز القدس للدراسات الإسرائيلية بمناسبة وضع مخطط هيكلي من قبل بلدية القدس لمنطقة وادي قدرون، وكان عنوان اليوم الدراسي هو ، المحافظة وتطوير الحوض الامامي للبلدة القديمة . وشارك فيه مجموعة من كبار باحثي المركز برئاسة دافيد كيمحي . القدس تشرين أول 2007 .

41 وثيقة رسم سياسات، حوض البحر الميت، على ضوء تراجع المياه فيه، يوم دراسي عقد في مركز القدس للدراسات الإسرائيلية وذلك بمشاركة مكتب رئيس الوزراء ووزارات البنية التحتية والبيئة، القدس 2006 .

42 . مصدر سابق، راجع ملاحظة رقم 40 .

وتعمل إسرائيل من وراء ذلك إلى وصول عدد سكان القدس الكبرى إلى 900 ألف يهودي وعربي تكون نسبة السكان اليهود فيها 60%⁴³ يقطنون في أرض مساحتها 250 كم من دون احتساب مساحات معسكر عناتا ومعسكر التدريب في بيرة فلسطين الواقعة شرق معاليه أدوميم وأخيرا ومن أجل إحداث القطع المطلق بين القدس العربية عن جنوب الضفة الغربية ووسط الضفة وشمالها وفصل الفلسطينيين عن بعضهم البعض شرعت إسرائيل ببناء جدار سمته «حاضن القدس» واستكمالا لمشروع تهويد القدس، شرعت سلطات الاحتلال الإسرائيلية بممارسة سياسة عنصرية متعددة ومتنوعة ضد الفلسطينيين أرضا وشعبا، هي:

المواطن الدائم: تعاملت إسرائيل مع سكان القدس الشرقية بأنهم ساكنون فيها مثل المهاجرين لإسرائيل من غير اليهود وليسوا مواطنون أو أنهم أصحاب الأرض الأصليين. ووفق هذه المكانة، وبناء على الصلاحيات الممنوحة لوزير الداخلية أصدر أوامر بسحب الجنسية من 8269 مقدسي حتى عام 2006⁴⁴ (أي أكثر من 3% من سكان القدس الشرقية). وفي نفس السياق قررت حكومة إسرائيل في عام 2003 وقف لم شمل العائلات الفلسطينية في دولة إسرائيل وفي القدس الشرقية، وهو ما اعتبرته مؤسسات حقوق الإنسان خرقا أساسيا لحقوق المواطنين الفلسطينيين في مناطق 1948 والقدس الشرقية. وبعدما رفضت المحكمة الإسرائيلية العليا تشريع القانون، سمحت للحكومة وتحت مبرر الاعتبارات الأمنية تمديد القانون عاما بعد آخر⁴⁵

هدم المنازل والمنشآت: ركزت السياسة الإسرائيلية على هدم البيوت والمنشآت الفلسطينية في القدس الشرقية بهدف المحافظة على ما تسميه «التوازن الديموغرافي»، حيث هدمت من عام 1967-2008 أكثر من 8500 مسكن بما في ذلك هدم حي المغاربة بعد أيام قليلة من احتلال المدينة في الحادي عشر من حزيران عام 1967 بما فيه من بيوت ومدارس ومساجد ومنشآت بلغ عددها 135 مبنى علاوة على تدمير المباني الواقعة في محيط الحرم وعددها حوالي 200 مبنى وبيت، ومئات المنشآت الاقتصادية وغيرها المنتشرة في المدينة⁴⁶

وتدعي إسرائيل أن أكثر من 85% من البناء العربي بعد عام 1967 تم من دون ترخيص مما يعني أن هناك 20 ألف منزل فلسطيني في القدس معرضة للهدم بحجة عدم الحصول على تصاريح بناء، وهو الأمر الذي بدأت جهات إسرائيلية متعددة المطالبة بتنفيذه. وفي الآونة الأخيرة اشترطت الحصول على شهادة الطابو للبناء داخل المدينة علما بأن معظم أراضي مدينة القدس إما طابو أو تنتقل بوكالات دورية بين الورثة. وتعني هذه السياسات حرمان عشرات آلاف الفلسطينيين من منازلهم وطردهم من هذه المدينة في إطار سياسة الطرد الهادئ الذي تمارسه إسرائيل بحق هذه المدينة منذ عام 1967 وحتى هذا اليوم⁴⁷

كما استولت مجموعات المستعمرين وبدعم حكومي على أكثر من 70 منزل في القدس الشرقية من 1997-2005⁴⁸.

43. موقع بلدية القدس على الاليكتروني (www.jerusalem.muni.il). مخطط E1 لتوسيع حدود بلدية القدس من الشرق والجنوب.

44. معطيات حول سحب الهويات من مواطني القدس الشرقية، تقرير صادر عن بيتسيلم، 2006.

45. تقرير عن تفريق العائلات في القدس الشرقية، تقرير صادر عن بيتسيلم، 2006.

46. الحياة الجديدة، مؤتمر صحفي لرئيس مركز الإحصاء الفلسطيني الدكتور لؤي شبانة بمناسبة مرور 41 عام على احتلال القدس، عدد 4530، حزيران 2008

47. عودة يعقوب، القدس تتحدث في 40 عاما على احتلالها، ص 6، مركز أبحاث الأراضي، 2007.

48. السلطة الوطنية الفلسطينية، الجهاز المركزي للإحصاء، ص 361، كتاب القدس السنوي، رقم 8، 2006.

مصادرة الأراضي وتقييد التخطيط الهيكلي للعرب: بعد ضم 70 ألف دونم في عام 1967 قامت إسرائيل بمصادرة 24500 دونم من المساحة المذكورة حتى عام 1991 من أجل بناء مستعمرات وأحياء يهودية في القدس⁴⁹ وفي مجال المخططات الهيكلية ألغت إسرائيل كل المخططات الهيكلية الأردنية المستقبلية الخاصة بالقدس الشرقية ووضعت مخططات جديدة هدفها الأساسي منع البناء الجديد في الأحياء العربية وأعلنت عن 40% من أراضي الفلسطينيين الخاصة «مناطق طبيعية مفتوحة ومناطق خضراء»، فيما خصصت 11% من هذه الأراضي للبناء⁵⁰ ونتيجة لذلك تحولت الأحياء العربية في القدس إلى أحياء صغيرة منعزلة عن بعضها البعض وغير قابلة للتطور. وتتطلع إسرائيل أن يسكن في القدس الكبرى عام 2020 ما مجموعه 959 ألف نسمة منهم 61% من اليهود 39% من العرب مسلمين ومسيحيين⁵¹

طرق وسكك حديدية في القدس ومنطقتها

في الوقت الذي شقت فيه الشوارع في كل العالم وعبر الأزمنة التاريخية الغابرة والحاضرة لتسهيل حركة البشر وفي الوقت الذي خططت فيه شوارع فلسطين طوليا من أجل تسهيل الحركة والوصول إلى المدن والمواقع المهمة من الناحية الدينية والأمنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، جاءت إسرائيل وبعد احتلالها لفلسطين عام 1948 ومن بعدها الضفة الغربية في عام 1967 وقلبت الأمور رأسا على عقب حيث شقت الشوارع خاصة في الضفة الغربية، التي اعتبرتها إسرائيل خط الدفاع الثاني، طولاً وعرضا مثل عابر السامرة وقاطع السامرة وشارع ألون وغير ذلك من الشوارع من أجل ربط شبكة الطرق الفلسطينية والإسرائيلية الجديدة التي شقت للمستعمرات بشبكة الطرق الفلسطينية. ثانيا: تسهيل دخول وخروج المستعمرين اليهود من وإلى الضفة الغربية. ثالثا: محاصرة التجمعات الفلسطينية من التمدد وتقييد تحرك الفلسطينيين في الضفة الغربية بما في ذلك القدس. ولم يختلف شق الشوارع في القدس ومحيطها عن باقي الشوارع في الضفة الغربية لكن كثافة العمل الإسرائيلي فيها وكثرتها جعلت المهتمين في الأمر يعتقدون أن هناك شيء مختلف يجري في هذه المنطقة. وبدلا من أن تكون هذه الشوارع عنصرا لتسهيل حركة كل سكان القدس، جاءت لتعاقب السكان الفلسطينيين سكان القدس ومحيطها ومطوقة تجمعاتهم السكنية وأحلامهم العمرانية ونشاطاتهم الاقتصادية والاجتماعية، وشكلت عنصرا إضافيا في فصل الضفة الغربية عن القدس أولا، وعن جنوب الضفة عن وسطها وشمالها ثانيا.

وأول عمل قامت به إسرائيل في هذا الشأن هو إغلاق شارع رقم 1 في وجه الفلسطينيين في نهاية الانتفاضة الأولى، وهو شارع يمتد من جنين شمالا حتى الخليل جنوبا وفتحت لهم طريق جديدة سميت طريق وادي النار الذي يشهد صعوبة ووعورة ومسافة أطول أمام وسائل النقل الخاص العام. كذلك شقت أربعة شوارع داخل القدس الشرقية هي شوارع 9 الذي يربط رموت وبسجات زئيف والتلة الفرنسية وشارع هار تسوفيم (جبل الزيتون) لتسهيل عبور المستعمرين من معاليه أدوميم للقدس وشارع 4 بيغن الذي لا توجد تفاصيل حوله. كذلك تخطط الحكومة الإسرائيلية لشق 17 شارعا جديدا في القدس الشرقية لربط الأحياء اليهودية في القدس الشرقية والقدس الكبرى بالغربية واستكمال

49. معطيات حول مصادرة الأراضي في القدس الشرقية واستخداماتها، ص 1 تقرير صادر عن بيتسيلم، 2002.

50. نفس المصدر

51. أرثييلي شغول وميخائيل سفارد، الجدار والفشل، ص 297، 2008، يديعوت أحرنون.

بعد ذلك توجهت إسرائيل لشق الشوارع في ما يسمى بالقدس الكبرى حيث شقت شارع المطوق الشرقي لربط شمال القدس بطول يصل إلى 27 كم⁵³، وشارع رقم 45 الذي يشق أراضي بيت عور التحتا وبيت عور الفوقا وغيرها من القرى، وشارع رقم 443 الذي صادر أراضي من مدينة بيتونيا ورفات وقلنديا البلد، ومنع السكان الفلسطينيين من استخدامها وحفرت لهم أنفاقا ليتحركوا منها إلى رام الله فقط حيث فتح شارع نفق في بيت عور التحتا وشارع نفق من بير نبالا إلى منطقة شمال غرب القدس بطول أكثر من 2 كم، كذلك شقت شارع رقم 60 من بيت لحم (غوش عتصيون)⁵⁴ وعملت على شق وتوسيع شارع القدس أريحا-عمان أو شارع السلام بهدف قطع المنطقة المقامة عليها معاليه ادوميم وحتى البحر الميت عن الضفة الغربية وحصر التنقل فيه مستقبلا باليهود، فيما يسمح للفلسطينيين بالتنقل إلى أريحا والعالم الخارجي عبر شارع الطيبة الذي يتم توسيعه⁵⁵.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن التوسيعات التي تجرها إسرائيل فيما يسمى بالقدس الكبرى من شأنها أن تلغي خط سير الفلسطينيين في واد النار محدثة فصلا كاملا بين جنوب ووسط وشمال الضفة⁵⁶ وتخطط أن يكون الشارع البديل لهم شارع يبعد عن غرب المملكة الأردنية 15 كم⁵⁷ وبالإضافة إلى شق الشوارع بدأت إسرائيل بمصادرة أراضي للفلسطينيين من قرى شمال غرب القدس من أجل إقامة شبكة قطارات جديدة تربط بين مدن ساحل فلسطين (إسرائيل) بالقدس. وبناء شبكة قطارات كهربائية حديثة داخل القدس نفسها من أجل ربط مستعمرات محيط القدس بالقدس الغربية والشرقية. ووضع أول مخطط لبناء القطار الداخلي في عهد رئيس بلدية القدس السابق ورئيس الحكومة الحالي إيهود أولمرت عام 1995، وتضم 23 محطة مختلفة

جدار الفصل الطرد

في عام 2002 بدأت إسرائيل ببناء جدار الفصل والطرء في الضفة الغربية وقطاع غزة بطول يبلغ أكثر من 850 كم منها 168 كم في القدس أسمته حاضن القدس أو غلاف القدس أو مطوق القدس. وجاء بناؤه من أجل استكمال فصل وعزل القدس بشكل مطلق عن واقعها الجغرافي وعن بعدها العربي الفلسطيني والإسلامي وحشها في محيط يهودي، وقطع الضفة الغربية إلى قسمين. ولم تكن فكرة الجدار فكرة جديدة بل هي فكرة قديمة جدا حتى قبل أن يكون وجود يهودي مهم في فلسطين. وكان زئيف جابوتنسكي أول من طرح فكرة إقامة جدار من خلال مقالين نشرهما عام 1923 سماهما «الجدار الحديدي وضرورة إقامة الجدار الحديدي»، تاركا مصير المواطنين العرب في المجهول استعدادا لحل آخر⁵⁸

52. شركة تطوير القدس "موريا" شركة حكومية مهمتها العمل على التخطيط والتنفيذ للمشاريع الإسرائيلية في القدس الشرقية، والشوارع المبنية والمخطط لها، الموقع الإلكتروني على www.moriah.co.il.

53. ما هو شارع المطوق الشرقي، ورقة عمل، ص 3، موقع مدينة الشعوب على الإلكتروني، www.ir-amim.org، 2006، il

54. حوش ليونارد وآخرون، المستعمرات الإسرائيلية والطرق تغير معالم القدس، ص 5، تقرير صادر عن جمعية الدراسات العربية في القدس، 1997.

55. السياسة القائمة من قبل جنود الاحتلال على حاجز مدخل أريحا تشير بوضوح حول هذه النية.

56. هيلر مارك وروز ماري هوليس، إسرائيل والفلسطينيون، خيارات سياسية لإسرائيل، ص 14، مركز الدراسات الاستراتيجية "ياقة" في جامعة تل أبيب، 2005.

57. أرثيلي شاؤول وميخائيل سفارد، الجدار الفاصل أمن أم طمع، ص 221، يديعوت احرنوت للتوزيع والنشر، 2008.

58. موقع زئيف جابوتنسكي على الإلكتروني، www.geocities.com، أرشيف زئيف جابوتنسكي قسم المقالات.

وفي تشرين أول من عام 2003 اتخذ قرار من نفس المجلس بإقامة الجدار الفاصل في القدس، حيث بدأ العمل فيه مباشرة على شكل مقاطع، حيث أقيم المقطع الأول من الجدار وطوله 01 كم من معسكر عوفر⁵⁹ (المقام على أراضي سكان مدينة بيتونيا وأراضي سكان قرية رفات). كذلك تم استكمال بناء الجدار من رافات إلى خارج التجمعات السكانية الفلسطينية في بير نبالا إلى النبي صمويل بطول 14 كم. وبالإضافة إلى ذلك، بني جدار يمتد من بسجات زئيف (قرب قرى بدو والجيب وغيرها) حتى مستعمرة مكابيم في الغرب (قرب بيت سيرا وبيت نوبا وغيرها) ويبلغ طول هذا الجدار 40 كم. كما تم بناء جدار الرام بارتفاع 8 أمتار على طول الشارع الرئيسي الذي يؤدي إلى رام الله، وسوف يمتد الجدار من منتصف الشارع ويمتد بين بيوت المواطنين الفلسطينيين حتى الطرف الشمالي الغربي لـ «نفية يعقوب». ومن هناك يتوجه الجدار إلى الشمال ليحيط بالرام من الناحية الشرقية بصورة تامة تقريبا.

أما منطقة مستعمرات غوش عتصيون (المحيطة ببيت لحم) فقد تقرر بناء جدار بطول 60 كم حولها وربطها بما يسمى القدس الكبرى⁶⁰

أما الجدار الشرقي والواقع في بركة القدس (صحراء يهودا) فتخطط إسرائيل لبناء جدار فيه وفق خطة شارون يمتد من جنوب جبل الخليل على طول المنطقة الواقعة غرب الأردن مروراً بمستعمرات كتلة غوش عتصيون حتى مداخل أريحا ومن ثم يتجه حتى بيسان بهدف ضم القدس الكبرى وكل غور الأردن إلى دولة إسرائيل، وفي نفس الوقت حشر الفلسطينيين في ثلاثة كانتونات كبيرة في الضفة الغربية. ورغم أن هذا المشروع فشل وأزيل من خارطة الجدار إلا أنه ما زال يدغدغ مشاعر ورثة في الحكم وألمرت وليفني في كاديا وبنيامين تننياهو من الليكود⁶¹ ويبلغ طول هذا الجدار أكثر من 300 كم في حال تم بناؤه.

ومن شأن بناء الجدار الشرقي أن ينهي حركة المواصلات الفلسطينية في شارع واد النار ويقطع بشكل نهائي الضفة الغربية إلى نصفين. وفي حالة بناء جدار أرييل سيقسم المناطق الفلسطينية إلى ثلاثة كانتونات.

وعليه، فإن الجدار الفاصل الذي سيحيط بالقدس الكبرى سيكون طوله أكثر من 270 كم بما في ذلك جدار القدس الذي يبلغ طوله 168 كم يشمل مساحة أكثر من 250 كم من أراضي الضفة الغربية. وفي حال بني الجدار الشرقي فستصبح مساحة القدس الكبرى 850 كم (17% من مساحة الضفة الغربية).

وسوف يعزل الجدار سبعة أحياء مقدسية هي مخيم شعفاط ورأس خميس ورأس شحادة وضاحية السلام وسميرا ميس وكفر عقب التي يحمل سكانها الهوية الزرقاء، أما الرام وضاحية البريد فتضم أكثر من نصفها سكان القدس حاملين الهويات الزرقاء والذين يقدر عددهم 50 ألف نسمة القاطنين في هذه الأحياء. كما عزل الجدار أكثر من 50 ألف مواطن مقدسي منتشرين في مدن الضفة الغربية.

ومن أجل عدم تشجيع سكان هذه الأحياء في العودة إلى القدس أنشأت حكومة إسرائيل جسما جديدا لإدارة هذه المناطق أسمته الإدارة الجماعية لتقديم خدمات مختلفة للسكان الفلسطينيين الذين

59. بيتسيلم، ترسيم العائق حول القدس الشرقية، نشرة صدرت عن المركز بعد عام من قرار محكمة العدل العليا بخصوص الجدار الفاصل في بيت سوريك 2004/6/30

60. الحياة الجديدة، الجدار في بيت لحم، ص 3، عدد 3466

61. أرثيلي شاؤول وميخائيل سفارد، الجدار الفاصل أمن أم طمع، ص 310، يديعوت احرنوت للتوزيع والنشر، 2008.

يحملون هوية القدس وأعفت بلدية القدس من تقديم هذه الخدمات⁶². وكانت هذه الخطوة هي الأولى في تخلي بلدية القدس عن الأحياء العربية في مدينة القدس والملاصقة لها. وأنشأت في المعابر خدمات للبنى التحتية مثل بريد ومعاملات حكومية وغيرها لتحقيق نفس الهدف. وفي نفس الوقت عمدت إلى شق الشوارع والطرق من أجل ربط المستعمرات التي يبعد بعضها أكثر من 20 كم عن القدس الشرقية والغربية.

أما جدار القدس فقد عزل وفصل في الضفة الغربية أكثر من 21 قرية وتجمعا فلسطينيا في شمال غرب القدس (بئر نبالا والجديرة الجيب وبيت حنينا البلد والنبي صموئيل بيت نوبا وبيت لقيا وبيت إجزا وبيت عنان وبيت سيرا والطيرة وخرثا المصباح وبدو وبيت سوريك والقيبية وبيت إكسا وقلنديا البلد وخرية أم اللحم)، ويبلغ عدد سكان هذه القرى أكثر من 80 ألف نسمة، أحيط بعضها بجدران وأسيجة من جهاتها الأربع وفتحت فيها بوابات داخل الجدار ينتقلون منها إلى المدن العربية بواسطة بوابات حديدية وأنفاق بنيت خصيصا لهذا الغرض⁶³. أما في الشرق والجنوب فقد حشر 13 تجمع قروي فلسطيني (العيزرية وأبو ديس والشيخ سعد وخلة النعمان وحوسان ووادي فوكين ونحالين والجبعة وخرية البر والوجة وخرية النعمان وقبر راحيل) وطرد عرب الجهالين من برية القدس (صحراء يهودا). أما مدن بيت لحم وبيت ساحور وبيت جالا ومنطقتها فمن المقرر محاصرتها شاملا بعد استكمال بناء الجدار حول القدس الكبرى⁶⁴.

ويتصف الجدار بعرض يصل من 40-100 متر مربع ومنع حرمة شارع تقدر بأكثر من 250 متر⁶⁵ ويبلغ ارتفاع الجدار الذي بني من الباطون ما يقارب 9 أمتار وضعت على جانبيه كاميرات مراقبة وطرق ترابية لكشف الأثر يتم قشيتها بشكل يومي وطرق لدوريات المراقبة. أما الجدران المقامة من أسيجة فهي مزودة بكاميرات وأجهزة استشعار عن بعد⁶⁶. وبالإضافة إلى ذلك، أقيم في جدار القدس العنصري ما يقارب 14 مدخلا وبوابة ونقطة تفتيش دائمة، أعلنت من خلالها إسرائيل أنها ستتعامل معها وفق الإجراءات المتبعة في المطارات والنقاط الحدودية. وهذه المداخل هي: بدو وبيتونيا (اعتبرته إسرائيل معبرا تجاريا) وقلنديا والرام وبيت إكسا وشعفاط والزعيم وأبو ديس وحزما والسواحة وبيت لحم والخضر وعتصيون ونعلين⁶⁷. وتبلغ أطوال هذه المعابر من 350-500 م اقتطعت كلها من أراضي الفلسطينيين. أما المعبر فيضم سبعة مسارات للمشاة وثلاثة للسيارات لا تتوفر فيها الحدود الدنيا في المعاملات الإنسانية حيث توصف هذه المعابر بـ «الحلايات»⁶⁸. وسوف يتوفر في كل معبر مقرات لوزارة الداخلية الإسرائيلية وضريبة الدخل وفرع للبريد وخدمات حكومية حيوية أخرى، يهدف تقديم خدمات لسكان القدس الشرقية الذين لا يرغبون بالتوجه إلى المدينة⁶⁹.

62. إدارة جماعة لحيط القدس، قرار الحكومة رقم 3873، www.pmo.gov.il، 2005/7/10.

63. قرار محكمة العدل العليا الإسرائيلية بخصوص الجدار في بيت سوريك، 2004/6/30.

64. بيتسيلم، ترسيم العائق حول القدس الشرقية، نشرة صدرت عن المركز بعد عام من قرار محكمة العدل العليا بخصوص الجدار الفاصل في بيت سوريك 2004/6/30.

65. موقع إسرائيلي على الاليكتروني للمؤيدين للفصل أحادي الجانب، WWW.HIPARDUT.ORG.IL، خطط لبناء جدار فاصل.

66. د عودة خليل والدكتور أحمد موسى، محرران، الاستيطان اليهودي في مدينة القدس، ص 53، جامعة النجاح الوطنية القدس، 2005.

67. موقع وكالة الغوث دولية على الاليكتروني، تقارير حول جدار الضفة الغربية، 2004، www.un.org.

68. يشبه معبر قلنديا الحلايات، على سبيل المثال، حظيرة البقر التي تجري فيها عملية الحلب، وأصل التسمية يعود إلى سكان قطاع غزة الذين وصفوا الدخول والخروج من القطاع بهذه الصفة.

69. إدار عقيبا، حاجز خمس نجوم، هارتس، 2005/6/4.

وسيحد جدار القدس سبعة مدن عربية (يهدف إنشاء القدس الكبرى التي ستبلغ مساحتها ما بين 250 كم وفق الإحصاء الإسرائيلي و 850 كم وفق المعطيات العربية، أي ما يعادل من 17% من مساحة الضفة الغربية) هي رام الله والبيرة وبيتونيا بيت لحم وبيت ساحور وبيت جالا وأريحا. وعلاوة على ذلك، فإن الجدار الفاصل في مدينة القدس سيؤدي في نهاية الأمر إلى فصل كلي لشمال ووسط الضفة عن جنوبها وما سينتج عن ذلك من انعكاسات سياسية واجتماعية واقتصادية⁷⁰، في حال أغلقت الفتحات الثلاث في منطقة جفعات زئيف وغوش عتصيون ومعاليه أدوميم التي يبلغ عرض الفتحة فيها أربعة كيلو مترات⁷¹.

إجراءات اقتصادية

تناغمت سياسة إسرائيل الاقتصادية مع سياستها في مجالات القانون والاستيطان وبناء الجدار حيث عملت ومنذ بداية احتلالها للمدينة على تفرغ المدينة من الاقتصاد الفلسطيني وفك صلاتها الاقتصادية مع الضفة الغربية وربطها بالاقتصاد الإسرائيلي بهدف إجبار الفلسطينيين على الرحيل الطوعي من المدينة وفق سياسة «الجذب المعاكس»⁷² ووفق السياسة المذكورة منعت إدخال المنتجات الزراعية والصناعية واعتمدت الليرة الإسرائيلية كعملة تداول في الضفة الغربية وقطاع غزة بدلا من الدينار الأردني وأغلقت البنوك الأردنية وفرضت ضرائب باهظة على البضائع العربية التي تحتاجها القدس، وحاصرت القطاع السياحي ومنعت القطاع التجاري من العمل مع محيطه -وهما مصدر الرزق الأساسيين في القدس. ونتيجة لتلك السياسة (إضافة إلى السياسات السابقة) ضرت البنية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، الأمر الذي أدى إلى تراجع مكانتها الاقتصادية بشكل متواصل، وأدخلت مرافقها الاقتصادية (سياحة وصناعة وتجارة وخدمات) في أزمات متواصلة. ونتيجة للحصار المفروض عليها منذ الانتفاضة الأولى أصبحت المدينة تعاني من ركود اقتصادي مما أدى إلى إفلاس العديد من المنشآت وإغلاق مئات المحال التجارية وهجرة الكثير من المؤسسات والمنشآت الاقتصادية والتجارية إلى خارج حدود المدينة باتجاه الضفة الغربية. أما المؤسسات والشركات الاقتصادية فقد أغلقت بعضها وطلبت من البعض الآخر تسجيل نفسها كمؤسسات وشركات إسرائيلية. وفي المقابل، ومن أجل ربطها بالاقتصاد الإسرائيلي أقيمت المناطق الصناعية الجديدة (مثل المنطقة الصناعية «عطروت» في قلنديا وميشور أدوميم في الخان الأحمر) من التزود بالبضائع الفلسطينية، وألغيت امتيازات خطوط المواصلات من وإلى القدس وأغلقت الخدمات الصحية والاجتماعية في وجه المرضى. كما تخطط إسرائيل إلى إقامة مناطق صناعية وسياحية في منطقة E1.

إجراءات بحق الأماكن المقدسة (بين المصادرة والمشاركة)

بعد احتلال المدينة في عام 1967 رفضت إسرائيل الاعتراف باتفاقية الوضع القائم التي عدلتها بريطانيا والتي أضافت بموجها ساحة حائط البراق كمكان مقدس لليهود (الحائط الغربي للهيكل وفق الرواية اليهودية)، وقامت بهدم حي المغاربة (أو حارة الشرفا) وتوسيع مساحة ساحة البراق لتمكين اليهود من الصلاة فيه⁷³ كما سنت قانون المحافظة على «الأماكن المقدسة أن تمس» من دون أن

70. معلم مزال، أضرار الجدار الفاصل في القدس، هارتس، 2005/2/11.

71. ارثيلي شاؤول وميخائيل سفارد، الجدار الفاصل أمن أم طمع، ص 315، يدعوت احرنوت للتوزيع والنشر، 2008.

72. شرغاي نداف، الجدار الفاصل في القدس، الحلقة الثانية، هارتس، 2005/10/9.

73. لم يكن حائط البراق أو ساحته مكانا مقدسا لليهود قبل عام 1520، وخصص هذا المكان لصلاة اليهود فيه من قبل

تسمى هذه الأماكن خاصة الإسلامية منها⁷⁴ كذلك سنت قانون «حرية الوصول إلى الأماكن المقدسة» كي تسمح بدخول اليهود إلى ساحات المسجد الأقصى والصلاة فيه. وكان الهدف من عدم وضع قائمة للأماكن المقدسة للمسلمين هو محاولة السيطرة عليها مثل السيطرة على قبر راحيل (مسجد بلال) أو اقتسامها مع المسلمين مثل مسجد النبي صمويل الذي يسمح للمسلمين الصلاة فيه يوم الجمعة وفي الساحة السفلية منه وتقاسم ساحات المسجد الأقصى مع المسلمين مستقبلاً⁷⁵

ونتيجة للقانونين بدأت إسرائيل أعمال الحفريات أسفل المقدسات الإسلامية خاصة أسفل المسجد الأقصى مخالفة بذلك حتى قوانينها التي تمنع المس بالآماكن المقدسة، وتعد العدة لافتتاح كنيس يهودي أسفل بعد أن هيأت الأرضية لذلك. وتنتشر الحفريات في ثمانية مواقع مختلفة فيما تسميه إسرائيل الحوض المقدس (الحوض التاريخي وفق التسمية الإسرائيلية الجديدة) تشارك فيه مجموعات المستعمرين مثل عطيرت كوهنيم وشركات حكومية مثل إلعاد وغيرها وسلطة الآثار الإسرائيلية وبلدية القدس.

وبعد فشلها في إيجاد أمكنة مقدسة لليهود فوق الأرض بدأت تبحث عن تاريخ وأماكن تحت الأرض حيث امتدت حفرياتها إلى جميع أنحاء البلدة القديمة والمقدسة عند جميع أبناء الديانات، محاولة بذلك إعادة كتابة التاريخ وفق رؤيتها فقط، من دون أي سند علمي أو قانوني أو تاريخي، وأطلقت مختلف التسميات العبرية على هذه الحفريات⁷⁶. وتجري الحفريات في تسعة مواقع مختلفة من البلدة القديمة ومحيطها من أهمها الحفريات باب المغاربة وباب العامود وسلوان (راجع الخارطة)⁷⁷ وفيما يتعلق بما يسمى بالقدس الكبرى فقد بدأت إسرائيل البحث عن المواقع التي تدعي أنها دينية بالنسبة لها، حيث سيطرت على مسجد بلال بن رباح (قبر راحيل)⁷⁸ ومسجد النبي صمويل⁷⁹، وغير ذلك من المواقع.

حل البلدية وإغلاق المؤسسات

بعد احتلال الجزء الشرقي من مدينة القدس في عام 1967 أصدر، وزير الداخلية الإسرائيلية بموجب الصلاحيات المخولة له بحكم قرار ضم المدينة، قرارا بحل البلدية الأردنية وحل مجلس أمانة القدس العربية، ودمجها بالبلدية الإسرائيلية، وألغيت المرافق والخدمات العامة العربية ونقل قسم منها إلى خارج المدينة. وألغيت المؤسسات القضائية الإسلامية الرسمية في القدس وحولت إلى محكمة الشرعية الإسلامية في مدينة يافا المحتلة عام 1948. كذلك ألغيت المحاكم المدنية على مختلف

السلطان العثماني سليمان القانوني. ولم تذكر المصادر اليهودية القديمة أو مؤلفاتهم هذا الموقع، وكان اليهود يقيمون بعض الطقوس الدينية قرب باب الرحمة. المصدر، المغاربة وحائط البراق وأطماع اليهود، ص 9، محمد بحيص عرامين وناصر داوود الرفاعي، منشورات الأرشيف الوطني الفلسطيني، 2008.

74. بيرقوفيتش شموئيل، المكانة القانونية للأماكن المقدسة، ص 6، مركز القدس للدراسات الإسرائيلية، 1997.
75. نفس المصدر، ص 66.

76. البلدة القديمة والحوض المقدس، قضايا وتطورات من الفترة الأخيرة، من ص 1-4، وجهة نظر جمعية غير عميم، مارس 2007

77. ربابورت ميرون، ذروة الحفريات في القدس، معظمها يتمويل جمعيات اليمين، 2008.

78. مسجد النبي صمويل بناه الظاهر بيبرس وهو أرض وقف إسلامي، وأوقفت بعض القرى لخدمته. وأسفل المسجد أقيم كنيس ومدرسة دينية يهودية. وتجري صلاة المسلمين فيه بصعوبة نتيجة التضييقات التي يمارسها جنود الاحتلال بحق المصلين في الموقع. تمر عباس، مقدساتنا وأطماع اليهود، ص 71، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 1999.

79. نفس المصدر، ص 81. سمي بهذا الاسم لأن الصحابي بلال بن رباح أذن فيه خلال فتح القدس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب.

أنواعها وحلت مكانها المؤسسات القضائية الإسرائيلية، تم في إطارها نقل وزارة العدل الإسرائيلية إلى القدس الشرقية. كذلك استولت إسرائيل على المتحف العربي الفلسطيني ونهبت كل محتوياته وفي مقدمتها الآثار الثمينة والمخطوطات التاريخية وحولته إلى متحف يهودي. كما قامت إسرائيل بإلغاء المناهج التعليمية العربية في المدارس الحكومية وفككت البنى التعليمية العربية وأغلقت مكتب مديرية التربية والتعليم العربي في القدس واستبدلته بوزارة المعارف اليهودية وألحقت المدارس العربية الإعدادية والابتدائية الحكومية بها. أما المدارس الثانوية العربية فتم إلحاقها ببلدية القدس الإسرائيلية وطالبت المعلمين والعاملين في سلك التعليم بتقديم طلبات عمل جديدة لها أو إلى بلدية القدس اليهودية.

وامتدت قرارات الإغلاق والطرء والترحيل لتشمل المؤسسات المدنية والجمعيات الخيرية والنقابات المهنية والمؤسسات التعليمية المستقلة، وغير ذلك من المؤسسات. وشملت قرارات الطرد والإغلاق والترحيل خمسين مؤسسة عربية في القدس مثل جامعة القدس وجمعية الدراسات العربية والغرفة التجارية.

الرؤية الإسرائيلية المستقبلية للقدس

انشغلت إسرائيل في العقود الأربعة الماضية في رسم صورة مستقبلية للقدس الكبرى. ولا يكاد مجال يذكر بخصوص هذه المدينة إلا وعملت إسرائيل من أجل وضع مخطط مستقبلي له. وسوف أحاول طرح الصورة الإسرائيلية المستقبلية التي لو تحققت لا سمح الله لأصبحت هذه المدينة المقدسة (عند الديانات الثلاث) إسرائيلية ويهودية بالمظهر والجوهر والمحاور التي سأطرحها هي:

القدس ومستقبل الضفة الغربية: تقف أربعة كتل استيطانية في الضفة الغربية حائلاً أمام الحل النهائي الذي يتطلع إليه الفلسطينيون كحل أدنى. والكتل الاستيطانية هي: غوش عتصيون في بيت لحم ومعاليه أوديم في شرق القدس وأريئيل وألفيه مينشه في منطقتي قلقيلية وسلفيت. وتشق الكتل الاستيطانية الضفة الغربية إلى ثلاثة كانتونات كبيرة جدا هي كانتون الجنوب وكانتون الشمال وكانتون الوسط.

وخطورة كتلتي الاستيطان -غوش عتصيون ومعاليه أوديم- على الضفة الغربية في حال ضمهما تتمثل ب: أولاً، تمسح القدس من خارطة الضفة الغربية. ثانياً، تقسم الضفة الغربية إلى قسمين واحد في الجنوب والثاني في الشمال والوسط. الأمر الذي يحقق حلم دولة إسرائيل بتقسيم الضفة الغربية وإنشاء كيانات سياسيين مختلفين في هاتين المنطقتين مرتبطان بعلاقة ما مع الأردن، من أهمها إجبار الأردن على تحمل مسؤولياته تجاه الفلسطينيين باسم العروبة والإسلام كحال قطاع غزة اليوم الذي تحاول فيه إسرائيل تحميل مصر عبئ المشاكل التي يواجهها القطاع الناجمة عن الاحتلال الإسرائيلي، بما في ذلك تمديد شبكة مواصلات موحدة للتنقل بين أجزاء الضفة بواسطة معابر على الحدود الأردنية الإسرائيلية.

وفي الوقت الذي قطعت فيه المستعمرات الأرض الفلسطينية جغرافيا وسياسيا جاء الجدار ليقطع بين الفلسطينيين سكان القدس والضفة الغربية اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا.

السيادة: فرضت إسرائيل سيادتها على حدود بلدية القدس الموسعة (الحدود الحالية) البالغة مساحتها 124 كم. ومنذ عام 2002 تحاول إسرائيل مد سيادتها على منطقة القدس الكبرى البالغة

مساحتها أكثر من 126 كم وتضم عشرات المستعمرات في الضفة الغربية. وبنفس السياق تحاول إسرائيل مد سيادتها على 550 كم من المنطقة الممتدة من عرب التعامرة حتى مشارف البحر الميت. ولا بد من الإشارة أن مفهوم السيادة الفلسطينية على الأحياء العربية في القدس وفق الرؤية الإسرائيلية يتطلب الكثير من التوضيح، لأن إسرائيل تتعامل مع مفهوم السيادة وفق تفسيرات قانونية مختلفة ومتعددة.

الحدود: تسعى إسرائيل إلى فرض حدود للقدس الكبرى هي البحر الميت من خلال السيطرة على ما يسمى «صحراء يهودا» وهي منطقة منطقة صحراوية شبه قاحلة تمتد من عرب التعامرة في الجنوب وتمتد حتى عرب الصويرة وعرب بن عبيد وبرة القدس وعرب رشيد والنبي موسى، حتى مشارف البحر الميت. أما من الغرب فتسعى أن تكون حدودها حتى منطقة اللطرون وفق خطة سفاذي التي بحثت توسيع حدود القدس. أما من الشمال فتحد القدس الكبرى مدن رام الله والبيرة وبيتونيا (مع وجود أكثر من 20 كانتون فلسطيني)، ومن الجنوب مدن بيت لحم وبيت ساحور وبيت جالا

الأماكن المقدسة: لا توجد أطماع إسرائيلية في الأماكن المسيحية المقدسة. لكن أطماعها تمتد إلى الأماكن الإسلامية حيث عملت على مصادرة بعضها مثل مسجد بلال بن رباح في مشارف بيت لحم، أو اقتسامها مع الفلسطينيين كما حدث ذلك في الحرم الإبراهيمي الشريف ومع مسجد النبي صمويل اللذان وضع بخصوصها ترتيبات معينة لصلاة اليهود والمسلمين في هذه الأماكن. ويشارك في تنفيذ الخطة المسماة «كيدم يروشاليم» (واجهة القدس) الحكومة الإسرائيلية وبعض المجموعات المتدينة وجهات يهودية متطرفة وشركات حكومية وبعض رجال الأعمال اليهود في الولايات المتحدة وغيرها من الدول. وتبلغ تكاليف تنفيذ هذه الخطة أكثر من مليار دولار، وتستمر حتى عام 2013.

وتتضمن الخطة إقامة كنيس في مبنى المحكمة المطل على المسجد الأقصى، وهو ما تم فعلا. وشق الاتفاق الداخلية أسفل الحرم القدسي الشريف وإقامة كنس صغيرة فيها. وبناء الهيكل المزعوم في المنطقة الواقعة أسفل قبة الصخرة ومقابل المسجد الأقصى. كما تسعى لهدم عشرات البيوت العربية في سلوان لإقامة ما يسمى بمدينة داوود وربط هذه المنطقة بساحة البراق التي ستدخل عليها تصليحات وتغييرات تغير من شكلها الإسلامي بشكل كلي وتصبغه بالصبغة اليهودية (مرفق صور عن المشروع).

كذلك تسعى إسرائيل لفرض واقع جديد في الحوض المقدس الذي غيرت اسمه إلى «الحوض التاريخي» ووسعت مساحته لتصل إلى 2152 دونم لكي يشمل ما تدعيه الأماكن اليهودية المقدسة التي لم تؤيدها الحفريات الأثرية التي أجريت في المكان على مدار القرنين الماضيين. وفيما يتعلق بالسيادة في الحوض المقدس الذي يضم المقدسات الإسلامية والمسيحية وما يسمى بالمقدسات اليهودية فتبقى سيادة إسرائيلية كاملة، مع بقاء الإدارات الحالية للأماكن المقدسة كما هي عليه اليوم.

البلدية: بدأت بلدية القدس خطواتها العملية في التخلي عن الأحياء العربية في مدينة القدس التي ضمتها في عام 1967 وهي أحياء مخيم شعفاط وراس خميس وراس شحادة وضاحية السلام وسميرا ميس وكفر عقب وبعض أحياء ضاحية الرام وبعض أحياء الرام نفسها وتحويل الخدمات البلدية لهذه المناطق لـ: «لإدارة الجماعية للقدس الكبرى» والتي أنشأتها الحكومة الإسرائيلية والخاضعة

لسيطرتها. وربما تخرج قرى صور باهر وجبل المكبر وأم طوبا من حدود بلدية القدس في المستقبل نظرا لتعالي الأصوات الرسمية وغير الرسمية المطالبة بضم هذه المناطق لأراضي السلطة الفلسطينية. أما الأحياء الواقعة في القدس الشرقية وضمن ما يعرف بحدود البلدية الأردنية فسوف تحولها إلى أحياء ريفية بعد أن كانت عاصمة سياسية واقتصادية واجتماعية لكل الفلسطينيين في الضفة الغربية والقدس.

السكان: بعد أن عملت إسرائيل على إخراج 150 ألف فلسطيني من القدس ومحيطها، تعمل اليوم على سحب الهويات الزرقاء من الفلسطينيين بهدف تقليص عددهم في 2020 ليصل عددهم إلى أقل من 250 ألف في محيط كل القدس الكبرى. أما القدس الشرقية فسوف يسكنها حتى عام 2020 أكثر من 300 ألف متدين، بعد هجرة اليهود العلمانيين منها إلى محيط القدس الكبرى. الأمر الذي سيؤدي إلى زيادة الاحتكاكات والمشاكل اليومية مع الفلسطينيين، كما هو الحال مع المستعمرين في الضفة الغربية.

خلاصة

القدس ليست قضية عابرة بالنسبة للفلسطينيين أو العرب أو المسلمين. فهي قبلتهم الأولى وإليها سرى الرسول الكريم محمد بن عبد الله (عليه الصلاة والسلام) وفيها صلب السيد المسيح (عليه السلام) وفق الرواية المسيحية. والقدس ليست مجرد مدينة من مدن الوطن السليب، أو عاصمة من عواصم الدول، إنها قلب المشروع الإسلامي والعالمي، فمن يسيطر عليها يحكم المشروع العالمي. وهذا ما حصل مع الكتعانيين والفينيقيين والفراعنة والمسلمين، وفي النهاية المشروع الغربي، الذي تلعب فيه إسرائيل دورا مهما في تقسيم المشرق العربي وفي حركة الاستكبار العالمي الذي تقوده الولايات المتحدة.

ولقدسيتهما عند أبناء الديانات الثلاث، فإنها تحتاج إلى مزيد من الاهتمام الفلسطيني والعربي والإسلامي والمسيحي من أجل وضع حد للعدوان الإسرائيلي عليها، الذي عمل على مدار العقود الأربعة الماضية وما زال يسمح صورتها الإسلامية العربية ويزور تاريخها ويمسح معالمها ويغير سكانها، آملا بإعطائها صبغة وصورة وتاريخا يهوديا.

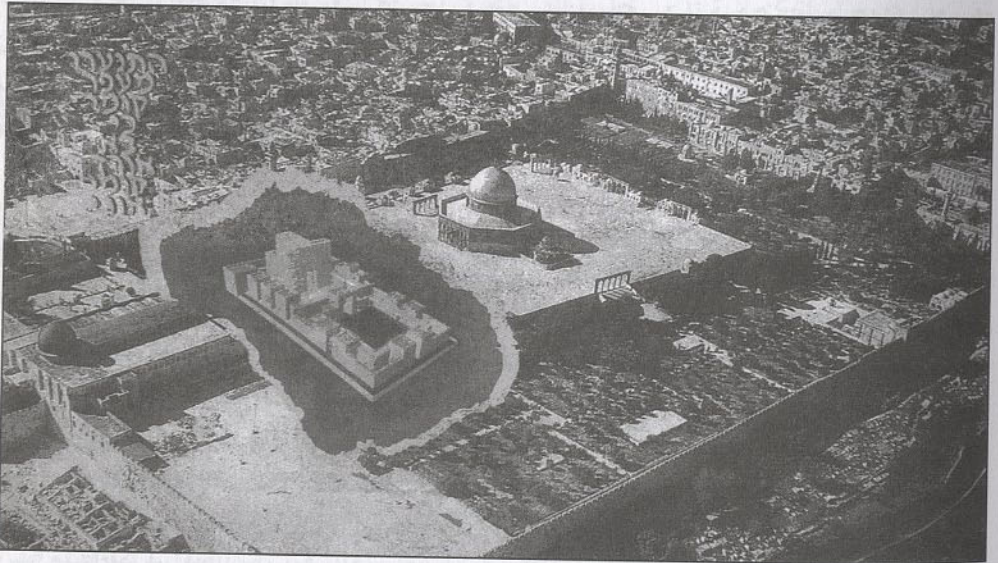
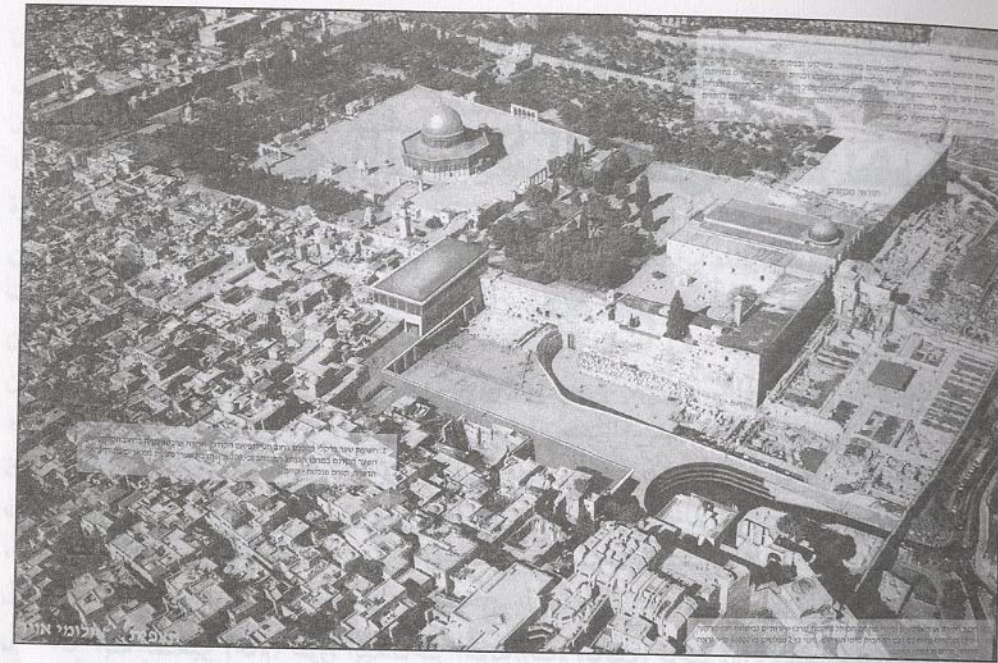
ولأن القدس ليست شعارا يرفع هنا وهناك، ولأنها ليست قضية للمزايدة في هذا المكان أو ذاك، وإلى أن يشاء الله أمرا كان مفعولا، فإنها تحتاج إلى نوع آخر من المقاومة يركز فيه المحافظة على الحجر وعلى البشر، لأن كل شيء فيها مستهدف يهوديا.

القدس التي يقاوم فيها السكان كافة أنواع الطرد والتهجير والهدم والتمييز تتطلب من الفلسطينيين أولا وحدة في الموقف والمصير، والإدراك أن إبقاء الصراع مفتوحا مع اليهود يتطلب منهم ثانيا وضع مخططات معاكسة ومناقضة للمشروع اليهودي في القدس.

ورغم أهمية الإعلان عن أن القدس عاصمة للثقافة العربية في عام 2009، إلا أنها تحتاج إلى أكثر من ذلك عربيا، لتمتد إلى المشاركة الفاعلة في الدعم المعنوي والمادي على شكل مشاريع إسكان وتنمية مستدامة، وغير ذلك من المشاريع بهدف تعزيز صمود المقدسيين.

وللعالم الإسلامي دور مهم في مواجهة المشروع اليهودي في القدس وذلك من خلال توفير الدعم السياسي والمعنوي والمادي للمقدسيين خاصة أن هذا المشروع يستهدف من ضمن ما يستهدفه المقدسات الإسلامية وعلى رأسها الحرم القدسي الشريف.

كما أن للمجتمع الدولي الذي يتشدق صباحا ومساء بالمحافظة على التراث العالمي، دور مهم في المحافظة على التراث والتاريخ الإسلامي والمسيحي في القدس، كتراث عالمي، ورفض منطق تهويد المدينة المقدسة التي عاشت فيها المسيحية والمسيحيين مع الإسلام والمسلمين على مدار العشرين قرنا الماضية.



الخزر لا بنو إسرائيل العاصمة (إتل) لا القدس الشريف

أ. غسان عاطف بدران
كلية الشريعة/جامعة النجاح الوطنية

• ما تسمى دولة إسرائيل قامت على ادعاءات كاذبة ، ادعاءات أقنع اليهود بها أنفسهم ثم خدعوا بها العالم.

هذا الكذب وهذا التزوير لا يقتصر على قولهم ان فلسطين (والقدس بشكل خاص) هي ملك لهم من دون الناس. فقد زعموا أنهم من نسل سام بن نوح عليه السلام ، وأن نبي الله نوحاً قد باركهم منذ ذاك الوقت المبكر للبشرية ، وأن أعداءهم سيكونون عبيداً لهم ، فقد نسبوا إلى نبي الله نوح عليه السلام (في سفر التكوين) أنه شرب الخمر وأنه تعرّى فرأى ابنه الصغير (حام) عورة أبيه فأخبر أخويه (سام وياث) فأخذوا رداً وغطوا به عورة أبيهما ، فلما أفاق أبوهما من الخمر أخبراه بذلك فقال: (ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته ، وقال : مبارك الرب اله سام وليكن كنعان عبداً لهم ، ليفتح الله لياث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبداً لهم) سفر التكوين/إصحاح (9-27).

• هذه القصة مكذوبة على هذا النبي الكريم الصابر ، ونرى كيف تم إقحام اسم (كنعان) في هذه القصة مع أنه لم يكن قد ولد وقتها فلم يكن ابن (حام) الوحيد بل إن التوراة في نفس السفر تذكر أنه ولده الرابع ، وسبب هذا الافتراء هو الصراع والعداوة الشديد بين الكنعانيين وبين بني إسرائيل في شرق وغرب الأردن فأراد اليهود أن يبينوا لأبنائهم وللناس بأن الكنعانيين ملعونين منذ الأزل وأنهم لن يكونوا إلا عبيداً لبني إسرائيل.

• وزعموا أيضاً أنهم وحدهم ينتسبون إلى (إبراهيم عليه السلام) دون غيرهم من الناس وأن الله تعالى قد وعد إبراهيم عليه السلام بأن تكون أرض فلسطين خالصة لهم ففي سفر التكوين / إصحاح 7/12: (وظهر الرب لأبرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض) وفي نفس السفر إصحاح 13 (14-17): « وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه : « ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ، لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد واجعل نسلك كتراب الأرض ، حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضاً يعد ، قم امش في الأرض طولها وعرضها ، لأنني لك أعطيها » وفي سفر التكوين أيضاً/ إصحاح 18/15: « في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض ، من مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » . وفي الإصحاح 17/6-8: « لأنني أجعلك أباً لجمهور من الأمم وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أما ، وملوك منك يخرجون وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً لا يكون

الهاً لك ولنسلك من بعدك ، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غريتك ، كل أرض كنعان ملكاً أبدياً ، وأكون إلههم » . فأرض فلسطين حسب نصوص التوراة هي غريبة بالنسبة إلى إبراهيم وبالتالي لإسحق ويعقوب ، وإبراهيم -عليه السلام- قد اشترى قطعة أرض لتكون قبراً لامراته (سارة) فكيف تكون هذه الأرض لهم؟ ففي سفر التكوين /إصحاح 23/2-15: « وماتت سارة في قرية أربع (التي هي حبرون) في أرض كنعان ، فأتى إبراهيم ليندب سارة وبكي عليها ، وقام إبراهيم من أمام ميتته وقال لبني حث: أنا غريب ونزيل عندكم ، أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتتي من أمامي ، فأجاب بنو حث إبراهيم : اسمعنا يا سيدي ، أنت رئيس من الله بيننا ، في أفضل قبورنا ادفن ميتك ولا يمنع أحد منا قبره عنك حتى لا تدفن ميتك ، فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض لبني حث وقال: إن كان في نفوسكم أن أدفن ميتتي من أمامي فاسمعوني والتمسوا لي من عفرون بن صوحر أن يعطيني مغارة «المكفيلة» التي له ، التي في طرف حقله بثمن كامل يعطيني إياها في وسطكم ملك قبر ، وكان عفرون جالساً بين بني حث فأجاب عفرون الحثي إبراهيم في مسامع بني حث لدى جميع الداخلين باب مدينته : لا يا سيدي ، اسمعني ، الحقل وهبتك إياه ، والمغارة التي فيه لك وهبتها ، لدى عيون بني شعبي وهبتك إياها ، ادفن ميتك فسجد إبراهيم أمام شعب الأرض وقال لعفرون في مسامع شعب الأرض : بل إن كنت أنت إياه فليتكن تسمعني أعطيك ثمن الحقل خذ مني فادفن ميتتي هناك فأجاب عفرون إبراهيم : يا سيدي اسمعني ، أرض بأربع مئة شاقل فضة ، ما هي بيني وبينك » .

• واليهود أيضاً يتجاهلون (إسماعيل) عليه السلام الابن الأكبر لإبراهيم وكأن وعد الله لأبناء إبراهيم لا يشمل إسماعيل وأبناءه ولا يشمل أبناء إبراهيم من نساء أخريات حيث تزوج امرأة كنعانية تدعى قطورة التي أنجبت له ستة أبناء ، وكان له سراري أنجب له أيضاً حيث ورد ذلك في سفر التكوين: « وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان وبشياق وشوفا وأعطى إبراهيم إسحاق كل ما كان له ، وأما بنو السراري اللواتي كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحق ابنه شرقاً إلى أرض المشرق وهو بعد حي.

• هذا الكذب المنهوج وهذا التزييف المدعوم بالأساطير ما زال اليهود يرددونه حتى هذا الوقت فنجد يهود اليوم يدعون أنهم أبناء سام وأنهم أحفاد إبراهيم وأن هذه الأرض أرضهم (بالوعد الإلهي) وأن القدس لهم إلى أبد الأبد.

وسأحاول في هذه الورقة المقدمة للمؤتمر بيان أن اليهود الموجودين الآن لا علاقة لهم ب (سام بن نوح) ولا علاقة لهم ببني إسرائيل وبالتالي لا علاقة لهم بالقدس وفلسطين ، وهذا الأمر ليس اكتشافاً من عندي بل إن الكثير من الدراسات (على اختلاف جنسيات أصحابها) تثبت أن اليهود الموجودين في العالم الآن ينتمون في أغليبيتهم الساحقة الى قبائل الخزر وهم شعوب من أصول تركية قديمة ظهوروا في جنوب القوقاز واستقروا في منطقة الفولغا السفلى ، وظهروا كقوة في القرن السابع الميلادي ، ثم امتدت إمبراطوريتهم بين القرنين الثامن والعاشر من السواحل الشمالية للبحر الأسود وبحر قزوين الى

الأورال ، وغرباً باتجاه (كييف) ، وكانت عاصمتهم (إتيل) في دلتا الفولغا . وقد غزا الخزر بلغار الفولغا والقرم ، كما كانت لهم حروب مع المسلمين ومع الفرس ومع الأرمن ، وقد اعتنق غالبية الخزر الديانة اليهودية في القرن الثامن (تقريباً في عام 740م في زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد) واعتناقهم اليهودية يدل على أن الخزر أرادوا الاستقلال لأنفسهم لأنهم كانوا بين قوتين كبيرتين (وهما المسلمون في الشرق والبيزنطيون في الغرب).

وفي القرن الثامن دخل الخزر في علاقات ودية مع الإمبراطورية البيزنطية الذين استعانوا بهم في التصدي للمسلمين ، والخزر هم الذي حموا سهول أوروبا الشرقية ضد المسلمين فالحروب التي نشبت بين المسلمين والخزر في خلال القرنين السابع والثامن للميلاد وهي لمدة قرن من الزمان تقريباً عرفت عند المؤرخين العرب بالحرب الخزرية الأولى (642-652م/22هـ-32هـ) والحرب العربية الخزرية الثانية (722-737م/103-119هـ) وفي الصراع الدائر بين المسلمين والبيزنطيين وقف الخزر إلى جانب البيزنطيين ، ونتيجة لذلك تزوج الإمبراطور البيزنطي (قسطنطين الخامس) سنة 732م من أميرة خزرية أنجبت له ولداً قدّر له أن يعتلي عرش الإمبراطورية البيزنطية باسم (ليو الرابع أو ليو الخزري) 775-780م. وقد سقطت إمبراطوريتهم التي دامت قرابة قرنين من الزمان عندما هزمت جيوشهم على يد (سفياتوسلاف الأول) دون كييف عام 965م.

• لقد أثبت العلماء المختصون بدراسة اليهود (ومنهم الكاتب اليهودي الهنغاري (آرثر كويستلر) في كتابه (القبيلة الثالثة عشرة) اثبتوا بالأدلة والبراهين أن معظم يهود العالم في الوقت الحاضر إنما يعتبرون من سلالة الخزر الذين ينحدرون من نسل (ياث بن نوح عليه السلام) وليس من نسل (سام بن نوح). وما يؤيد هذا ما ورد في الرسائل المتبادلة والمعروفة باسم (الرسائل الخزرية) بين الأعوام 954-961م وهي رسائل بالعبرية بين ملك الخزر «يوسف» وبين الطبيب اليهودي (حسداي بن شربوط) والذي كان كبير الوزراء للخليفة عبد الرحمن الثالث في قرطبة حيث بلغت الأخبار إلى حسداي بوجود مملكة يهودية مستقلة فشك في بداية الأمر حتى أكد له التجار القادمون من بلاد الفرس وجود مملكة الخزر اليهودية ، فبعث حسداي بعض رجال البلاط وحملهم رسالة فيها أسأله عن هذه المملكة وإلى أي قبيلة من قبائل بني إسرائيل ألاثنتي عشرة ينتمون ، فقد ظن حسداي أنهم من اليهود الذين خرجوا من فلسطين ، ولكن يوسف بالرغم من إيمانه الشديد بيهوديته واعتزازه بقيامه على «صولجان يهوذا» لم يستطع الزعم أنه من نسل سامي وهو يرجع أصل اليهود إلى ابن نوح الثالث يافث ولا يرجعه إلى سام.

ويذكر هذا الكاتب أن يهود الخزر هاجروا بعد سقوط إمبراطوريتهم إلى مناطق الانتعاش الاقتصادي في أوروبا الوسطى والشمالية وتمركزوا في الطريق التجاري بين روسيا وبولندا وأوكرانيا ورومانيا ولتوانيا وألمانيا وفنلندة والعديد من بلدان أوروبا ، ليكونوا أصول يهود أوروبا (الأشكنازيم) وكان عدد هؤلاء اليهود الخزر يفوق بكثير غيرهم من اليهود الذين جاؤوا إلى أوروبا في فترات أخرى من التاريخ. وعلى هذا يعتبر كويستلر أن معظم يهود العالم بما فيهم (يهود الكيان الصهيوني) لا علاقة لهم على الإطلاق بالجنس السامي وقبائل بني إسرائيل.

• إن اعتناق الخزر لليهودية في العصور الوسطى يهدم عدداً من المقولات التي صارت بحكم تكرارها في العصور الحديثة من قبيل المسلمات في قضية صراع العرب والمسلمين مع اليهود.

وشعب الخزر دليل قاطع يدحض ما رددته الصهيينة من أن اليهود في مختلف بقاع العالم ينتمون إلى أصل واحد هو فلسطين ، وتجذب اليهود الخزر في وقتنا المعاصر يمثلون خليطاً من الشعوب البعيدة عن نسب إسرائيل.

إن الكيان الخزري الذي كان حاجزاً بين المسلمين والبيزنطيين في العصور الوسطى تراه الآن بصورة حية في التاريخ المعاصر وذلك في الوجود الصهيوني الخزري في أرض فلسطين.

محاولة خزرية قديمة لاحتلال فلسطين:

ينقل آرثر في كتابه (القبيلة الثالثة عشرة) أنه حدث في القرن الثاني عشر ميلاد الخزر حركة قامت على محاولة بدائية لحرب صليبية يهودية ترمي إلى غزو فلسطين بقوة السلاح ، وكان المحرض على هذه الحركة يهودياً هو سليمان بن دوجي أو (روحي) يعاونه ابنه مناحيم وكاتب من فلسطين ، وقد كتب هؤلاء جميعاً رسائل إلى جميع اليهود قاصيهم ودانيهم في جميع الأراضي المجاورة لهم وقالوا فيها انه قد حان الوقت لجمع شتات إسرائيل من جميع البقاع في (أورشليم) المدينة المقدسة ، وان سليمان بن دوجي هو (إيليا) وابنه هو المسيح ، ويتابع كويستلر قائلاً: ((وكانت هذه الدعوة موجهة فيما يبدو إلى الجماعات اليهودية في الشرق الأوسط وكان لها أثر ضئيل ، ومع أن الحركة المذكورة نشأت في بلاد الخزر فان مركزها انتقل سريعاً إلى (كردستان) ، وتسمى (مناحيم) باسم (داود) واتخذ لقب المسيح ، وفي كردستان جمع (داود) جيشاً كبيراً من اليهود المحليين ونجح في الاستيلاء على قلعة (أماذية) الإستراتيجية شمالي شرق الموصل وداعبته الآمال في أن يقود جيشه إلى ((الرها)) ويشق طريقه مخترقاً الشام إلى الأراضي المقدسة ، وأن الكتابات الألمانية الصوفية والأخلاقية قد نسبت (درع داود) المسدس إلى داود هذا منذ القرن الثالث عشر ، وظهر هذا الشعار على العلم اليهودي في (براغ) سنة 1527.

أقول: وقد اختارت دولة الخزر المعاصرة نجمة داود هذا لتكون جزءاً من علم دولتهم الصهيونية الخزرية.

ملحوظة:

كما يؤكد أن الخزر كانوا ينظرون إلى فلسطين ما ورد في الرسائل بين ملك الخزر يوسف وبين الوزير حسداي حيث يقول الملك: «إن عيوننا على حكماء أورشليم وبابل، ونحن وان كنا نعيش بعيداً عن صهيون ، فانا قد سمعنا مع ذلك بأن الحسابات مخطئة لوفرة الآثام ، ونحن لا نعلم شيئاً وإنما الله هو يعلم كيف يتولي الحساب ، وليس لدينا ما نستند إليه إلا نبوءات دانيال وتسأل الله أن يعجل في خلاصنا». طبعاً الملك يوسف يشير هنا إلى المسيح المنتظر وهو (المسيح الدجال) كما بين نبينا صلى الله عليه وسلم.

يهود أوروبا والولايات المتحدة و (الكيان الصهيوني):

يقول كويستلر: إن سر اليهود الكبير للهجرة إلى الغرب (من منطقة الخزر) ظل ماضياً قرابة ثلاثة قرون حتى الحرب العالمية الثانية ، وأصبح المنبع الأكبر للجماعات اليهودية التي تعيش الآن في أوروبا والولايات المتحدة وإسرائيل.

ويقول أيضاً:

(إن الشواهد جميعاً تؤيد المؤرخين المحدثين سواءً أكانوا نمساويين أم إسرائيليين أم بولنديين وذلك في قولهم - وكل بمعزل عن الآخر - بأن الفريق الأكبر من الشعب اليهودي الحديث ليس أصله من فلسطين بل من القوقاز كما أن المجري الأكبر للهجرات اليهودية لم يأت من البحر المتوسط عابراً فرنسا وألمانيا إلى الشرق ثم الانقلاب إلى الغرب مرة أخرى ، بل هو قد تحرك في خطى ثابتة صوب الغرب من القوقاز عابراً أوكرانيا إلى بولنده ومنها إلى وسط أوروبا قد يكون من الحماقة أن تنكر أن يهوداً من أصول مختلفة أسهموا في قيام الجماعة اليهودية الحالية في العالم إلا أن الشواهد المجتمعة تجعل المرء ميالاً إلى الاتفاق مع جميع المؤرخين البولنديين في قولهم: إن الفريق الأكبر من اليهود في العصور الأولى أصله من بلاد الخزر ، ومن ثم فإن نصيب الخزر في التكوين السلالي لليهود كان عنصراً أساسياً ، بل كان في جميع الاحتمالات هو العنصر السائد.

البقية الباقية من اليهود:

وماذا عن الأقلية اليهودية من غير الخزر:

يهود شمال إفريقيا هم من نسل قبائل البربر التي اعتنقت اليهودية في أزمنة بعيدة وربما بعضهم من اليهود الذين خرجوا مع المسلمين من الأندلس (وهؤلاء قد اختلطوا مع شعوب الأندلس). أما يهود اليمن فمن المعروف أنهم من العرب الذين اعتنقوا اليهودية في القرن الرابع الميلادي. و (الفلاشا) هم من السود الأفارقة ولا علاقة لهم ببني إسرائيل. وكذلك اليهود الصينيون هم من نفس جنس الصينيين.

يقول آرثر كويستلر: ((وثمة مصدر آخر مهم للتصاهر هو تلك الأعداد الحاشدة من الشعوب المتباينة الأجناس التي دخلت اليهودية وهذه الأعداد شاهدة على غيرة اليهود الأولية الدينية في نشر الدعوة اليهودية ويتمثل ذلك في (الفلاشا) السود الخلقة وهم من (الأحباش) ويهود (كاي فنج) الصينيين ويهود اليمن وبشرتهم في لون الزيتون ، وقبائل البربر اليهودية في الصحراء الذين يشبهون (الطوارق).

ويضيف كويستلر: « وبلغت غيرة اليهود في نشر الدعوة إلى دينهم أوجها أيام الإمبراطورية الرومانية بين سقوط الدولة اليهودية وقيام المسيحية ، فقد دخلت أسر كثيرة من أشراف إيطاليا في اليهودية ، وكذلك تحول عدد كبير من الإغريق إلى هذا الدين ، وكان فريق لا بأس به من سكان إنطاكية على اليهودية ، وقد لقي القديس (بولس) كثيراً من المهتودين في رحلته بين أثينا وآسيا الصغرى وظل الناس يدخلون في اليهودية قرنين أو ثلاثة قرون من الزمان ، وقد أبطأ ظهور المسيحية من هذا التحول ، وقضى قيام الأحياء اليهودية المنعزلة (الغيتو) على ذلك ، ومع هذا ظل التحول قائماً قبل أن تطبق أحكام الأحياء اليهودية بصرامة في القرن السادس عشر ، والشاهد على ذلك تواتر الزيجات المختلطة بالرغم من القيود والتحذيرات التي فرضتها المجالس الكنسية المختلفة».

الدين اليهودي شأن معظم الديانات مفتوح أمام من يريد أن يعتنقه ، وإذا عرفنا أن الأم في الديانة اليهودية هي من تحدد النسب عرفنا سخط القول أن هناك شعب يهودي يعود بأصوله إلى أولئك اليهود الذين عاشوا في فلسطين فترة قصيرة من التاريخ القديم.

الأشكناز:

من المعلوم أن معظم اليهود الموجودين في فلسطين هم من الأشكناز وهم المسيطرون على معظم مفاصل الدولة ، ومعظم يهود العالم يصنفون على أنهم أشكناز أيضاً وهي كلمة تطلق على اليهود الغربيين ، ولكن من أين جاءت كلمة «أشكناز»؟ وردت هذه الكلمة ثلاث مرات في التوراة ، ففي سفر التكوين / إصحاح 32-2: بنو يافث: جومر وماجوج وماداي وياوان وتوبال وماشك وتيراس ، وبنو جومر: أشكناز وريفات وتوجرمة»

وردد الاسم أيضاً في سفر أخبار الأيام الأول / إصحاح 6/1 ، أما في سفر إرميا / إصحاح / 27 فيظهر أن موطن أشكناز كان قريباً من القوقاز: « ارفعوا الراية في الأرض ، إضربوا بالبوق في الشعوب ، قدسوا عليها الأمم ، نادوا عليها ممالك أراراط ومني وأشكناز ، أقيموا عليها قائداً ، أصدعوا الخيل كغوغاء مقشعرة».

وأصبح اسم الأشكناز هو الاسم البديل عن الخزر ، وعلى حد قول الكاتب اليهودي كويستلر: فإن لفظ يهودي هو مرادف فعلاً لليهودي الأشكنازي.

إذاً فرغم كون الاسم يطلق على اليهود الغربيين إلا أنه يشير إلى اليهود الخزر (وهم كانوا في شرق أوروبا) والعجيب أن لفظ (السفارديم) يقصد به اليهود الشرقيين إلا أنه يطلق على يهود الأندلس (إسبانيا والبرتغال) وهم في غرب أوروبا.

ويتكلم اليهود الأشكناز ذوو الأصول الخزرية لغة اليبوش وهي لغة ملتبسة يعتقد الكثيرون بأصولها الألمانية وهذا اعتقاد خاطئ لا أساس له ، وتكتب لغة اليبوش بأحرف عبرية وهي مزيج من السلافية والعبرية والكثير من المصطلحات التي كانت رائجة في المناطق الشرقية من ألمانيا الملاصقة للبلاد السلافية.

ورغم الحقائق التي لا شبهة فيها والتي تبين أن معظم اليهود الموجودين الآن لا علاقة لهم بالسامية ولا ببني إسرائيل وبالتالي لا علاقة لهم بفلسطين والقدس ، فإنهم يستخدمون الأساطير والأكاذيب لتبرير سرقتهم لفلسطين ، حتى إن الكاتب اليهودي كويستلر يأبى إلا أن يمثل العقلية الصهيونية في كذبها ودجلها وعنجهيتها رغم أنه من الذين أثبتوا بالأدلة العلمية عدم علاقة معظم يهود العالم بأرض فلسطين حيث يقول خاتمة في خاتمة كتابه (القبيلة الثالثة عشرة):

« بداية أنا مدرك للخطر الكامن في احتمال تفسير هذه الفكرة بشكلٍ مآكر ومتعمد على أنها تعني الإنكار التام لحق دولة إسرائيل في الوجود ، لكن هذا الحق ليس مبنياً على الأصول الافتراضية لليهود ولا على العهد أو الميثاق الخرافي (الأسطوري) بين إبراهيم وبين الله ، ولكنه يقوم على أساس القانون الدولي أي على قرار الأمم المتحدة سنة 1947م لتقسيم فلسطين حيث كانت في فترة ما مقاطعة (ولاية) تركية ، ثم منطقة خاضعة للانتداب البريطاني ، وبعدها أصبحت دولة عربية ، وأخيراً دولة يهودية مهما كانت الأصول العنصرية للمدنيين اليهود وبغض النظر عن كل تلك الأوهام التي يمتعون أسماعهم بها فإن دولتهم موجودة بشكل شرعي ، وهي واقع وحقيقة سواء كان وجودها بحق أو بباطل ، ووجودها لا يمكن أن لا يكون إلا من خلال الإبادة الجماعية لطائفة اليهود ، بدون الدخول في قضايا جدلية ، فانه من الممكن ذكر هذه المعلومة كحقيقة تاريخية وهي أن تقسيم فلسطين قد جاء نتيجة قرن من الهجرات اليهودية المسالمة والجهود الرائدة ، مما يوفر التبرير الأخلاقي والصحيح للوجود

بيت المقدس في العهد الإسلامي

أ. أميمة الخرشا

المقدمة:

أشتق لفظ المدينة (قُدُس) وتعني البركة والطهارة¹ وإذا تتبعنا مجموعة الأسماء التي أطلقت على المدينة نجد أنها تعني مدينة الطهر والطهارة ولأنها مكان مقدس يطهر فيه الذنوب. وقد أطلق المؤرخون والجغرافيون المسلمون عدة أسماء على المدينة المقدسة فمنهم من ذكر في كتاباته اسم (بيت المقدس) ويعني المكان الذي يطهر فيه الذنوب ومنهم من ذكرها باسم (البيت المقدس) ويعني التطهر والتطهير وفي هذا المعنى قوله سبحانه وتعالى: «ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك»² ويكون البيت المقدس هو البيت المطهر من الذنوب.³

وقيل أن المدينة سميت مقدسة لأنها طهرت من الشرك «وجعلت مسكناً للأنبياء والمؤمنين»⁴. وظلت المدينة المقدسة تسمى بهذا الاسم ردحا من الزمن حتى أصبح اسم القدس اسماً شائعاً ومعروفاً لدى الجميع، وهو الاسم المتداول في وقتنا الحاضر. والقدس في معناها لا تختلف عن معاني الأسماء الأخرى التي سميت بها المدينة المقدسة. والقدس تعني المكان المبارك الذي بارك الله حوله سبحانه وتعالى.

إن لبيت المقدس مكانة مرموقة في الإسلام، ويفضل هذا احتلت المدينة مكانة مرموقة في نفوس المسلمين، ومنبع ذلك قدسية المدينة التي باركها الله لوجود المسجد الأقصى فيها (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله، لنريه من آياتنا وهو السميع البصير). والإسراء هو إسراء الرسول الكريم ليلاً من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس حيث ربط الرسول صلى الله عليه وسلم رباطه بالحلقة التي كان يربط بها الأنبياء منه قبل، ثم صلى ركعتين في المسجد الأقصى المبارك ومنه كان المعراج وهو صعود النبي صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلى ليلة السابع والعشرين من رجب قبل الهجرة النبوية بعام وبضعة أشهر (621م) فالمسجد الأقصى كما تثبت في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية هو مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو كذلك منطلق عروجه من الأرض إلى السماء، وهو منزل مطهر ومبارك وتغفر فيه الذنوب ولهذا كله نظر المسلمون إليه نظرة إكبار وإجلال، وعلى أنه مزار شريف ومكان مبارك تشد إليه الرحال. وظل المسجد الأقصى والبيت المقدس يلقيان رعاية المسلمين وعطفهم وجههم، وسيظل هذا التكريم وذاك العطف ما دام هناك أمة إسلامية على وجه الأرض، وتأتي فلسطين في طليعة البلاد والتي جذبت اهتمام المسلمين نحوها منذ اشراقة فجر الإسلام في موطنه الأول جزيرة العرب، ويرجع الاهتمام بها إلى أمور كثيرة أهمها: وجود المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين فيها، كما يوجد بها حائط البراق وقبر إبراهيم عليه السلام، وفيها ولد إسماعيل عليه السلام، والسيد

الشرعي لدولة إسرائيل. وبغض النظر عما تحويه كروموسومات اليهود من جينات وأصول تعود إلى قبائل الخزر أو الساميين أو الرومان أو الآسبان، فإن نوع وطبيعة أصولهم لا تعني شيئاً ولا تؤثر بأي حال على حق إسرائيل في الوجود ولا حتى في الواجب الأخلاقي لأي شخص متحضر سواء كان يهودياً أم لا للمدافعة عن ذلك الحق. حتى الأصل الجغرافي لآباء وأحفاد المواطنين الإسرائيليين ليس ذي أهمية في هذا الموضوع. وحتى بما يتعلق بمشكلة الخزر قبل ألف سنة، على الرغم من أهميته، فإنه ليس له علاقة بدولة إسرائيل الحالية.

«اليهود الذين يستوطنون هذه الأرض، بغض النظر عن أصولهم العديدة والمتباينة فإنهم جميعاً يمتلكون المتطلبات الأساسية لتشكيل أمة، وطن لهم وحدهم، لغة عامة واحدة، حكومة وجيش». أقول: هكذا بكل وضوح يتجاهل كل الحقائق ويقول إن (دولة إسرائيل) حقيقة واقعة بموجب القانون الدولي، فهو هنا يتخلى عن السامية والوعد الإلهي لبني إسرائيل وكل هذه الخرافات.

خلاصة:

1. كل تاريخ اليهود قائم على الكذب وتزوير الحقائق.
2. يهود اليوم لا علاقة لهم بالسامية فليسوا من أحفاد سام.
3. يهود اليوم لا علاقة لهم بإبراهيم عليه السلام ولا بإسحق ويعقوب.
4. يهود اليوم لا علاقة لهم ببني إسرائيل.
5. أجداد يهود اليوم لم يقدموا من الأردن بل من (الفلوغا) ولم يجيئوا من كنعان بل من القوقاز الذي قيل في يوم من الأيام إنه مهد الجنس الآري.
6. تريد اليهود لمقولة العدا للسامية لا معنى له فعلم الحديث عن (العداء لليافثية).
7. إذا كانوا يحنون إلى ماضيهم فمملكتهم هي (مملكة الخزر) وعاصمتهم (إيتل) وليست (القدس الشريف).
8. إذا كان السياسيون الغربيون والإعلام الغربي يتجاهلون الخوض في هذا الموضوع فما هو عذر الإعلام الإسلامي بشكل عام والعربي بشكل خاص والفلسطيني بشكل أخص.
9. يجب أن تتضمن المناهج الدراسية (خاصة الجامعية) هذه الموضوعات لتعرف الأجيال مقدار الكذب والتزوير وحجم المؤامرة التي تسببت في احتلال فلسطين وتشريد أهلها والسيطرة على القدس الشريف.

1-الأنس الجليل لتاريخ القدس والخليل، محيي الدين العلمي الحنبلي، ج4.

2-سورة البقرة الآية 30

3-معجم البلدان لياقوت الحموي، دار صادر للطباعة والنشر 1955م - 1957م

4-نهاية الأدب في فنون الأدب للنوري، دار الكتب المصرية بالقاهرة.

المسيح، وهي أرض المحشر والمنشر والحساب يوم القيامة إلى بيت المقدس وينفخ إسرافيل في الصور من بيت المقدس، وأن الله رفع نبيه إلى السماء من بيت المقدس، ورفع عيسى بن مريم عليه السلام من بيت المقدس، بيت المقدس بنته الأنبياء عليهم السلام وعمرته وما فيه موضع شبر إلا وقد سجد عليه ملك أو نبي، وهي الأرض المباركة التي شهد فيها الصحابة فتوحات الإسلام فكان منهم الخليفة العادل عمر بن الخطاب الذي فتح بيت المقدس، وكان نموذج من النماذج التطبيقية على التسامح أن عمر رضي الله عنه لما حضرته الصلاة وهو يقوم بزيارة كنيسة القيامة يرافقه البطرياك صفرونيوس سأل عمر رضي الله عنه البطرياك عن المكان يقيم فيه الصلاة، فقال البطرياك مكانك فصلي فأبى عمر رضي الله عنه وصلى خارج الكنيسة وقال: (إنني لو أقمت الصلاة في كنيسة القيامة لوضع المسلمون عليها أيديهم في حجة إقامة الصلاة فيها وإنني لأبى أن أمهد السبيل لحرماتكم منها وأنتم بها أحق وأولى)⁵ أي أخلاق هذه؟ لقد عامل المسلمون أبناء الأديان الأخرى في بيت المقدس وغيرها أفضل معاملة عرفها التاريخ حتى اعتبر المؤرخ الإنجليزي (ارنولد كويني) ظاهرة التسامح الديني الإسلامي ظاهرة فريدة في تاريخ الديانات، وكان المسلمون يعاملون أهل الذمة معاملة أهل البلاد الأصليين ففي هذا البحث نلتقي بمدينة القدس عاصمة فلسطين الأبدية واطلعنا على فضائلها وعلى مكانتها الفريدة لدى الإسلام والمسلمين، وعلى المكانة الخاصة للمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

الواقع الديني:

إن مدينة القدس الشريف تتبوأ المقام الرفيع من اهتمام المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لارتباط هذه المدينة بعقيدتهم الدينية ولما لها من مكانة مرموقة في تاريخها السياسي والحضاري، وهذه المدينة التي هي مهبط الرسالات السماوية وملتقى الأديان، قد جعل الله للمسلمين مسجدها الأقصى قبلتهم الأولى وحرّمهم الثالث، فلما سقطت في أيدي الصهاينة فريسة للاحتلال وحل بها مكروه الاستيلاء والاغتصاب، استشعر المسلمون الحزن والألم وأحسوا بفراحة المصاب وتبينوا مدى ما نزل بساحتهم من خطب وما حاق بهم من خسران.

ومدينة القدس التي كانت رحابها على عهد الحكم الإسلامي قبل استيلاء الصهاينة عليها، مراداً يتساكن ويتعايش فيه الناس على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم ويمارس فيها الناس شؤونهم الدينية في ظل التسامح والحرية والأمن والاطمئنان، قد أصبحت بعد الاغتصاب والاحتلال عرضة للتصرف الغاشم، وغرضاً للتحكم الجائر، يعيث فيها الغاصب الصهيوني تهويداً وتبديلاً وتنكيراً للمعالم الدينية والتاريخية والحضارية.

إن تاريخ القدس موغل في القدم، فهو لا يقف في مداه عند بدء عصر الكتابة في فلسطين أوائل الألف الثالث قبل الميلاد بل يتجاوز.

الحقائق الخاصة بالقدس وتاريخها عبر العصور:

ارتبطت القدس بشعب فلسطين العربي منذ أقدم العصور فقد سكن الإنسان في منطقتها منذ عصر ما قبل التاريخ وهناك آثار له اكتشفت فيها تعود إلى عصر البلستيوسيني، وأثار من العهد البابليوليتي. وهناك موقعان في المدينة يرتبط وجودها وبذلك الفترة، ويشار إلى ستة عشر موقعاً تعود إلى العهد النيوليتي الذي شهد الثورة الزراعية.

ظهرت القدس كمدينة في بدايات العصر البرونزي حين بناها الكنعانيون مع مجموعة مدن أقاموها على طريق المياه بين الشمال والجنوب، واختاروا لها موقعاً متميزاً على مرتفع الصنهور الذي توجد على مقربة منه عين الماء جيّهوت. وكان بناؤها حوالي الألف الرابعة ق.م. وخدم غرضاً دفاعياً وآخر دينياً وقد بنوا فيها هيكلًا لمعبودهم الأعلى «سالم». وكان ملك القدس هو كاهن الإله الأعلى. ومن هنا اكتسبت المدينة قدسيّتها التي استمرت بعد ذلك لأسباب أخرى.

عرفت القدس أول ما عرفت باسم «سالم» الجد المؤسس أو الإله الأعلى. وقد كونت «مملكة مدينة» غيرها من المدن الكنعانية وعرف من أسماء ملوكها «قدوم سالم» و«ملكي صادق» و«أدونني صادق» و«أدون بازق». وأول ذكر لها ورد في نصوص الطهارة المصرية في القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد، بصورة «بورشاليم» ومعناه إلى الأرجح «مدينة سالم».

وورد ذكر القدس في رسائل تل العمارنة في القرن الرابع عشر ق.م باسم «يورو سالم» وفي النقوش الآشورية باسم «أوروسليمو». وأقدم اسم لها في العهد القديم هو «شاليم» وقد ورد في سفر التكوين بمناسبة قدوم أبرام إلى أرض الكنعانيين إذ خرج الملوك لاستقباله ومنهم ملكي صادق وملك شاليم، كما ورد ذكرها في سفر يسوع باسم «اورشاليم» وكان ملكها آنذاك هو أدوني صادق، وفي سفر القضاة حين حارب بنو إسرائيل الكنعانيين وجاء ذكرها في سفر القضاة مرة أخرى باسم «يبوس»

5- دليل القدس وتاريخها طبعة القدس سنة 1940 خليل طوصح وبولص

نسبة إلى اليبوسيين العرب الذين كانوا يعيشون فيها. وورد في العهد القديم أيضاً اسم صهيون الذي دل بداية على جزء من المدينة اليبوسية كان يقوم فيه الحصن الذي استولى عليه داود حين انتزع المدينة من اليبوسيين. ولم يلبث أن سمي ذلك الجزء باسم «مدينة داود» وأصبح يطلق عليها المدينة لكل مع مضي الزمن. وسميت المدينة أيضاً «أريئيل» في سفر أشعيا. وعرف التل الصخري الذي بنى عليه سليمان الهيكل باسم «موريا» وجاء ذكره في أخبار الأيام الثاني. ومع تعدد الأسماء فإن اسم أورشليم هو الذي كان شائعاً منذ فتح داود المدينة إلى منتصف القرن الثاني للميلاد، حيث أطلق عليها الإمبراطور الروماني إيلياؤس هادريانوس اسمه الأول بعد أن أعاد بناءها فعرفت بإيليا. وهو الذي هدم مدينة أورشليم عام 135م، بعد أن هدمها تيتوس قبل ذلك عام 70ق.م. وقد ظل اسم إيليا سائداً نحو قرنين إلى أن جاء الإمبراطور قسطنطين فأعاد إليها اسم أورشليم، وبقي اسم إيليا مستعملاً حتى كان الفتح العربي الإسلامي.

اشتهرت المدينة بعد الفتح باسم «بيت المقدس» ووردت لهذا الاسم صور مختلفة منها البيت المقدس، وبيت المقدس والقدس الشريف والمدينة المقدسة. ولقبت المدينة بألقاب منها دار السلام ومدينة السلام وقرية السلام.

وواضح أن تعدد أسماء القدس مرتبط بتاريخها الطويل الحافل، وبأهميتها المتميزة. وأتضح بداية أن شعب فلسطين الكنعاني العربي هو الذي أسس المدينة في زمان بعيد في الماضي وهو الذي أطلق عليها أسمها. وقد أقام فيها بيتاً للعبادة يذكر فيه اسم الله فأصبحت قبلة ومحجاً واستمرت هذه صفة المدينة مع تتالي الرسائل السماوية وانتقال شعب فلسطين والمنطقة من الديانة الكنعانية إلى اعتناق اليهودية فالنصرانية فالإسلام.

نزل إبراهيم عليه السلام في منطقة القدس فرحب به، بنوحت، أصحاب الأرض، واختار أبو الأنبياء فلسطين وطناً له، فأصبح هو أله جزءاً من شعب فلسطين، وبهمنا هنا أن نلاحظ نظرة الفلسطينيين عبر العصور وخصوصاً في العصر الإسلامي إلى هذه الحقيقة فقد أبرزوها. نضرب مثلاً على ذلك ما أورده «الحنبلي» في «الأنس والجليل» فبعد أن يقص هجرة إبراهيم «من وطنه في ذات الله حفاظاً بآيمانه» «أوحى الله إليه أن أنزل جبري، فنزل بها. ولم ينزل حتي دخل مغارة جبرون فنيه يا إبراهيم سلم عظام أبيك (آدم).

وحين ولدت هاجر ابناً أسماه إسماعيل أي (مطيع الله). وأقام إبراهيم صلة وثيقة بين فلسطين والحجاز والقدس ومكة. (وأرسل الله إسماعيل إلى قبائل اليمن وإلى العماليق، وزوج إسماعيل ابنته من ابن أخيه العيص بن إسحاق (عيسو بلغت ترجمة التوراة) ولما ماتت سارة بعد وفاة هاجر تزوج إبراهيم الخليل عليه السلام امرأة من الكنعانيين وولدت منه سته وهم نقشان وزمران ومدان ومديان ويشق وشرخ. ثم تزوج امرأة فولدت له خمسة بنين، فكان جميع أولاد إبراهيم ثلاثة عشر ولداً مع إسماعيل وإسحاق فكان إسماعيل أكبر أولاده في فأثر إسماعيل أرض الحجاز وإسحاق أرض الشام وفرق سائر ولده في البلاد والله أعلم.

ونجد هذه النظرة عند المسعودي وغيره، وعند أبناء شعب فلسطين الذين نظروا إلى إبراهيم عليه السلام كواحد من أجدادهم.

ازدهرت الحضارة الكنعانية في فلسطين، وكانت القدس أهم مراكزها، وقد بلغت المساحة التي

تشغلها المدينة خلال الألف الثاني قبل الميلاد حوالي أربعين دوغماً وأحاط اليبوسيون مدينتهم بسور وحين مر إبراهيم بها حوالي سنة 1900 ق.م كانت مدينة متكاملة ذات قاعدة ملكية وهياكل دينية ومركز مقدس. وقد تأثر العبرانيون بحضارة الكنعانيين وتمثلوها.

كانت ييوس مدينة مزدهرة حين دخل بنو إسرائيل فلسطين بقيادة يشوع حوالي 1500 ق.م وتشير التوراة إلى مدينة حين تتحدث عن رجل إسرائيل وامراته وغلومه كانوا في سفر فأدركهم الليل «وفيما هم ييوس قال الغلام لسيدة تعال تميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها. فقال له سيده، لا تميل إلى مدينة غريبة لا أحد فيها من بني إسرائيل».

احتل داوود المدينة التي كانت آنذاك باسم ييوس في القرن الحادي عشر ق.م وقد وقف في اختياره لها عاصمة للملكه لأنها حصينة ويسهل الدفاع عنها. كما أنها تقع خارج المراكز القبلية الأصلية وتتحكم في طريق رئيسي. واشتهر داود المحارب بإنجازات أخرى منها القصر الذي شيده في القدس وبناء معماريون من صور أرسلهم صديقه الملك الفينيقي «حرام» وورث ابنه سليمان الملك من بعده وحكم ثلاثين سنة وبنى هيكلاً وتحصينات وثكنات، وانقسمت في عهد خلفه إلى مائتين إسرائيل ويهودا. وبقيت المدينة وأصبحت تعرف بأورشليم عاصمة يهودا. ولم تعمر الممتلكات طويلاً فانتهت مملكة إسرائيل على يد سيرجون الثاني ملك آشور عام 722 ق.م وانتهت مملكة يهودا على يد بنو خز نصر ملك بابل الكلداني عام 586 ق.م وخرجت القدس وسبي عظماء البلاد نقلوا إلى بابل.

شهدت القدس وفلسطين منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد حتى الفتح الإسلامي تتابع حكم دول وإمبراطوريات تداولت الأيام بينها فيها.

ازدهرت القدس في العهد البيزنطي الذي بدأ باعتناق الإمبراطور قسطنطين المسيحية عام 312م وبنائه عاصمة للملكه في موقع بيزنطة القديم عام 330 م. وقد قامت أمة هيلانة بزيارة القدس وتلا ذلك بناء كنيسة القيامة فيها وكنيسة المهد في بيت لحم. وما أسرع ما انتشر بناء الكنائس والأديرة في فلسطين وتتحدث المصادر اليهودية عن مساعدة اليهود للفرس عند قدومهم، وعما تسميه خيانة الفرس لليهود، كما تتحدث عن انتقام هرقل من اليهود والعقاب الذي أنزله بهم، ودخل عدد منهم في الدين المسيحي. وهذا يفسر لنا ما جاء في العهدة العمرية بشأن طلب الكنيسة إلا يسكن أحد من اليهود القدس.

فتح العرب المسلمون القدس سنة 638م. واشترط سكانها أن يكون تسليم المدينة للخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فجاءها عمر وتسلم مفاتيحها من صفرونيوس بطريرك القدس. وأعلى عهدة المشورة لأهل «إيلياء» القدس سنة 15 هـ «من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيهم وبرئتها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء أحد من اليهود...».

وقد شهد على هذا العصر كبار الصحابة خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان.

بدأت القدس بالفتح العربي الإسلامي لها مرحلة جديدة من تاريخها، بقيت خلالها فلسطينية عربية كما كانت واستمرت مركزاً روحياً في ظل الحكم الإسلامي لها. وتصل تاريخها على مدى القرون الثلاثة عشر التالية، وأن تعرضت خلالها قرن واحد منها لحكم الفرنجة.

أصبحت القدس مركز الحضارة العربية الإسلامية وقد أقام بها عمر بن الخطاب مسجداً فيها، وبلغ من احتفائه بالصخرة المشرفة أن أزال ما تراكم عليها من تراب وأقام عليها مصلى. وسكن القدس بعد الفتح العمري جماعة من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ونزلها آخرون للعبادة والتبرك وزيارة مقدساتها، وفي العهد الأموي بنى عبد الملك بن مروان مسجد الصخرة، ورصد لبنائه خراج مصر سبع سنين ثم توالى الخلفاء والأمراء فجددوا وزخرفوا حتى أضحت المسجد من أجمل الأبنية الموجودة فوق هذه البسيطة، برز في القدس علماء أجلاء نسب بعضهم إليها من أمثال المقدسي صاحب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. وأصبح المسجد الأقصى جامعة يؤمها طلاب العلم ويعلم فيها علماء أجلاء.

عانت القدس معاناة شديدة أبان الغزو الفرنجي لها عام 1099م، وسالت دماء عشرات الألوف من أبنائها وحين حررها صلاح الدين الأيوبي أعطى الفرنجة نموذجاً رائعاً في الرحمة والتسامح. وقد سجل ستانلي لين بول في تاريخه لصلاح الدين «إذا كان أخذ القدس هو الحقيقة الوحيدة التي نعرفها عن صلاح الدين فإن ذلك كاف لإثبات أن صلاح الدين هو أكثر المنتصرين فروسية، وأعظم قلباً في زمانه، ولعله في كل زمان.

أمر صلاح الدين بإعادة أبنية القدس إلى حالها القديم، وطهر المسجد والصخرة من الأقدار وصلى فيها، ونصب منبراً في المسجد كان قد أمر بصنعه نور الدين محمود وعمل صلاح الدين على توسيع المسجد الأقصى، وتدقيق نقوشه، وزوده بالمصاحف والكتب، فعاد المسجد رونقه وبهاؤه وجلاله.

ازدهرت القدس من جديد في ظل الحكم الإسلامي، وبرز فيها عدد من العلماء الأجلاء، واستطاع المماليك أن يحموها من غارات المغول الذين اجتاحتها العراق وسوريا، وقد كان الانتصار الظاهر بيبس على المغول في معركة عين جالوت الفضل في حماية القدس وباقي فلسطين من الدمار.

اهتم الظاهر بيبس ومن تلاه من حكام المماليك بعمارة القدس فجدد بيبس ما تداعى من قبة الصخرة وقبة السلسلة وزخرفها وبنى خلفاؤه عدداً من الآثار البديعة في المدينة. وازدهر التصوف فيها خلال ذلك العهد، وقد زارها عدد من الرحالة المسلمين ووصفوا حياة سكانها من ابن بطوطة إلى ناصر خسرو وعبد الغني النابلسي، وكتب محير الدين الحنبلي كتابه الأئس الجليل في تاريخ القدس والخليل.

أصبحت القدس في القرن الماضي مركزاً من مراكز اليقظة العربية الحديثة. وظهر فيها عدد من الرجال الذين ساهموا إلى النهضة العربية الفكرية والسياسية، واشتدت عليها الأطماع الاستعمارية منذ الحملة الفرنسية أواخر القرن الثاني عشر. وابتليت باستهداف الفرق الصهيونية والاستعمارية لها. ولم تلبث أن احتلها اللنبي أواخر عام 1917م وأصبحت تحت الانتداب البريطاني الذي مكن للغزوة الصهيونية أن تقيم «إسرائيل» تغتصب جزءاً كبيراً من المدينة عام 1948م وفي عام 1967م احتلت إسرائيل القدس الشرقية وبدأت المدينة عهداً من المعاناة وعهداً من المقاومة للاحتلال.

إن هذه اللوحة التاريخية للقدس عبر العصور تؤكد حقيقة ارتباط شعب فلسطين بالقدس وبفلسطين. وتبرز بوضوح أن القدس هي قلب فلسطين وهي وطن شعبها الذي تواصل تاريخها فيها منذ أقدم الأزمان، وأن القدس كانت قبلة المسلمين ومحجاً لهم. تماماً كما كانت مطعماً للغزاة.

مكانة القدس عند المسلمين:

ارتبطت القدس بالأديان السماوية، وأصبحت مهوى أفئدة المؤمنين كافة. ولكنها ارتبطت بصورة خاصة بالإسلام والمسلمين من خلال المكانة التي احتلتها في العقيدة الإسلامية وفي التاريخ الإسلامي وفي تراث المسلمين، منذ أن حفر إليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ليتسلمها من أهلها قاطعاً على نفسه عهداً لله أن يصون أموالهم وكنائسهم ويرعى حقوقهم، ويحقق لهم الأمن والسلامة، فمنذ ذلك اليوم إلى الغزو الصهيوني للقدس، والمسلمون يحتضنون المدينة المقدسة احتضان الأم لوليدها، ويحنون عليها حنو المرضعة على فطيمها.

لا نعرف في تاريخ الإسلام بل في تاريخ الأديان السماوية جميعاً، مدينة ظفرت بما ظفرت به هذه المدينة من تقديس وتكريم وحراسة، فقد أولاها الخلفاء والأمراء والعلماء والصالحون كامل رعايتهم. أنشأوا المساجد والزوايا والتكايا والأربطة والسبل والمدارس والمقابر، وأوقفوا عليها معظم الأراضي المجاورة وأنشأوا وزخرفوا وجددوا قديماً وأسسوا جديداً حتى أضحت تحفة منقطة النظر أطلقوا حرية العبادة جميع الطوائف دون استثناء ووفروا للمدينة وللحجيج الأمن والاستقرار.

احتلت القدس هذه المكانة المرموقة لعدة أسباب منها:

أولاً: أنها موطن إبراهيم خليل الرحمن، ومقر الأنبياء ومهبط الوحي، ومبعث عيسى كلمة الله التي ألقاها إلى مريم وقد قال ابن عباس «البيت المقدس بنته الأنبياء وسكنته الأنبياء ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبي أو قام فيه ملك

الثاني: إنها أولى القبلتين وثالث الحرمين استقبلها المسلمون زهاء عام ونصف بعد هجرة الرسول إلى المدينة وخصها الله بإسراء رسوله وحبيبه المصطفى، فقال في كتابه العزيز «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى».

الثالث: لأنها مفتاح الكعبة وقبر الرسول من حازه تمكن من الأردن وما وراءه من بلاد، لارتفاعها ومناعتها. ولذا بادروا سد هذا الثغر وحمايته حتى يدرأوا عنهم خطراً مروعا.

الرابع: لأن عاصمة فلسطين، متحف آثارها الدينية التي تجمعت مدة ثلاثة عشر قرناً، وصلة الوصل بين الأقطار العربية والمنار التي يشع منها نور الهداية والخير

رعى المسلمون القدس ولم يفرقوا زمن حكامهم الورعين بين أصحاب الديانات السماوية، كما لم يفرقوا بين أنبياء الله. وصارت لهم ذمة ترعى وعهد يحفظ وقامت في بيت المقدس حضارة روحية فذة تلاحت المساجد والكنائس والمعابد، وارتفع اسم الله عالياً، واطمأنت القلوب وانشرت الصدور ولم يحل الحال من أوقات ضيق عانى منها جميع السكان، ولكنها لم تشتد حتى تبلغ محاكم التفتيش أو حرق المعابد ومحو آثار الأنبياء.

ومن أقدم الآثار التي رعاها المسلمون وعدوها جزءاً من تراثهم الديني مسجد سليمان وما يستدعي النظر في صحن الحرم قبة السلسلة المجاورة لقبة الصخرة من جهة الشرق وهذه السلسلة تنسب إلى سليمان بن داود وقد كتبت فوق محرابها «يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق».

أبلغ من ذلك دلالة أن المسلمين أنشأوا في مكان يسمى «مقام النبي داود» على ربوة جبل صهيون سدنته أسرة مسلمة، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن في هذا المقام قبر النبي داود، وهناك في داخل الحرم الذي يضم المسجدين العظيمين الأقصى والصخرة جامع يسمى قبة موسى، وجامع كرسي سليمان وكلاهما تؤدي فيه الصلاة، هذا عدا الآثار التي تقع خارج بيت المقدس، ومن أشهرها مقام نبي الله إبراهيم في المدينة المسماة باسمه (الخليل) وفيه مسجد كبير

ومما يلفت النظر في هذا المقام أن المسلمين لم يتبنوا أثراً من آثار السيد المسيح مع ما له من مكانة فريدة نص عليها القرآن الكريم.

ويرجع ذلك إلى أن الأماكن المسيحية المقدسة كانت وقت الفتح الإسلامي في حوزة المسيحيين أنفسهم، ونصت العهدة العمرية التي كتبها عمر بن الخطاب لبطريرك القدس «أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم».

وقد جاءت المسيحية لتبطل النسبة إلى جند معين التي كان تؤكد بها بنو إسرائيل ويتفاخرون بها، فمن أقوال المسيح «ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً، لأنني أقول لكم أن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم».

إن الذين يؤمنون بالله هم أبناء إبراهيم، فالذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمنين» وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى بقوله «أن أولى الناس بإبراهيم الذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ومن هنا كان طلب البطريك صفرونيوس أن تضمن العهدة العمرية نصاً «ألا يسكن بالياء - بيت المقدس - معهم أحد من اليهود».

وحين تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة سنة 40 للهجرة زار بيت المقدس وصلى عند جبل الجدلجة ثم ذهب إلى الجسمانية وصلى عند قبر السيدة مريم. وهما من أقدس الآثار المسيحية في المدينة.

اهتم المسلمون بالمدينة المقدسة اهتماماً كبيراً، فلم تمر مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي على اختلاف دولة، إلا أقام المسلمون في القدس بنائاً جديداً أو أصلحوا بنائاً قديماً.

ففي عهد الخلفاء الراشدين أقام عمر بن الخطاب مسجداً، وقد بلغ من احتفائه بالصخرة المشرفة أن أزال بيده ما تراكم عليها من تراب وأقام عليها مصلى. وفي العهد الأموي بنى عبد الملك بن مروان الصخرة المشرفة ورصد لبنائه خراج مصر سبع سنين، ونقش اسمه على القبة من تاريخ البناء سنة 72هـ، ثم تولى الخلفاء والأمراء فجددوا وزخرفوا حتى أضحت المسجد بشهادة أحد المؤرخين الغربيين (من أجمل الأبنية الموجودة فوق هذه البسيطة، لا بل من أجمل الآثار التي خلدها التاريخ)

وبنى عبد الملك بن مروان المسجد الأقصى وأتمه أبنه الوليد، وتولى على تجديده وترتيبه بالنقوش والقناديل والسجاجيد عدد كبير من الخلفاء والأمراء وأخبرهم الملك المغربي المجاهد محمد الخامس الذي فرش المسجد الصخرة بالسجاد الفاخر وفيه تلقى خطبة الجمعة لتجيش القلوب.

وتفويض العيون بالدموع، وقد شرع ملوك بني أيوب في الآثار الجميلة بالمسجد الأقصى، منهم الملك العادل سيف الدين أخو السلطان صلاح الدين، وتولى الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه كنس أراضي قبة الصخرة بيديه ثم غسلها بالماء مراراً، ثم أتبع الماء بماء الورد طهر حيطانها وغسل

جدرانها وطهرها. وكذلك الملك الأفضل نور الدين والملك العزيز عثمان فعلى فيه أنواعاً من البر والخير وكان السلطان صلاح الدين الأيوبي يحمل الحجارة على سرج فرسه فينقله من موضع بناء سور المدينة يتولى ذلك بنفسه والجماعة بخواصه والأمراء، ويجتمع لذلك العلماء والقضاة والصوفية والأولياء وحواشي العساكر والأتباع، متبني في أقرب مدة ما يتعذر بناؤه في سنين، ويوجد إلى اليوم في الطرف الجنوبي من ساحة الصخرة شاهد يذكر فيه تعميم صلاح الدين الخندق وتوالى على تجديده وترتيبه بالنقوش والقناديل الخ...

وبنى عدد من المسلمين قباً في صحن الصخرة وجوارها فيه المعراج، وقبة المحراب النبي وقبة يوسف وقبة سليمان وقبة الخضر ومحراب داود.

وبنوا في الحرم وحوله مآذن وأروقة وأبواباً وسبلاً وصهاريج للاستسقاء وكل واحد منها أثر تاريخي عليه نقش أو شاهد، له سمة عصره من زخرف وخط ودعاء.

واتخذ المسلمون من ساحة الحرم الشريف والمسجدين الكبيرين والأروقة مدارس يدرسون بها علوم الدين، يقصد معظم الحجاج بيت المقدس وفي ذهابهم إلى البيت الحرام وفي عودتهم منه حتى أضحت المدينة المقدسة مزاراً يتبرك منه المسلمون تبركهم بالكعبة المشرفة واستحيوا الإحرام بالحج والعمرة منه، ففي سنن أبي داود ومن حديث أم سلمة قالت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غفر الله ما تقدم من ذنبه، وأحرم منه جماعة من السلف كابن عمر ومعاذ بن كعب والأخبار وغيرهم».

مكانة القدس في الإسلام:

تعلقت قلوب المسلمين بالمدينة، وحنوا عليها وافتدوها بالمهج، وأحاطوها بالرعاية، وعبروا عن شعورهم هذا فيما كتبوا من رسائل وكتب في فضائل بيت المقدس.

روى ابن ماجة في سننه عن ميمونة مولاة رسول الله قالت: «قلت يا رسول الله أفنتا في بيت المقدس قال: «أرض المحشر والمنشر، أتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره» وروى عن رسول الله قوله: «من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء» وعن أبي عباس قال: «من حج وصلى في مسجد المدينة ومسجد الأقصى في عام واحد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» وعن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله (من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقع الجنة فلي نظر إلى بيت المقدس)».

لقد كان لمدينة القدس منزلة مميزة في (القرآن) الكريم والسنة النبوية المطهرة «عباها المسلمون بالتقديس والتكريم خاصة مسجدها الأقصى تشد إليه الرحال».

مكانة فلسطين ومدينة القدس في الإسلام بقول الله تعالى: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير»⁶

فالمسجد الأقصى مبارك في ذاته مباركة الأرض التي حوله وهي أرض فلسطين. «فلو لم يكن لبيت المقدس من الفضيلة غير هذه الآية لكانت كافية وتجميع البركات وافية لأنه إذا بورك حوله فالبركة فيه مضاعفة ولأن الله تعالى لما أراد أن يعرج بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم إلى سحاته جعل طريقه عليه تبيناً لفضله وليجعل له فضل البيتين وشرفهما».

كما قال الله تعالى أيضاً: « وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمناً »⁷

قال ابن عباس « القرى التي باركنا فيها هي بيت المقدس ». ويقول تعالى في الآية الكريمة (ونحن ناه لوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين).⁸ وورد في تفسير ابن كثير عن أبي بن كعب قال عن الأرض التي بارك الله فيها للعالمين «

هي بلاد الشام وما نقص من الأرض زيد في بلاد الشام وما نقص من الشام زيد في فلسطين وكان يقال هي أرض المحشر والمنشر، ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى أرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين»

والمقصود بالأرض التي باركنا فيها كما ورد في تفسير ابن كثير: (يعني بلاد الشام) وفلسطين قلبها حيث كانت مملكة سليمان.

يقول الله سبحانه:

(يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين)⁹ والمراد بالأرض المقدسة بيت المقدس وما حوله.

وقال الله تعالى:

(والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين)

قال أبو هريرة الزيتون طور زيتا

وقال قتادة: (والزيتون جبل عليه بيت المقدس)

وقال أبو زرعة السيباني: (ورفع عيسى من طور زيتا)

مكانة فلسطين في السنة:

لقد ورد الكثير من الأحاديث عن رسول الله (صلعم) تتحدث عن مكانة بيت المقدس وعن فضله. روى البخاري في صحيحه عن أبي ماجه إليها قال: قال رسول الله (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من جابههم ولا ما أصابهم من البلاء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك) قالوا يا رسول الله وأين هم؟ قال: « (في بيت المقدس وكناف بيت المقدس)

وروى الطبراني عن النبي (صلعم) أن أهل الشام وأزواجهم وذريعتهم وعبيدهم وإمائهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون فمن نزل مدينة أو قرية من المدائن فهو رباط أو ثغر من الثغور فهو في جهاد، وقدر أهل الشام لذلك أن ينتقم الله بهم من أعدائه، وعن خريم بن مالك:

(أن أهل الشام سوط الله في أرضه ينتقم بهم ممن يشاء من عباده وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم ولا يؤتون إلا هما وغماً). رواه الطبراني مرفوعاً واحداً موقوفاً ورجاله ثقات.¹⁰ وعن عطاء قال: « (لا تقوم الساعة حتى يسوق الله خيار عباده إلى بيت المقدس فيسلمهم إياها).

7- الإسراء، الآية (18)

8- الأنبياء، الآية 70

9- سورة المائدة، الآية 21

10- الشيخ أسعد بيوض التميمي خطيب ومدير المسجد الأقصى المبارك سابقاً القرآن والسنة وحتمية إزالة دولة اليهود مطابع الكرميل بيروت 1982م.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله يقول: « (سيد البقاع بيت المقدس وسيد الصخور صخرة بيت المقدس).

وقال ابن عباس رضي الله عنه: « صخرة بيت المقدس صخرة من صخور الجنة ».¹¹

وروى ابن مسننه عن أنس بن مالك قال: « (إن الجنة لتحن شوقاً إلى بيت المقدس جنة الفردوس وهو سر الأرض).

وقال: (إن خيار أمتي تهاجر هجرة بعد هجرة إلى بيت المقدس ومن صلى ببيت المقدس بعد أن يتوضأ ويسبغ الوضوء ركعتين أو أربعاً غفر له ما كان قبل ذلك.

وروى الحاكم بن المستدرک وأحمد في مسنده قوله عليه الصلاة والسلام: « طوبى للشام فإن ملائكة الرحمن بأسطة أجنحتها عليه ».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال: « من زار عالمنا فكأنما زار بيت المقدس، ومن زار بيت المقدس محتسباً حرم الله لحمه وجسده على النار ».

وعن أبي هريرة رضي الله قال رسول الله (صلعم) « من صلى في بيت المقدس غفرت له ذنوبه كلها ».

وعن مكحول عن كعب (من أتى ببيت المقدس فصلى عن يمين الصخرة وعن شمالها ودعا عند موضع السلسلة وتصدق بما قل أو كثر استجيب دعاؤه وكشف الله تعالى حزنه وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وأن سأل الله الشهادة أعطاه الله إياها، وقال مكحول (من صلى في بيت المقدس ظهرها أو عصراً أو مغرباً وعشاء ثم صلى الغداة وخرج، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) وقال « من خرج إلى بيت المقدس بغير حاجة إلا الصلاة فصلى فيه خمس صلوات صباحاً وظهرها وعصراً ومغرباً وعشاء خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه ».¹²

وروى عن رسول الله ما قاله لمعاذ رضي الله عنه: « أن الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدي من العريش إلى الفرات رجالهم ونسائهم وإمائهم مرابطون إلى يوم القيامة ».

وعن أبي جريح عن عطاء أنه قال: « (لا تقوم الساعة حتى يسوق خيار عباده إلى بيت المقدس فيسكنهم الله إياها).¹³ وأن الله تعالى تكفل لمن سكن بيت المقدس بالرزق وأن فاته المال ومن مات مقيماً محتسباً في بيت المقدس فكأنما مات في السماء ومن مات حول بيت المقدس فكأنما مات في بيت المقدس وأول أرض بارك الله فيها بيت المقدس ويجعل الرب جل جلاله مقامة يوم القيامة في أرض بيت المقدس ويجعل الرب جل جلاله مقامة يوم القيامة في أرض بيت المقدس وجعل صفوته في الأرض كلها أرض بيت المقدس).¹⁴

قال النبي (صلى الله عليه وسلم) لأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه النجا النجا إلى بيت المقدس إذا ظهرت الفتن قال يا رسول الله فإن لم أدرك بيت المقدس قال: فابذل وأحرز دينك وكذلك قال رضي الله عنه الصعصة نعم المسكن عند ظهور الفتن ببيت المقدس القائم فيها كالمجاهد في

11- اتحاف الأخص بفضائل المسجد الأقصى، لأبي عبد الله بن شهاب الدين السيوطي تحقيق د. أحمد رمضان، ص 98\97.

12- السيوطي ص 138.

13- السيوطي، ص 102\103.

14- السيوطي، ص 105.

سبيل الله تعالى وليأتين على الناس زمان يقول أحدهم ليتني لبينة في لبنة بيت المقدس وأحب الشام إلى الله تعالى بيت المقدس وأحب جبالها إليه الصخرة.¹⁵

وفي فلسطين المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين فقد روى مسلم في صحيحه عن البراء قال: «صلىنا مع رسول الله نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ثم صرفنا نحو الكعبة».

وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر قال: «قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي قال: المسجد الأقصى».

حدثنا الحريري عن عبد الله ابن شفيق العقيلي، عن كعب قال: لما ولي سليمان أوحى الله تعالى إليه أن ابن بيت المقدس، فبناه، فلما دخله خر ساجدا شكراً لله سبحانه وتعالى، فقال: يا رب من دخله من خائف فأمنه، أو من دأع فاستجبت له «أو من مستغفر فاغفر له».¹⁶

وفي صحيح مسلم ورد:-

حدثني أبو كامل أجدوى حدثنا عبد الواحد حدثنا الأعمش وقال أبو بكر بن أبي بشينة وأبو كريب قالوا حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟ قال المسجد الحرام قال ثم أي؟ قال المسجد الأقصى، قلت كم بينهما؟ قال أربعون سنة وأينما أدركت الصلاة فصل فهو مسجد. وفي حديث أبي كامل ثم حيثما أدركتك الصلاة فصلها فإنه مسجد.¹⁷

كما ورد في صحيح مسلم:-

حدثنا محمد بن المثني وأبو بكر بن خالد جميعاً عن يحيى قال ابن المثني حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان حدثني أبو إسحاق قال: سمعت البراء يقول صلى الله عليه وسلم (صلى الله عليه وسلم) نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ثم صرفنا نحو الكعبة.¹⁸

آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ببيت المقدس:

في كل ركن من بيت المقدس ترى أثراً من آثار الأنبياء عليهم السلام ومن آثارهم فيه.

مربط البراق، الذي ركبه النبي تحت ركن المسجد وفي المسجد باب داوود عليه الصلاة والسلام، وباب سليمان عليه الصلاة والسلام، وباب حطة الذي ذكرها الله تعالى في قوله وقولوا حطة وهي قول لا إله إلا الله فقالوا: حنطة وهم يسخرون فلعنهم الله بكفرهم، وباب محمد وباب التوبة الذي تاب الله فيها على داوود، وباب الرحمة التي ذكرها الله تعالى في كتابه له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب يعني وادي جهنم الذي بشرقي بيت المقدس وأبواب الأسباط، أسباط بني إسرائيل وهي ستة أبواب، باب الوليد، وباب الهاشمي وباب الخضر، وباب لسكينة، وفيه محراب مريم ابنة عمران رضي الله عنها التي كانت الملائكة تأتيها فيه بفاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، ومحراب زكريا الذي بشرته فيه الملائكة بيحيى وهو قائم يصلي في المحراب ومحراب يعقوب،

15- السيوطي، ص 110.

16- فضائل القدس للإمام ابن الجوزي، ص 76 حققه وقدم له د. جبرائيل سليمان جبور.

17- صحيح مسلم - شرح النووي - المجلد رقم 2 حديث رقم 1 ص 153.

18- صحيح مسلم - شرح النووي - المجلد رقم 2 حديث رقم 2 ص 161.

وكرسي سليمان صلوات الله عليه الذي كان يدعو الله عليه، ومغارة إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام الذي كان يتخلى فيها للعبادة، والقبة التي عرج النبي صلى الله عليه وسلم منها إلى السماء والقبة التي كانت السلسلة تهبط منها زمان بني إسرائيل للقضاء بينهم ومصلى جبريل عليه السلام ومصلى الخضر عليه السلام، فإذا دخلت الصخرة فصل في أركانها وصل على البلاطة التي تسامى الصخرة فإنها على باب من أبواب الجنة ومولد عيسى بن مريم على ثلاثة أميال من المسجد، ومسجد إبراهيم عليه السلام وقبره على ثمانية عشر ميلاً من المدينة ومحراب المسجد بغريه.¹⁹

فضائل بيت المقدس:

إن بيت المقدس مدينة أنبياء الله ابتداء من إبراهيم الخليل إلى عيسى عليهما السلام وقد أشار إلى ذلك بأسلوب عظيم وبلغ أول من خطب بالمسلمين في المسجد الأقصى أثر الفتح الصلاحي القاضي محيي الدين بن زكي الدين علي القرشي حيث قال: «هو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء، ومدفن الرسل ومهبط الوحي ومنزل ينزل فيه الأمر والنهي وهو البلد الذي بعث الله إليه عبده ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم، وروحه عيسى الذي كرمه برسالته وشرفه بنبوءته».

والواقع أنه يمكن القول أن عرب الجاهلية أحاطوا المدينة برعاية تبلغ حد التقديس، فقد حدثنا سفر التكوين أن ملك صادق ملك شاليم - وهو اسم بيت المقدس - خرج لاستقبال أبرام - إبراهيم - وأخرج خبزا وكان كاهنا للعلي وباركه وقال مبارك أبرام من الله العلي ملك السموات والأرض. حدث ذلك قبل حوالي 37 قرناً من الفتح الإسلامي وظلت المدينة على مر العصور مدينة الله العلي وإذ ورث المسلمون تراث أجدادهم الأقدمين وتراث أنبياء الله جميعاً من عهد الإسرائيليين إلى آخر عهد النصارى فقد ظلت المدينة المقدسة في جاهليتهم وإسلامهم هذا سر قدوم خليفة المسلمين عمر بن الخطاب إلى المدينة لأخذها سلماً وسر محافظة صلاح الدين على حرمتها وتطهيرها مما يندسها أو يزرى بها سواء كانت المقدسات مسيحية أم يهودية وهذه أول مرة في تاريخ المدينة التي اعتادت المذابح والحرائق والهدم لا يراق فيها دم ولا يهدم بيت.

لهذه الأسباب أحاط الخلفاء والأمراء والصالحون في جميع العصور الإسلامية المدينة برعايتهم فأنشأوا المساجد والمدارس والزوايا والأربطة والبيمارتانات حتى أضحت (متحفاً) يضم من الآثار ما لم يجتمع في المدينة سواها وعلى رأسها جميعها درة الفن الإسلامي البتيمية وآتية العظيمة قبة الصخرة المشرفة التي فتنت علماء الآثار حتى اجتمعوا على أنها من أعظم الآثار الإسلامية التي عرفها التاريخ على الإطلاق.

وهذا عارف العارف في كتابه سجل عبارة لأحد العلماء الغربيين (هي أن مسجد الصخرة بلا شك من أجمل الأبنية الموجودة فوق هذه البسيطة، بل أجمل الآثار التي خلفها التاريخ والحرم القدسي 1947م).

ومن فضائل بيت المقدس:

تكون الهجرة في آخر الزمان إلى بيت المقدس، والمحشر والمنشر إلى بيت المقدس والحساب يوم القيامة إلى بيت المقدس، وينصب لصراط على جهنم إلى الجنة ببيت المقدس، وينفخ إسرافيل في الصور من بيت المقدس.

19- كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلس - المجلد السادس الناشر دار الكتاب العربي ص 264/265

«وأن الله رفع نبيه إلى السماء من بيت المقدس ورفع عيسى بن مريم عليه السلام من بيت المقدس وقال عنها النبي: «إن خيار أمتي من هاجر هجرة بهد هجرة إلى بيت المقدس ومن صلى ببيت المقدس بعد أن توضع وأصبغ الوضوء ركعتين أو أربعاً غفر الله له ما كان قبل ذلك».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله قال: فضلت الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة وفي مسجدي هذا بألف صلاة وفي مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة» رواه الإمام أحمد رضي الله عنه.

وروي عن النبي أنه قال: أن سليمان عليه السلام سأل ربه ثلاثاً فأعطاه اثنتين، ونحن نرجو ونتمنى أن يكون أعطاه الثالثة، سألته حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه، وسألته ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه وسألته أيما رجل يخرج من بيته يريد الصلاة في هذا المسجد أن يخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه، فنحن نرجو أن يكون أعطاه إياه.

وقد أحرم منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم قال: أوددت أني ما جئت ببيت المقدس وأحرم منه ابنه عبد الله رضي الله عنه.

كما قال مقاتل بن سليمان عن بيت المقدس: ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى عليه نبي مرسل أو قام عليه ملك مقرب.

(وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله، من أراد أن ينظر إلى بقعه من بقع الجنة فلينظر إلى بيت المقدس.²⁰

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول (سيد البقاع بيت المقدس وسيد الصخور صخرة بيت المقدس).

وعن مكحول قال: «من زار بيت المقدس شوقاً إليه دخل الجنة وزاره جميع الأنبياء وغبطوه بمنزلته من الله عز وجل...»²¹

وروي أن ميمونة بنت سعد مولاة النبي محمد أنها قالت: يا نبي الله أفطنا في بيت المقدس. فقال أرض المحشر والمنشر أنتوه فصلوا فيه كألف صلاة فيما سواه، قالت رأيت لمن لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه، قال: فليهد إليه زيتاً يسرج فيه، فإن من أهدى له كمن صلى فيه).²²

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله: لما أسري بي إلى بيت المقدس، مر بي جبريل على قبر إبراهيم، فقال أنزل فصلي هنا ركعتين ها هنا قبر أبيك إبراهيم، ثم مر بي ببيت لحم، فقال: أنزل صلي ها هنا ركعتين (ها هنا) ولد أخوك عيسى. ثم أتى بي إلى الصخرة فقال ها هنا عرج ربك بي إلى السماء²³

ورود في الصحيح أنه لما احتضر موسى عليه السلام، قال: يا رب ادنني من الأرض المقدسة رمية حجرة وفي الأرض المقدسة رمية حجر، وفي الأرض المقدسة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام²⁴

20- رسالة المسجد، 37/37.

21- فضائل القدس - ابن جوزي، ص 86/85.

22- فضائل القدس، لابن جوزي، ص 90.

23- فضائل القدس، لابن جوزي، ص 120.

24- فضائل القدس، لابن جوزي، ص 97.

وقال الزهري: «لم يبعث الله عز وجل منذ خلق آدم إلى الدنيا نبياً إلا جعل قبلته صخرة بيت المقدس، وقد صلى إليها نبينا»²⁵

(وروي النحاس لما غلب قيصر مشي إلى بيت المقدس على قدميه شكرياً لله عز وجل).²⁶

فلسطين أرض الأنبياء والصحابة والتابعين:

قال عبد الله بن عمر: بيت المقدس بنته الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعمرته وما فيه موضع شبر إلا وقد سجد عليه ملك أو نبي فلعل جبهتك أن توافي جبهة ملك أو نبي).²⁷

ولقد سار على هذه الأرض المقدسة الأنبياء والرسل، إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف، وكذلك موسى عليه السلام وفيها دفنوا، وعيسى عليه السلام حيث رفعه الله إليه، ومحمد حيث عرج إلى السماء.

في هذه الأرض الطاهرة المباركة شهد فيها الصحابة فتوحات الإسلام فكان منهم الخليفة عمر بن الخطاب الذي فتح بيت المقدس ورافقه من الصحابة أربعة الآلف صحابي. كان منهم خالد بن الوليد سيف الله المسلول، ومعاذ بن جبل من قادة جيوش المسلمين. وكان منهم أبو عبيدة عامر بن الجراح القائد العام لجيوش المسلمين في بلاد الشام الذي أمر بحصار بيت المقدس، وزيد بن أبي سفيان. وأبو هريرة عبد الرحمن بن صخر وبلال بن رباح الذي رفع الأذان بعد الفتح الإسلامي. وسلمان الفارسي. وأبو الدرداء عوف. وأبو ذر الغفاري. وعبادة بن الصامت أول من ولي القضاء في فلسطين، سكن بيت المقدس ودفن فيها، وعمرو بن العاص السهمي. ومعاوية ابن أبي سفيان. وعوف بن مالك بن عوف. وعبد الله بن عمر بن الخطاب. وغيرهم الكثير رضوان الله عليهم جميعاً. ومن التابعين العلماء والفقهاء: الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو وفقهه الشام سفيان الثوري. والإمام الشافعي محمد بن إدريس إمام أهل السنة الذي ولد بغزة. والإمام الغزالي زين الدين حجة الإسلام الذي صنف (أحياء علوم الدين) في بيت المقدس.

وكذلك ابن قدامة المقدسي المولود في القدس. وابن حجر العسقلاني شارح صحيح البخاري. ومالك بن دينار من الأئمة الأعلام.

وكانت فلسطين مهوى أفئدة كثير من أبطال العرب المسلمين والقواد، فقد ذكر أن آلفاً من صحابة الرسول وتابعيه قد دفنوا فيها.

من أشهرهم أبو عبيدة عامر بن الجراح ومعاذ بن جبل، والفضل بن العباس، وعبد الله بن الزبير، والحارث بن عتيك، ومسلمة بن هاشم المخزومي، وقيس بن الحارث، وقيم بن الحارث، وكليب بن عمر القرشي، ونعيم بن عبد الله بن النمام، وهرا ب بن أسود المخزومي، وهاشم بن العاصي بن وائل.

كما دفن في فلسطين أعداد كبيرة من شهداء المسلمين وارتهم الأرض المباركة في ثراها الطاهر، من معارك اليرموك واجنادين وقد قدر عددهم بخمسة وعشرين ألف شهيد، بالإضافة إلى شهداء الحروب الصليبية، وحروب التتار، وشهداء حروب المسلمين في بلاد الشام.

25- فضائل القدس، لابن جوزي، ص 114.

26- فضائل القدس، لابن جوزي، ص 87.

27- الإسلام وفلسطين، رفيق النشئة، ص 9-12.

أهم العلماء الذين أخرجتهم فلسطين:

في ظل الدولة الإسلامية أنتجت الحضارة في فلسطين ، فأننتجت الكثير من العلماء والمفكرين والقادة والشعراء ، لقد أنتجت أرض فلسطين الطاهرة القائد الإسلامي الكبير موسى بن النصر فاتح الأندلس وكان من أبناء مدينة الخليل.

وإلى فلسطين ينتسب القاضي الفاضل المولود بعسقلان، والعالم وزير الدولة البطل صلاح الدين، ومنهم خليل بن أبيك الصفدي الأديب والمؤرخ الإسلامي صاحب المؤلفات العديدة.

وإلى فلسطين ينتسب رئيس فن الكتابة وشيخ الدواوين وسير الإنشاء عبد الحميد الكاتب وهو من قيسارية، وكان وزير الخليفة الأموي مروان بن محمد، وإليها ينتسب العالم الكيميائي العربي خالد بن يزيد الأموي أول من نقل علوم الإفرنج إلى اللغة العربية في دول الإسلام. وإلى فلسطين ينتسب إليها القاضي عماد الدين أحمد الكركي الذي تولى منصب قاضي قضاة الديار المصرية والملك شرف الدين الأيوبي المجاهد ضد جيوب الصليبيين والعالم الذي كانوا يطلقون عليه أسم المأمون الثاني. وينتسب إليها أيضاً الشيخ مرعي الكرمي الذي تولى الإفتاء في الديار المصرية بالأزهر الشريف، والشيخ محمد بن مصطفى البدي الفقيه العالم الذي تولى الإفتاء في حاضرة الشام بدمشق. وإلى فلسطين أرض المحشر والمنشر ينتسب إليها المئات بل الآلاف من الأدباء والشعراء والعظماء والقواد أمثال الصفدي والطبري والشافعي إمام أهل السنة والذي ولد في غزة وكان يردد بيتين شهيرين في الشوق والحنين إلى بلاده

وإني لمشتاق إلى أرض غزة
سقى الله أرضنا لو ظفرت بتربتها
وأن خانني بعد التمزق كتمانني
لكحلت به من شدة الشوق أجفاني

لهذا حظيت فلسطين بمكانة رفيعة فريدة بين أقطار العالم بأهميتها الدينية التي جعلت منها بلداً مقدساً تشد إليه الرحال ولهذا كان لها منزلة مميزة في القرآن الكريم والسنة النبوية، حباها المسلمون بالتقديس والتكريم خاصة قدسها ومسجدها الأقصى.

فلسطين أرض الإسراء والمعراج، وأرض الميعاد وأرض الديانات السماوية الثلاث، وهي مدينة المقدسات لجميع الأديان. ولا شك أن احتلال اليهود لفلسطين كلها ومدينة القدس. خاصة وتهويدهم لها أمر بالغ الخطورة لأنه يهدد العالم الإسلامي بأسره، وهي ظاهرة خطيرة لم يسبق لها مثيل في جميع عصور التاريخ، وهنا يجب اعتبار المأساة الفلسطينية مثلاً حياً للواقع الإسلامي الذي يشهد اليوم جميع أنواع التحدي والتهديد، إذ لولا هذا الواقع المؤلم على العالم الإسلامي لما ضاعت فلسطين، ولما تجرأ العدو على اغتصابها ولذلك فإن هيبة العرب والمسلمين مرهونة بعودة فلسطين حرة عربية إسلامية أبيّة، وليعيدوا حريتها وكرمتها وشرفها.

ودفن في المدينة المقدسة عدد كبير من الصحابة والتابعين والمجاهدين منهم الصحابي عبادة بن الصامت الأنصاري، والصحابي شداد بن أوس، والزاهدة رابعة العدوية، والمتكلم محمد بن كرام صاحب الفرقة الكرامية، والمحدث بكر بن سهل الدمياطي.

وبنى المسلمون في مختلف العهود مساجد بلغ عددها أربع وثلاثون مسجداً معظمهم في داخل المدينة القديمة.

وأنشأوا عدداً من المقابر الأثرية التي تضم رفاة الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من علماء ومجاهدين وحكام وفي (الأنس الجليل) أسماء من توفى ودفن فيها. نذكر منهم عبادة بن الصامت، وشداد بن أوس وفيروز الديلمي، وسلامة بن قيسر، وذا الإصبع، وأبا محمد البخاري. وأنشأوا مدارس لطلب العلم، بلغ عددها 56 مدرسة حفلت بالعلماء من أهل المدينة وخارجها الوافدين من المشرق والمغرب، وأوقفوا عليها لمصاحف والمخطوطات النادرة ولا تزال معظم هذه المدارس قائمة حول الحرم بأبوابها الحديدية الكبيرة ونقوشها المزخرفة وساحاتها الواسعة، وكان المسجد الأقصى نفسه يحتوي على مكتبة كبيرة كما كان الحال في جامع قرطبة والأزهر والقيروان. وكان العلماء يقصدونه من الأندلس والمغرب ومصر والعراق وفارس للدرس والتدريس وفي المتحف الإسلامي - اليوم - صندوق كبير يضم مصحفاً مخطوطاً بخط أحد ملوك المغرب كتبه خصيصاً للمسجد الأقصى. وبنوا عدد كبيراً من الزوايا يؤمها الحجاج من مختلف البلدان الإسلامية كالزوايا النقشبنديّة للحجاج الوافدين من الباكستان، وزاوية الهنود للحجاج القادمين من الهند، والزاوية القادرية للحجاج الواردين من الأفغان، وفي كل مسجد وغرف للنوم، ولها أوقاف.

إن الكثرة العظمى من هذه الأماكن الإسلامية التي ذكرناها - عدا المقابر - قائمة في المدينة القديمة المحاطة بسورها الأثري الذي جده آخر مرة السلطان سليمان القانوني في القرن العاشر الهجري. وأن المدينة المقدس أضحت مع الزمن متحفاً أثرياً غنياً بالآبنية والنقوش والزخارف والقناديل النادرة التي لا تقدر بثمن ولا يمكن أن يكون لها بديل.

والخلاصة أن الآثار الإسلامية تجعل من هذه المدينة المقدسة التي لم يفتأ المسلمون في جميع عصورهم يرفعونها بالإجلال والتعظيم، ويتعهدونها بالتعمير والتجديد، مدينة أعظم شأنًا في نظرهم من (أورشليم) التاريخية في نظر اليهود بل يمكن أن تقف في صف واحد مع مكة والمدينة، وفي حديث رسول الله عليه السلام أنها رابع مدن الجنة ومن الناحية المادية والحضارية ليس لليهود شيء يذكر بشهادة العلماء مسلمين ومسيحيين، ولذا فإن التفریط بهذه المدينة المقدسة هو تفریط بأقدس مقدسات المسلمين، وحرمان من ممارسة شعائرهم الدينية التي كفلتها جميع الشرائع والقوانين.

إن علاقة المسلمين بالقدس لا تبدأ مع الفتح الذي تم على يد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإنما أسست العلاقة في القرآن والعقيدة والسنة فكانت القدس بالمسجد الأقصى أولى القبلتين بالنسبة إلى المسلمين منذ أوائل عهد الدعوة وكانت في صخرتها المشرفة النقطة التي أسري منها الرسول صلى الله عليه وسلم ونزل في كل ذلك آيات كريمة مما كرسها في صلب العقيدة وتعزز ذلك في وصية النبي (صلى الله عليه وسلم) لشدة الرحال إليها، فبهذا دخلت مدينة القدس وما حولها من أرض فلسطين كجزء من الإسلام قبل أن تدخل كجزء من تاريخ العرب والمسلمين وحضارتهم وتراثهم، وقبل أن تكون النقطة الإستراتيجية التي لا تقوم الوحدة بين مغرب بلاد العرب والمسلمين ومشرقها إلا بها ومن خلالها.

فالقدس بالنسبة إلى العقيدة الإسلامية أرضاً مباركة مقدسة للمسلمين، وهي جزء في التكوين الروحي الإيماني للمسلم ومن ثم لا يمكن تصور قبول المسلمين التفریط بحقهم فيها تحت أي ظرف من الظروف، بل يمكن القول أن ما من قوة إسلامية تملك حق التصرف بهذا الحق، ونقل من ناقل القول: التأكيد أن كل تفریط في هذا الحق باطل بنظر الإسلام ولو جاء بإجماع، لأن النص يظل فوق الإجماع.

مراجع البحث:

1. القرآن الكريم.
2. فيليب حتى: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج1 دار الثقافة - بيروت 1958م.
3. قضية القدس، خيرية قاسمية، دار القدس - بيروت 1979م.
4. القدس العربية، محمد أديب العامري، دار الطباعة والنشر - عمان 1971م.
5. تاريخ فلسطين عبر العصور، أحمد صدقي الدجاني، نظرة تحليلية مجلة شؤون فلسطينية مجلد عام 1977م.
6. عروبة بيت المقدس حول تاريخ القدس القديم، الحسيني.
7. الأونس الخليل في تاريخ القدس والخليل، للقساوي مجير الدين الحنبلي - دار الخليل.
8. الإسلام وفلسطين - رفيق النشيه.
9. بلادنا فلسطين، مصطفى مراد الدباغ، ج9، بيروت 1976م.
10. جغرافيا فلسطين، خليل طوطح وحبيب خوري، القدس مطبعة النصر 1923م.
11. عارف العارف، الفصل في تاريخ القدس، القدس 1961م.
12. القرآن والسنة وحتمية إزالة دولة يهود - الشيخ أسعد بيوض التميمي خطيب ومدير المسجد الأقصى المبارك سابقا، مطابع الكرميل بيروت 1982م.
13. إنحاف الخص بفضائل المسجد الأقصى، لأبي عبد الله بن شهاب الدين السيوطي، تحقيق د. أحمد رمضان أحمد.
14. فضائل القدس للشيخ الإمام ابن الجوزي حققه وقدم له د. جبرائيل سليمان حبور.
15. صحيح مسلم - شرح النووي المجلد رقم 1.
16. كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، المجلد 6 - الناشر دار الكتاب العربي.
17. جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، صالح أبو نصير - دار الفكر.
18. المركز القانوني لمدينة القدس، سالم الكسواني، عمان 1978م.
19. صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل، السيد رجب حراز، القاهرة 1974م.
20. بلدانية فلسطين العربية، الدرفيكي، بيروت 1948م.
21. تاريخ مختصر الدول، ابن العبري، بيروت 1958م.
22. معجم البلدان ياقوت الحموي - شهاب الدين أبو عبد الله، بيروت دار صادر للطباعة والنشر 1955م.
23. نهاية الأدب في معرفة فنون الأدب، للنويري، دار الكتب المصرية بالقاهرة.
24. تاريخ الرسل والملوك، محمد جرير الطبري، القاهرة 1961م.
25. صبح الأعشى في معرفة الأنشأ، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، المطبعة الأميرية بالقاهرة 1962م.
26. القدس تاريخ وصور، إعداد منظمة التحرير (فتح).
27. الآثار الإسلامية في فلسطين أو الأردن، محمود العابدي، من موضوع المسجد الأقصى.
28. قدسنا، محمود العابدي، القاهرة 1972م.
29. حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتير.
30. الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ج10، دار صادر، بيروت 1966م.
31. كتاب الفتح القسي في الفتح القدس، الشهير بعماد الدين الكاتب المعروف بالاصفهاني، طبعة القاهرة مطبعة الموسوعات 1321 هـ 1902م.
32. المختصر في أخبار البشر، أبو الفدا المؤيد عماد الدين إسماعيل بن الأفضل.

لم يلبث التاريخ الإسلامي أن ارتبط بالقدس أكثر منها ارتبط بأية مدينة أخرى ذلك أنها كانت محط الأطماع لما تتمتع به من مركز روحي وتوحيدي وموقع استراتيجي عسكري سياسي وكان يكفي الاستيلاء عليها وانتزاعها من يد العرب والمسلمين حتى تتجزأ البلاد وتهن الأمة وتطعن في كرامتها وهذا ما يفسر ارتباط التاريخ الإسلامي بمدينة القدس روحيا وسياسيا وعسكريا وقد ارتقت أنهار من دماء المسلمين على أرض فلسطين عبر العصور والأزمان وفي سبيل استعادتها من الفرنجة والصليبيين ثم المغول، وما معركة عين جالوت إلا إحدى الشواهد على ما بذل المسلمون من دماء على أرض فلسطين المباركة، ولكن عاد الأمر فتجدد مع غزو نابليون إلى مصر ثم فلسطين، منذ ذلك التاريخ عادت القدس وفلسطين لتكون جوهر صراع العرب والمسلمين منذ الغزو الصهيوني وبخاصة بعد أن سيطروا على شطري من القدس وأجزاء من فلسطين في الضفة والقطاع.

أننا حين نتكلم عن مكانة القدس بالنسبة إلى المسلمين تبدأ بمكانتها في العقيدة والتكوين الروحي والنفس وهي هنا واسعة قوية لا يمكن انتزاعها أو أبعادها ثم نخرج على مكانتها في تاريخ الأمة لنجدها في مكب الأحداث والصراعات والحروب، بذلت في سبيلها أغلى التضحيات جيلا بعد جيل، ثم إذا وقفنا أمامها لنراها من الزاوية الوجودية للأمة العربية ومن الزوايا السياسية والإستراتيجية سوف نراها في ظل الاحتلال الإسرائيلي تشكل المركز في وجود الأمة وأمانيتها ومصالحها وتطلعاتها، وهذا ما يفسر الدعوة للتضامن الإسلامي من أجل إنقاذ القدس وتساعد دعوة الجهاد من أجل تحريرها.

ومن هذا كله يمكن لشعوب العالم غير الإسلامية أن تتفهم ما تعني القدس بالنسبة إلى شعوب الإسلامية عموما والعرب خصوصا، لأن هذا التفهم قد يساعدنا على تجنب دفع الأمور إلى ما لا يحمد عقباه حين تطرح أو تفرض الحلول التي تمس عقيدة المسلمين وتهدر الحقوق الشعب الفلسطيني تلك الحقوق التي يتمسك مليار مسلم باسترجاعها.

ويمكن بهذا الصدد القول أن تأكيد حق الشعب الفلسطيني في القدس، وفي فلسطين يجسد عند الإقرار به وتنفيذه تطلعات العالم المسيحي بأسره ناهيك عن المسيحيين الفلسطينيين والعرب، ذلك أن الطابع المسيحي للأماكن المقدسة المسيحية في القدس وبيت لحم والمناطق الأخرى لا يمكن أن يحافظ عليه إلا من خلال وجود المسيحيين الفلسطينيين الذين هم جزء من الشعب الفلسطيني وإلا أصبحت تلك الأماكن المقدسة من غير المؤمنين المحيطين بها أماكن أثرية تستهوي السياح ودارسي الآثار. (وقد تنبه الفاتيكان إلى هذه النقطة مما دفعه إلى بذل جهود كبيرة للمحافظة على بقاء المسيحيين العرب في فلسطين وفي القدس وبيت لحم خصوصا) ومقاومة عمليات تهجيرهم من قبل السلطات اليهودية وهذا ما يجعل الشعب الفلسطيني هو الضامن الحقيقي لبقاء مدينة القدس بمقدساتها مدينة حج وسلام وتطهر روح كل المؤمنين على حد السواء خصوصا، إذا أخذ بعين الاعتبار أن شعب فلسطين ذو تقليد عريق في المحافظة على الأماكن المقدسة للاديان الثلاثة، وسكنى المؤمنين من حملها وضمان حريتهم، لقد عمد الاحتلال الإسرائيلي إلى تشويه معالم مدينة القدس، والاعتداء على أماكنها المقدسة وتدنيسها وفرض الهجرة القسرية على سكانها الأصليين. فباشروا عمليات الهدم التدريجي للمدينة القديمة ومعالمها التاريخية، وأقام الأبنية الإسمنتية الكثيفة جالبا إليها آلاف المستوطنين اليهود الغربيين لاستيطانها، وهكذا نراه يسير في تهويد القدس وتحويلها عن دورها التاريخي كمركز روحي.

This paper is mainly concerned with rehabilitating and preserving Islamic architectural and artistic sites. Its point of orientation is Al-Aqsa Mosque and the Dome of the Rock as an example of Islamic architectural heritage refined from foreign and Zionist influence; it gives a historical account of Al-Aqsa Mosque and the Dome of the Rock's construction through different eras and how they have stood cimalsI eht syartrop osla ti .ecneufni ngierof dna emit fo stset eht yllaniF .meht htob fo ngised larutcetihcra dna citsitra citarcnysoidi dna niatniam ot woh fo snoitadnemocer feirb sevig repap siht .hcus sa setis cimalsI evreserp

مقدمة:

إن أصل هذا البناء مسجد قديم أقامه الخليفة عمر بن الخطاب ثم تهدم وأنشأ على أنقاضه عبد الملك بن مروان المسجد الأقصى الذي لم يكمل بنائه، وأكمله بعده ابنه الوليد، وقد تهدم المسجد الأقصى كلياً في القرن الثامن نتيجة هزة أرضية عنيفة، ثم رُمم في عهد العباسيين ثم الفاطميين، وأعقبهم المماليك الذين بنوا ما خربه الصليبيون مرة أخرى. وعند البحث عن الفن والعمارة الإسلامية نجدها موجودة في المساجد، وخصوصاً في المسجد الأقصى، لأنه يوجد فيه منبر صلاح الدين الذي صنع من خشب الأرز المحفور والمرصع بالعاج والصدف، وقد قال المقرئ (إنه لم يعمل في الإسلام مثله) والذي أحرقه الصهاينة عام 1969، بالإضافة إلى مكانته الرفيعة في الإسلام بوصفه أولى القبليتين وثالث الحرمين الشريفين، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجد الأقصى ومسجدي» ووصف الاصطخري مسجد بيت المقدس بقوله «وبها مسجد ليس في الإسلام مسجد أكبر منه تسرج فيه في الليلة خمسة آلاف قنديل وله سبعون خادماً»⁽¹⁾ ويدل هذا بشكل قاطع على ما يتحلى به المسجد الأقصى لدى المسلمين. وأما مسجد قبة الصخرة المشرفة، فهو أهم وأقدم العمارة الإسلامية التي بناها الأمويون وما زال محتفظاً بلامحه الأصلية رغم الإضافات والإصلاحات التي تمت نتيجة الزلازل، وترجع قدسيته إلى حديث المearج؛ فلقد عرج الرسول على براقه إلى السماء منطلقاً من هذه الصخرة، وهناك اعتقاد أن النافذين في الصور يوم القيامة سيقفون على هذه الصخرة⁽²⁾، وإنها ستكون مقر العرش الإلهي، وهو المسجد الوحيد والفريد الذي أنشأته العمارة الإسلامية بشكله الثماني، بالإضافة إلى أن المماريين والفنانين الذين قاموا على بنائه وزخرفته هم من أهل البلاد فنقلوا وقلدوا جزءاً كبيراً من العمارة الإسلامية التي كانت سائدة في ذلك الوقت.

1- صحيح البخاري ص 73

2- تفسير القرطبي ج 17، ص 27.

خصائص العمارة والزخرفة الإسلامية في بيت المقدس

د. حسن محمد نعييرات

قسم الفنون التطبيقية، كلية الفنون الجميلة، جامعة النجاح الوطنية

إن الهدف من وراء هذه الدراسة هو بيان الواجب الوطني الملقى على كاهل كل فرد مسلم للمحافظة على عمارة وزخرفة بيت المقدس (المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة) وتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل عدداً من المسائل المهمة ذات الصلة بهذا الجانب منها: الجذور والأصل الديني للمدينة المقدسة، والمسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة، وكيفية الحفاظ عليهما لما لهما من أهمية دينية ومعمارية مميزة في تاريخ العمارة والزخرفة الإسلامية، حيث أن المسجد الأقصى الذي يعود اسمه إلى الآية الكريمة: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير»⁽¹⁾ وهذا مرتبط بقضية الإسراء وكذلك وصف للأفراط والأساليب التي استخدمت في عمارتها وزخرفتها، والمراحل التي مرت بها عبر العهود الإسلامية، بالإضافة إلى نتائج وتوصيات يمكن من خلالها أن تعمل على حماية وصيانة وترميم العمارة والفنون الإسلامية في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس. بالإضافة إلى توضيح بعض المسائل التي تثير تساؤلات الكثيرين من الناس، والتي هي بحاجة إلى إجابات شافية مرتكزة على أساس علمي تبحث عن مدى تقدم العمارة والفنون الإسلامية، وفيه تجسيد وعرفان لما شيده أجدادنا المسلمون من بيوت الله ومنشآت دينية وما قاموا به من واجب تجاه المقدسات والدفاع عنها والاهتمام بشؤونها وتحسينها وصيانتها. وهي في الوقت نفسه تكريم واعتزاز بذكرى تحرير بيت المقدس على يد البطل المجاهد المسلم صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى.

1- سورة الإسراء آية (1)

وتغطي الصخرة المشرفة قمة عالية تعتبر من القباب الفريدة التي شيدتها العمارة الإسلامية، حيث بلغ ارتفاعها حوالي 31 متراً وقطرها حوالي 20 متراً وهي مؤلفة من طبقتين طبقة خارجية مكسوة بصفائح من الرصاص لصق عليها حوالي 10200 لوحاً من النحاس المذهب، وطبقة داخلية من اللباد للتخفيف من شدة حرارة الصيف بالإضافة إلى زخرفة القبة من الداخل.

ويعتبر مسجد قمة الصخرة من أجمل الأبنية المعمارية الإسلامية الموجودة على هذه الأرض المباركة، ومن أجمل الآثار الإسلامية التي خلدها التاريخ، ويعود جماله لتناسق أبعاده المعمارية ولكسوته الداخلية والخارجية بالرخام والحزف والقاشاني والفسيفساء⁽¹⁾، حتى بدا من الداخل كأنه لوحة زخرفية في غاية الجمال والروعة، ويجب علينا الحفاظ على هذا التراث المعماري الرائع وصونه وترميمه والدفاع عنه من الصهاينة الحاقدين، لأنه يجسد في روعته تاريخ الفن والعمارة الإسلامية، ويربط هذه العمارة والفنون بالإسلام عقيدة وشرعية، ويربط الحديث بأصوله وجذوره القديمة العظيمة.

من هنا، فإن الدفاع عنه واجب الحكومات والهيئات والمنظمات الإسلامية، وواجب المسلمين فرادى في كل قطر وفي كل موقع من أجل أن يظل الإسلام مرفوع الراية، وتظل هامة المسلمين مرفوعة وعالية. وهي أيضاً مسؤولية ملقاة على كاهل الشعب العربي المسلم في فلسطين، فهو شعب القضية الأول، وهو رأس الحربة في المسألة الفلسطينية، وهو صاحب الأرض، والقدس تشكل القلب بالنسبة لأرض فلسطين، وهي عاصمة الكيان العربي الفلسطيني الذي لا يرضى بغير القدس عاصمة لبلاده. فهم حمايتها، وهي مكان مقدس بالنسبة لهم، وبالتالي فإن الشعب العربي الفلسطيني يرفض التدويل، ويصر على المحافظة على المقدسات في القدس الشريف، ويصر على أن تكون القدس عاصمة دولته.

الهدف من البحث:

إن أهم هدف لنا هو إبقاء مدينة القدس والمقدسات الإسلامية بما فيها من عمارة وفنون وزخرفة في ذاكرة العرب والمسلمين، فالقدس قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين الشريفين، وإن الحفاظ على عمارتها وتراثها ومقدساتها ينبغي أن يكون في أولويات أبحاثنا، وأن تسخر لها الأقلام حتى يتم تحريرها فإن عجز هذا الجيل عن تحريرها، فالأجيال القادمة بحاجة إلى إيقاد شعلة ضمائرهم ونحفر في أعماقهم وذاكرتهم مكانة للقدس ومقدساتها، لما تحويه من عمارة وتراث وفن. فيجب المحافظة عليها من الغزاة والغاصبين الذي يهدفون إلى طمس هذه الحضارة.

وقد يفيد هذا البحث في التعرف على المراحل التي مرت بها هذه الحضارة بما فيها من تراث معماري وزخرفة إسلامية مميزة⁽²⁾، لحث المسؤولين والمعنيين في وضع تصور خاص لترميمها والمحافظة عليها حتى تبقى معلماً إسلامياً مميزاً.

دراسات سابقة في هذا الموضوع:

ما من مصدر أو مرجع ديني أو معماري أو فني بمختلف اللغات، إلا ويجد فيه الباحث مكاناً مميزاً لمدينة القدس ومقدساتها، كما وأنه لا تخلو مكتبة من المكتبات العامة، في الجامعات والمراكز العلمية، من المؤلفات والكتابات المعمارية والزخرفية والسياحية والتاريخية وغيرها، إلا وتحدث عن بيت المقدس⁽¹⁾، حيث أن الصراع على هذه المدينة لا يزال في أوجهه. وقد تناولت مدينة القدس ومقدساتها ماضياً وحاضراً، وتناولت أيضاً الأخطار التي تواجه القدس ومقدساتها من تهويد وتدمير وهدم وإزالة أحياء كاملة ومن هذه المؤلفات: عارف العارف، وبلادنا فلسطين للديباغ، ولمسيري القدس عمارة وتاريخ، الحفريات الإسرائيلية حول الحرم القدسي وغيرها من الدراسات الكثيرة.

بيان أهمية بيت المقدس (الأصول والجذور):

القدس مدينة الله، وهي من أقدس مدائن الدنيا، وتعني في كل الأسماء التي أطلقت عليها عبر تاريخها العريق: القداسة والطهارة والتنزيه من الذنوب. وبيت المقدس مدينة مرتفعة على الجبال يصعد عليها من كل مكان من قصدها من فلسطين، وبها مسجد ليس في الإسلام مسجد كان أكبر منه، ولا زالت تأخذ موقعها في قلوب المؤمنين من أتباع عقائد التوحيد⁽²⁾ فهي أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين، ولها مكانة مميزة في عقيدة المسلمين خاصة، فمنذ نشأتها الأولى وهي عربية الأصول، فمنذ خمسة عشر قرناً ما زالت تعيش في كنف الحضارة العربية الإسلامية التي أضفت عليها الطابع والعربي والإسلامي، اللهم إلا تلك الفترة الوجيزة من التاريخ خلال الاحتلال الصليبي التي لم تتجاوز الثمانية والثمانين عاماً، والتي كانت فترة ظلم وظلام، عادت بعدها إلى العهود الإسلامية المشرقة، ولا زال كل شبر من أرضها وكل حجر من روابيها شاهداً على إسلاميتها وعروبتها، بالرغم مما جرى لها في الفترة الأخيرة من احتلال صهيوني محاولاً تغيير واقعها وطمس معالمها وآثارها وتراثها وعمارته وحضارتها العربية الإسلامية، ومهما عمل المحتل، فلن يبلغ ما بلغه الصليبيون منها، وقد زال الصليبيون عنها، وعادت لأصحابها الشرعيين⁽³⁾ إن من يهتم بالقدس وتاريخها وبالأهم والحضارات التي درجت على ثراها منذ أقدم العصور، لا بد له من التعرف على كنوز هذه المدينة وما تحويه من شواهد ومعالم يستدل بها الإنسان على طبيعة هذه المدينة وموقعها الجغرافي والإستراتيجي كما هي تظهر في الشكل (1)، فإذا تم لنا التعرف على هذا الواقع فقد فهمنا الماضي وأشرقنا على المستقبل.

1- عفيف البهنسي، الفن الإسلامي الطبعة الثانية، دمشق 1998 ص 141-142.

2- عبد الفتاح أبو عطية، القدس، دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف، الرياض 2000م ص 34-35، 150-151.

1- فيليب حتي، تاريخ العرب بيروت 1974 ص 86.

2- الديباغ، بلادنا القدس (2) ص 305-306.

3- الديباغ، بلادنا فلسطين، بيروت 1975م، ص 25.

الطابع المعماري لمدينة القدس:

من العناصر المعمارية التي تتميز بها مدينة القدس السور الحجري المرتفع الذي يحتوي على سبعة أبواب مفتوحة هي باب الساهرة، وباب الأسود (الأسباط)، وباب العمود، وباب الحديد، وباب الخليل، وباب النبي داود، وباب المغاربة، وأربعة أبواب مغلقة هي الباب المفرد، والباب المزدوج، والباب الثلاثي، والباب الذهبي (باب الرحمة).

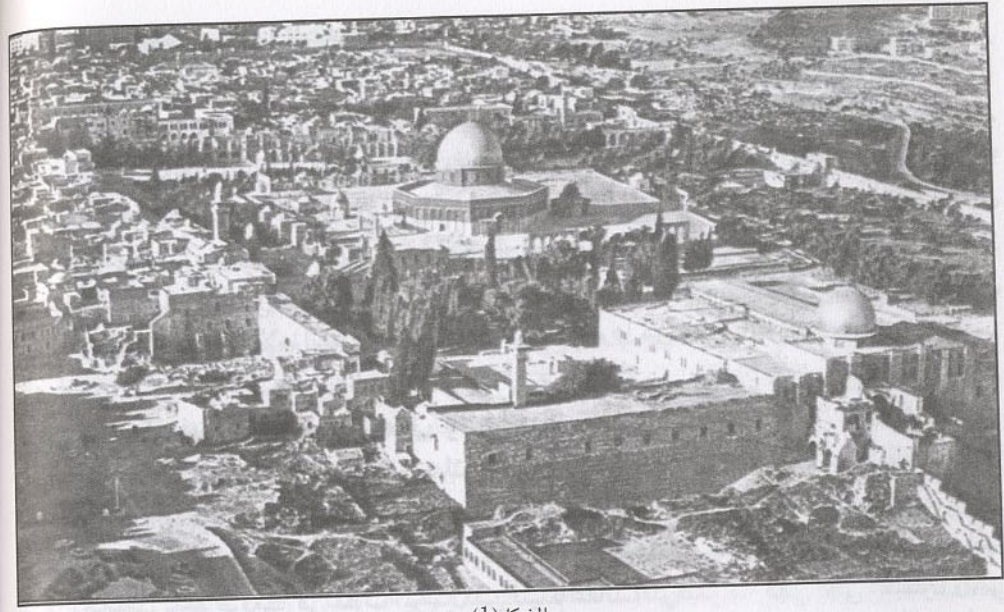
كما يحيط بالحرم الشريف سور حجري يشتمل على ثلاثة أبواب مفتوحة من الشمال هي باب الأسود وباب فيصل، وباب حطة، وسبعة أبواب مفتوحة من الغرب هي باب الغوامه، وباب الناظر، وباب الحديد، وباب القطنين، وباب السلسلة، وباب المغاربة، وباب المطهرة يتصل الحرم بباقي أجزاء المدينة بطرق تتفرع من أبواب الحرم الشريف العشرة وتمتد بين أجزاء المدينة ذات الوظائف المختلفة. ولم يقف اختلاف المناسيب الطبوغرافية داخل المدينة حائلاً أمام المخطط والمصمم حيث تم التغلب على هذه العقبة باستعمال أدراج حجرية عريضة ومريحة لتتنقل الشخص من منسوب إلى آخر.

تتميز طرق المدينة المقدسة بأنها رفيعة ومخصصة للمارة دون السيارات وبعضها مسقوف بالعقود الحجرية الجميلة التي يرجع تاريخها إلى العصور الإسلامية المتوسطة والبعث الآخر غير مسقوف. كما بنيت المدارس والمسكن والزوايا والسبل للسقاية على جانبي الطرق، وتحمل العقود الحجرية فوقها الأبنية الحجرية التي تطل على الطريق بنوافذها ومشربياتها الصغيرة.

إن هذا الأسلوب في استعمال الطرق الرفيعة يوفر الظلال المريحة للمشاة ويخفف من درجة حرارة الجو ويمنع سقوط أشعة الشمس المباشرة على المارة وخصوصاً في أيام الصيف، وتتميز به العمارة الإسلامية في المدن الإسلامية التاريخية إن الطرق المخصصة للأسواق التجارية مفتوحة على بعضها البعض لتسهيل الاتصال من سوق إلى آخر. أما الحارات السكنية فينتهي بعضها إلى نهايات مسدودة لتوفر للحارة الواحدة الشعور بالاستقلالية.

وبإمكان الإنسان أن يقطع جميع طرق القدس الشريف في وقت قصير، وإن يقضي جميع احتياجاته سيراً على الأقدام دون تعب أو ملل، وذلك راجع إلى فلسفة تخطيط المدينة وإلى إتباع الأسس السليمة في العمارة الإسلامية وإلى التقيد بالمعايير الإنسانية

جميع أبنية القدس الشريف من الحجر استعمل في بنائه مونه الجير حيث لم يكن الاسمنت معروفاً. واستعمل الحجر والطين والجير في بناء القباب والعقود. أما نوافذ الأبنية فهي صغيرة المساحة ومفتوحة في جدران سميكه لتؤمن التهوية والإضاءة وتمنع دخول الأشعة المباشرة في نفس الوقت. بعض الأبنية تطل على الطريق من خلال مشربيات خشبية جميلة الصنع تساعد في تهوية البيت وتستعمل أيضاً للجلوس والاستراحة ومشاهدة الطريق دون التعرض إلى نظر المارة. تتلاقى الأبنية بعضها مع بعض وكأن القدس عبارة عن مبنى واحد متشابك الأجزاء يكون نسيج المدينة الجميل الهادئ المتعاضد.



الشكل (1)

تخطيط المدينة المقدسة معمارياً:

هناك مبادئ أساسية عامة يلتزم بها مخطط المدينة الإسلامية معمارياً بغض النظر عن الزمان والمكان الذي تنشأ فيه، كما أن هناك مميزات ومبادئ فنية ومعمارية واجتماعية وبيئية خاصة تختلف حسب الزمان والمكان، وفي مدينة القدس الشريف راعى المخطط هذه المبادئ والمميزات حيث اعتبر أن للدين علاقة أساسية في التخطيط المعماري لمدينة القدس. ويجب أن يكون المسجد هو المركز الرئيسي للوحدة التخطيطية، يتفرع منه نسيج المدينة المعماري. وعليه كان المسجد الأقصى المبارك هو البؤرة الرئيسية في تخطيط هذه المدينة. أضف إلى ذلك التجانس مع البيئة ضمن روحانية واحدة، وبساطة التخطيط التي توحى بالراحة النفسية والجمال المعماري. وقد قال أحد الكتاب: «إن الله تعالى قسم الجمال إلى عشرة أجزاء منح القدس تسعة منها، ووزع الجزء العاشر على باقي الكرة الأرضية».

من الملامح الأساسية لطابع مدينة القدس وشخصيتها أنها تحافظ على مكوناتها المعمارية والزخرفية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعادات سكانها العرب وتقاليدهم وثقافتهم، ومن هذه المكونات الأحياء السكنية المتضامنة، والخدمات الرئيسية من أسواق، ومساجد، ومدارس، وملاعب، وخدمات صحية مترابطة مع الأحياء السكنية، وغير مفصولة عنها⁽¹⁾ وكذلك تحافظ على تراثها الثقافي والفني والبيئي والمعماري، لضمان عدم إدخال عناصر غريبة عليه، أو إزالة أي جزء غريب عنه، مع ترميمه باستمرار

1- جابر، فايز، القدس ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها، دار الجليل للنشر-عمان ص 811.

1- الموسوعة الفلسطينية ص 534

تتجلى بساطته التصميم في المساكن بتوفير الفناء الداخلي المكشوف الذي يعتبر من أهم مميزات العمارة الإسلامية، كما أن النقاء الهندسي والبساطة وتأدية الوظيفة واستعمال المواد الإنشائية المحلية والتهوية الجيدة والتجانس بين الأبنية في المدينة المقدسة، كل ذلك يعتبر من الأسس الهامة في تطبيق فن العمارة الإسلامية كما هو مبين في الشكل (2) كانت القدس الشريف تنعم في هذا الجو المعماري الهادئ حتى جاء الاحتلال الإسرائيلي وبدأ الإسرائيليون بتغيير الوجه والنسيج المعماري الجميل لقدس، أحيانا بجرحه جرحا عميقا لكي لا يبرأ منه وأحيانا أخرى بإجراء عمليات قبيحة كإنشاء الأبنية المرتفعة المجاورة للحرم الشريف والتي تعلوه ارتفاعا بعد إن كان الحرم الشريف هو الذي يطل على كل ما حوله.⁽¹⁾



شكل (2)

إن القدس تعتبر مدرسة للفن المعماري الإسلامي تغطي مرحلة ليست قصيرة من العصور الإسلامية ابتداء من الأمويين ثم العباسيين والفاطميين والأيوبيين والمماليك والعثمانيين. ويجب إلا يسمح العالم المتمدد للإسرائيليين بتغيير معالم المدينة وطمس هذه الحضارة الإنسانية

لقد أصبح التراث المعماري الإسلام في القدس مهددا بالخطر من قبل الاحتلال الإسرائيلي الذي لم يأل جهدا بالضغط على السكان العرب لتفريغ المدينة منهم واستبدالهم بسكان غرباء عنها بعد هدم الأبنية العربية التاريخية الأثرية الغنية بفن العمارة الإسلامية وإنشاء عمارات جديدة لا تمت بصلة إلى البيئة أو المجتمع، وفي ذلك اعتداء على التاريخ والإنسانية والثقافة والفنون، وإيقاف هذا الخطر في سبيل الحفاظ على التراث العربي الإسلامي للمدينة العربية يجب مسح وتوثيق كامل أبنية المدينة المقدسة واعتماد خطة واسعة فنية ومالية للترميم والصيانة وتأمين الجهاز الفني ذي الخبرة في هذا المضمار بعد أن تم تسجيل المدينة المقدسة في اليونسكو عام 1982 ضمن قائمة التراث العالمي المهدد بالخطر

١- المسجد الأقصى عبر العهود الإسلامية:

يعتبر المسجد الأقصى من أهم المنشآت التي أنجزها الوليد بن عبد الملك هذا الخليفة المصلح الذي أقام كثيراً من المنشآت التي دعمت مكانة الدولة الإسلامية الناشئة. ويعود اسم المسجد إلى الآية الكريمة (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ). بالإضافة إلى مكانته في الإسلام بوصفه أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. ومسجد الإسراء والمعراج كان له أثر عظيم على مدى التاريخ في العمارة والفنون الإسلامية.

يتألف المسجد الأقصى من بناء مستطيل الشكل يتوسطه رواق لجسر يصل مباشرة إلى القبة، ويبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب (80) متراً، وعرضه من الشرق إلى الغرب (55) متراً، ويقوم على ثلاثة وخمسين عموداً من الرخام، بينها تسع وأربعون سارية مربعة الشكل مبنية من الحجارة، ويبلغ ارتفاع العمود الواحد وارتفاع السارية خمسة أمتار أيضاً، وتأتي فوق الأعمدة وتلك السواري أقواس حجرية اتساع كل واحد منها تسعة أمتار، وتربط الأعمدة بروابط نحاسية من أعلى، ويبلغ ارتفاع القبة عن الأرض (17) متراً. أما المنبر الذي أمر بصنعه نور الدين زنكي في حلب وأحضره إلى المسجد الأقصى صلاح الدين الأيوبي، فهو تحفة أثرية إسلامية تُذكر المسلمين بيوم النصر والفتح المبين، وقد صنع من خشب الأرز المحفور والمرصع بالعاج والصدف، ومن الملاحظ أن المحراب أيضاً لم يكن في منتصف جدار القبلة كما هو في الجامع الأموي بدمشق. أما المئذنة، فليس للمسجد الأقصى مئذنة .. في حين لم يكن في المسجد الأموي بدمشق قبة .. لعل الخليفة عبد الملك لم يرد أن يبني قبة في الأموي تنازع عظمة قبة الصخرة.

إن المسجد الأقصى الحالي هو تجسيد لمجمل عمليات الترميم والتجديد التي حصلت عبر العهود الإسلامية المختلفة، فظهرت فيها أنماط من هذه الفنون المختلفة والتواريخ والمؤثرات، حيث تجد العبارات واللوحات التي تبين تنفيذ هذه الترميمات وتواريخها. وأبرز مثال يمكن أن نورد هنا هو ترميم صلاح الدين الأيوبي لمحراب المسجد وتزيينه بالفسيفساء، ونرى كتابة فسيفسائه فوق المحراب تشير إلى

تجديد المحراب وعمارة المسجد الأقصى من قبل صلاح الدين الأيوبي، ونجد أروع ما تبقى من المسجد الأقصى من زخرفة في الألواح الخشبية المحفورة والمزخرفة بالحفر النافر بعناصر نباتية من أوراق الكرمة والأغصان مما يشابه كثيراً الزخارف الموجودة في قبة الصخرة، وتبدو هذه الألواح مؤلفة من معينات ثلاثية متتابعة في شكلها، وفي مركزها عنصر نباتي زنبقي ويحيط بها زخرفة نباتية أصبحت أساساً للقرش العربي اللين كما هو مبين في الشكل (3)



شكل (3)

أما الفسيفساء الموجودة في المسجد الأقصى فتعود إلى عهد الخليفة الفاطمي الظاهر لأمر الله، الذي أعاد ترميم الأقصى سنة 425 هـ. وعندما احتل الصليبيون القدس سنة 492 هـ غيروا معالم المسجد، فاتخذوا جانباً منه كنيسة والآخراً مسكناً للفرسان، بالإضافة إلى مستودع للذخائر، وخرّبوا الكثير، لكن عندما استرد صلاح الدين الأيوبي القدس سنة 583 هـ، أعاد البناء إلى ما كان عليه، وجدد محراب المسجد وزينه بالفسيفساء وأتى بالمنبر الذي صنعه نور الدين زنكي في حلب، وهو من أجمل المنابر الأثرية وأدقها صنفاً، وقد بقي هذا المنبر إلى أن التهمته النيران في حادث حريق الأقصى المشؤم في عام 1969 م، وتوالت الإصلاحات في عهد المماليك والأتراك، ولعل أبرزها تجديد قبة المسجد الأقصى وتبليس الواجهة القبلية بالرخام. ومنذ عام 1922 م حتى 1927 م قام المجلس الإسلامي الأعلى بالإشراف على ترميم واستبدال الأعمدة الضعيفة الحاملة للقبة بأعمدة وأكتاف جديدة. كما تم تدعيم الأروقة الغربية والجنوبية، وفي نفس الوقت ترميم الفسيفساء وزخرفة واجهة المحراب من 1927 م حتى 1936 م بعد الزلزالين اللذين تعرضت لهما البلاد حيث ظهر خلل في الأروقة اضطرهم إلى هدم واستبدال الجمالونات الحاملة لها من معدن وعمل سقف خشبي مزخرف⁽¹⁾، وفي عام 1945 م قامت بعثة فنية مصرية تحت إشراف المجلس الإسلامي الأعلى باستبدال الجمالونات الحديدية بأخرى من الألمنيوم بعد تخفيض وتغيير قبتها الخشبية إلى خرسانية مع تكسيته بالألمنيوم.

وقد أضيء المسجد الأقصى بالكهرباء لأول مرة سنة 1945 م وكان قبلها يضاء بالزيت والشموع، وفي عام 1967 م توقف الترميم بعد الحرب واحتلال القدس ولم تمض سنتان على الاحتلال الإسرائيلي، حتى تعرض المسجد الأقصى لحريق كان أول حريق في تاريخه الذي يمتد أربعة عشر قرناً من الزمان، وقد أتى الحريق على المنبر الخشبي التاريخي، وصعد الجزء الجنوبي الشرقي، وأتلف القبة الداخلية وزخارف واجهة المحراب، كما أتلف جزءاً كبيراً من شبابيكه الجبسية أثناء مكافحة الحريق، وقد شكلت على أثر ذلك لجنة القدس المنبثقة عن منظمة العالم الإسلامي، التي أخذت على عاتقها الاعتناء بمدينة القدس ومقدساتها لما فيها من تراث وعمارة وحضارة إسلامية. وقد أهمل إلى حد كبير أمر المقدسات الإسلامية وشؤونها، كما اعتراها التلف والخراب بسبب عبث إسرائيل الناجم عن البحث عن الآثار اليهودية التاريخية المزعومة في مناطق المسجد القدسي الشريف، مما أدى إلى تصدع جدران المسجد الأقصى وقواعده وغيره من المباني والمنشآت الدينية القائمة في ساحة المسجد الشريف، بالإضافة إلى ما فعلته عوامل الطقس والإهمال وعدم الصيانة المستمرة لتلك العمارة والزخرفة، فتلف جزء منها وتصدع الجزء الآخر مما أصبح بحاجة إلى إعمار وصيانة وترميم وتجديد.

وظلت إسرائيل تضع العراقيل أمام مشروعات ترميم المنشآت الإسلامية في القدس، فهو أمر ينطبق تماماً على مخططاتهم السياسية الواسعة كما قال هرتزل الزعيم الصهيوني العالمي في السابق: «إذا حصلنا يوماً على القدس وكنت لا أزال حياً وقادراً على القيام بأي عمل فسوف أزيل كل شيء ليس مقدساً لدى اليهود فيها وسوف أحرق الآثار التي مرت عليها»⁽²⁾ إن هذا يدل على مدى الحقد والكراهية للإسلام والمسلمين، إن مأساة القدس التي هي جزء من المأساة الفلسطينية تعد مثلاً واقعياً للواقع الذي يشهده العالم الإسلامي اليوم، إذا لولا هذا الواقع المؤلم الذي يعيشه العالم الإسلامي لما ضاعت القدس ولما ضاعت فلسطين.

وبناء عليه فإن العالم الإسلامي بأسره مطالب اليوم قبل الغد بتحرير القدس من اليهود والصهاينة الحاقدين فهو واجب على العالمين العربي والإسلامي إن القدس ومقدساتها بما فيها من تراث وعمارة تنتظر من العرب والمسلمين من يحررها من الاحتلال فمن لها بعد صلاح الدين؟

الاعتداء على المسجد الأقصى وإحراقه:

كانت الساعة السابعة من صباح يوم الخميس الموافق 1969/8/21 م ساعة شؤم على مدينة القدس وعلى مسجدها وسكانها العرب والمسلمين المرابطين، فقد تطاول مجرم إسرائيلي يدعى دينيس مايكل ولیم روهان على حرمة المسجد الأقصى المسقوف فأحرقه. وبلغت مساحة الجزء المحترق من المسجد (1500 متراً مربعاً)⁽¹⁾، وأصاب الحريق المشؤم المنبر الأثري الذي أمر بصنعه نور الدين محمود زنكي لينصب في المسجد الأقصى، وأمر بإحضاره إلى القدس صلاح الدين يوسف بن أيوب بعد أن حرر مدينة القدس من أيدي الفرنجة في سنة 385 هـ. وقد احترق كذلك مسجد عمر، ومحراب زكريا، ومقام الأربعين، وثلاثة من أروقة المسجد مع الأعمدة والأقواس الحاملة لها، والقوس الحاملة لقبة الأقصى وأعمدة رئيسة تحمل قبة المسجد، إضافة إلى سقوط سقف المسجد وخراب الزخرفة وإتلاف أجزاء من القبة الخشبية الداخلية المزخرفة والمحراب والجدار القبلي والرخام الداخلي و(84) شباكاً من الجبس

والزجاج الملون
والسجاد
وسورة الإسراء
الفسيفسائية
المذهبة⁽²⁾،
وغيرها من
التحف التاريخية
التي لا تقدر بمال.
كما هو مبين في
الشكل (4)



الشكل (4)

لقد اندفع أبناء فلسطين لإطفاء الحريق من القدس وجميع المدن والقرى الفلسطينية لإنقاذ ثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين، فما أن وصلت طلائع الجماهير إلى أبواب المسجد الأقصى حتى وجدوها مغلقة من قبل جنود الاحتلال، في الوقت الذي كانت فيه نيران الاحتلال تلتهم آثار المسجد وقدسيته كما، ولم يقف اليهود عند هذا الحد من العمل الإجرامي بل قاموا بالحفريات حول الحائطين الجنوبي والغربي للمسجد، وتحت الأبواب الثلاثة وتحت الأروقة مما أدى إلى اختراق أساسات المسجد، وعليه قامت الهيئة الإسلامية بالكشف عن هذه الأخطار والحفريات الإسرائيلية وطالبتهم بالتوقف عن الحفر وإغلاق الفجوات التي أحدثتها الحفر.

1- محمد شراب بيت المقدس المسجد الأقصى دراسة تاريخية، وموثقة، دمشق 1994 م ص 489 - 490

2- الهيئة العربية العليا، الجريمة اليهودية النكرة، إحراق المسجد الأقصى، بيروت 1969 هـ

إعادة بناء منبر صلاح الدين في المسجد الأقصى:

يعتبر المنبر المحترق تحفة فنية مميزة لا مثيل لها في العالم، حيث أن المنبر قد صنع من قطع خشبية صغيرة معشقة بعضها مع بعض بدون استعمال مسامير أو براغي وخوابير أو غراء. وهذه القطع حُفرت على الجانبين وفي مستويات مختلفة. ثم رُكبت هذه القطع بطريقة التعشيق في مجموعات ضمن إطارات خشبية وبأحجام مختلفة. وهذه الإطارات بمجموعها ثبتت على الهيكل الأساسي الخشبي للمنبر كما يظهر في الشكل (5).

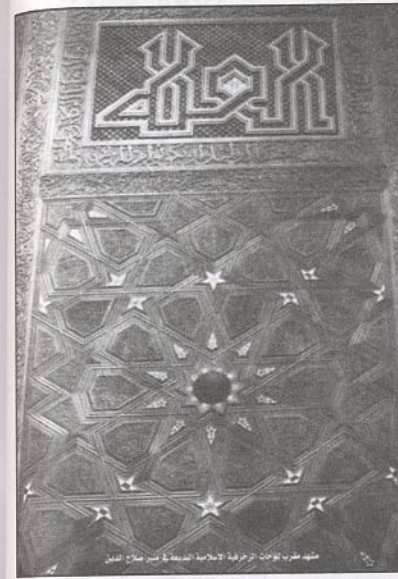
وقد استعمل في صناعة المنبر المحترق خشب الأرز وخشب الأبنوس، كما استعمل العاج المحفور للكتابة القرآنية والتاريخية. وإن عدم استعمال أي مادة معدنية أو فرائية في المنبر هو الأمر الذي جعل المنبر يعمر مدة طويلة من الزمن دون أن يؤثر عليه بصدأ المواد المعدنية أو تلف المواد الغروية، كما إن أسلوب التعشيق قد وفر لأجزاء المنبر

إمكانية التمدد والانكماش وعدم التشقق. وقد دهن المنبر بمواد راتنجية تمنع العث أو تسوس. ولذلك فقد بقي المنبر سالماً من كل ضرر أو تلف مدة ثمانمائة عام إلى أن حرقه الإسرائيليون، وكان بالإمكان أن يعمر مئات أخرى من السنين لأنه كان في حالة جيدة عندما أُحرق.

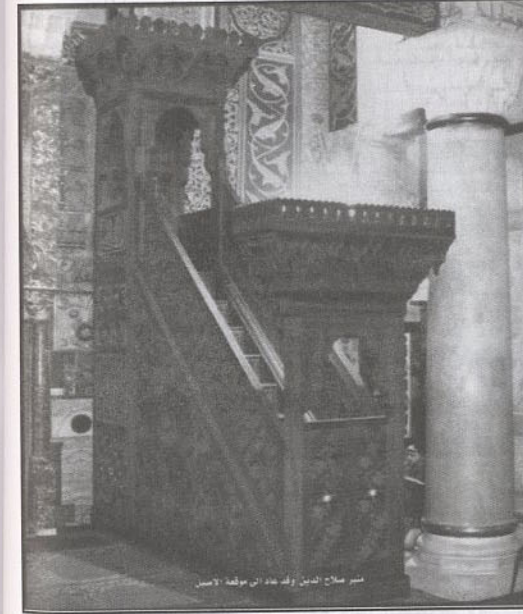
أن إعادة صنع المنبر لا يمكن أن تماثل الأصل تماماً، ولكن ستكون مشابهة له، كما بعض المخططات التي جهزها الأستاذ جمال بدران لم تستند إلى صور لأصل هذه لأجزاء حيث أن الصور الموجودة في المتحف لا تمثل جميع أجزاء المنبر الداخلية والخارجية⁽¹⁾

ويعتبر تحفة فنية عادت إلى مكانها بعد عقود من الزمن على إحراقها وكاد العالم الإسلامي يفقد أسرار هذا النوع من الفن والزخرفة القائم على مبدأ علمي إسلامي منذ 400 عام منذ بناء قصر تاج محل في الهند إذ أصبح الذين ينفذون أعمالاً فنية إسلامية

خالصة قلة ونادرة حيث أن الأسس الفنية التي استخدمت فيه هي المكونات الرئيسية للفن الإسلامي حيث الزخرفة النباتية والهندسية والخطية كما يظهر في الشكل (6).



شكل (5)



الشكل (6)

٢- قبة الصخرة عمارة وتاريخ:

تعتبر قبة الصخرة من أقدم المنشآت العربية الإسلامية التي ما زالت قائمة تحافظ على بنائها، ويمتاز بناؤها بطابعة المعماري الفريد الذي يعتبر آية معمارية خارقة، وأجمل هذه الآثار على الإطلاق وفق ما أجمع عليه علماء العمارة والفن، فهل كانت مجرد مسجد لإقامة الصلاة أم أن إنشاءها كان لمضاهاة المباني المسيحية الجميلة التي كانت موجودة حينذاك سواء في هذه المنطقة أو حتى في بيزنطة؟.

تعتقد الأغلبية أن قبة الصخرة كانت مسجداً منذ بداية إنشائها، وكان الحرم الشريف هو صحن هذا المسجد، ويستدل أصحاب هذا الرأي على ذلك من خلال العثور على محراب قديم في مبنى قبة الصخر كذلك وجود عناصر مسجدية أخرى مثل منبر برهان الدين في الحرم ومحراب قبة السلسلة والمآذن المستقلة.

من صمم قبة الصخرة وبناها:

في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على تصميمها والإشراف على تنفيذها إلى رجاء بن حيرة الكندي ويزيد بن سلام. وجاء تصميم قبة الصخرة فريداً من نوعه في تاريخ العمارة الإسلامية، ومنهم من ذهب للقول إن هذا التصميم مأخوذ من الكنائس التي كانت سائدة خصوصاً كاتدرائية بصرى عام 513 م، وكنيسة الصعود في جبل الزيتون في القرن الرابع الميلادي وكنيسة القيامة.. وكلها مبان بيزنطية الطراز.. ولكن يمكننا القول إن قبة الصخرة بنيت بطريقة مختلفة حتى عن نظام بناء جامع الرسول في المدينة⁽¹⁾. وتدفعنا العمارة الداخلية والهيكلية الخارجية والزخرفة والتناسب بين الأبعاد إلى القول أن بناء قبة الصخرة يشكل ذروة العبقرية في الإبداع المعماري العربي الإسلامي، وقد رصد لبنائها خراج مصر لسبع سنين.

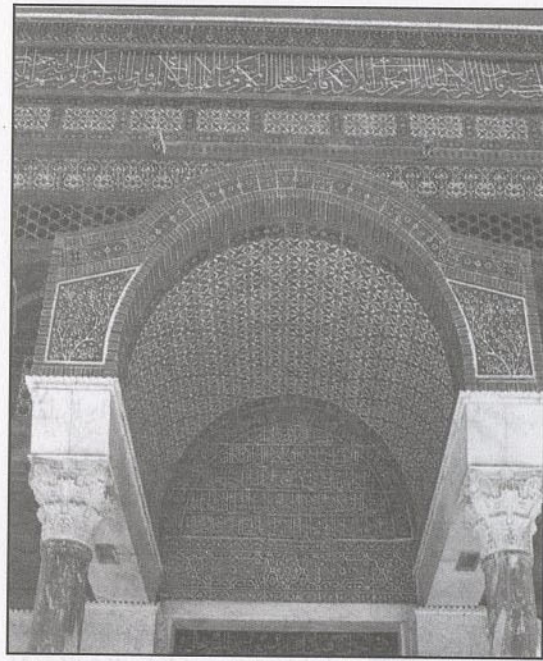
ماذا قيل وكتب عن قبة الصخرة:

يقول غوستاف لوبون: (إن قبة الصخرة هي أعظم بناء يستوقف النظر، وإن جماله وروعته لا يصل إليه خيال إنسان). ويقول ماكس فان برشيم: (لعل عظمة هذه القبة وجمالها يرجعان إلى ما في تخطيطها وتصميمها المعماري من بساطة وتناسق وإنها لمفخرة العمارة الإسلامية).. ويقول كروزويل (تتمتع قبة الصخرة بأهمية عالمية في تاريخ العمارة الإسلامية، فلقد بهرت بروعتها ورونقها وفخامتها وسحرها وتناسقها ودقة نسبها كل من حاول أن يدرسها من علماء...). ويقول بوركهارت، (إن إشادة بناء بهذا المستوى من الكمال والإتقان الفني في دولة الإسلام التي لم يكن مضى على ظهورها قرن واحد يعتبر أمراً غير عادي)..

ما هي حقيقة مواصفات هذا البناء؟..

يبدو أنه ليس من الصعب التعرف على الشكل الأساسي لمبنى قبة الصخرة، لأن التعديلات التي تمت إنما على ملامحها السطحية وزخارفها ولم تتناول الشكل الأساسي المعماري. إن قبة الصخرة كانت أيام الخليفة عبد الملك بن مروان بناء من ثمانية أضلاع تعلوه قبة خشبية

1- الدياغ، بلادنا بيت المقدس ص 36.



الشكل (8)

ولولا هذا الانحناء لحجبت الأعمدة الواقعة أمام الرائي كثيراً من تفاصيل العمارة الداخلية الرائع كما هو مبين في الشكل (8).

محراب قبة الصخرة:

من أقدم العناصر المعمارية في قبة الصخرة المحراب الصغير القائم تحت الصخرة. فهذا المحراب يعود إلى عهد عبد الملك بن مروان إلى جانب المحراب الموجود في الجامع الأموي الكبير بدمشق، وهو أقدم محراب في الإسلام.. ولقد تحدث الدكتور فريد الشافعي في كتابه « العمارة العربية في مصر والشام » عن هذا المحراب وأهميته وقدمه.

الزخارف التي استخدمت في قبة الصخرة:

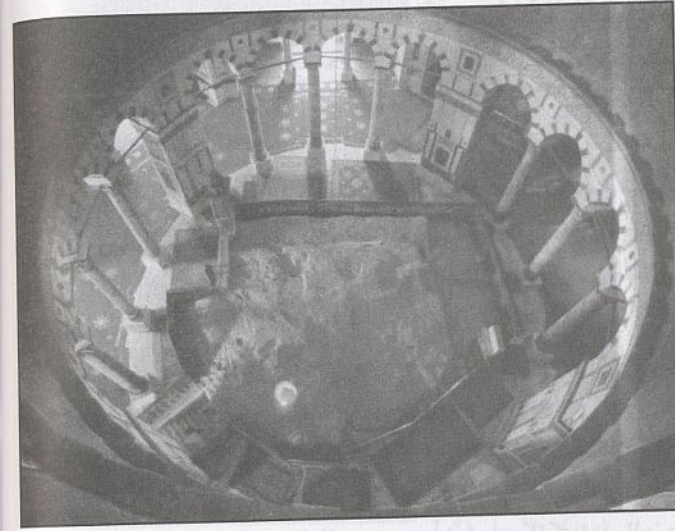
اتجه الفن الزخرفي العربي الإسلامي نحو التجريد وتحوير الأشكال والأشياء، فحيث لا بشر ولا حيوانات، ظهرت الأشكال النباتية، أوراق وأغصان وفواكه وورود وثمار.. وأخذت الطابع الهندسي وعلى أشكال نجمية متعددة الرؤوس تتشابك فيما بينها كشابك الكون وخالق الكون. تنوزع الزخرفة النباتية والخط العربي ضمن إطارات وأشربة هندسية.. وتبدو النوافذ الخمسة في كل من الجدران الثمانية مغطاة بالخزف المفرغ فيما عدا النوافذ الصماء التي غطيت بلوحة قاشانية بتغير موضوعها في كل جدار.. أما القسم السفلي من الجدران على ارتفاع الأروقة فقد غطي بالواح الرخام المجزع بزخارف هندسية بلون بني أو أزرق.

تعتبر الزخرفة الداخلية لقبة الصخرة أجمل ما قدمته عبقرية الفنان الصانع المبدع وهي مؤلفة من أشربة تتجمع ضمنها الزخارف الذهبية على أرضية معتمة زرقاء من الكتابات القرآنية بالخط الثلث الجميل تشتمل الآيتين 255 و 256 من سورة البقرة

تنتهي القبة الداخلية برواق مطل على الداخل بواسطة عقود ثلاثة، الفصوص محمولة على عمودين مزدوجين قصيرين، وتقوم الأعمدة على جسم الرقبة المكسوة بكاملها بزخارف فسيفسائية تعود إلى العصر الأموي، وتتخللها بشكل رتيب ست عشرة نافذة مقوسة مكسوة بالزجاج المعشق يحمل كل لوح صيغة زخرفية مختلفة عن الأخرى. وتزين الزخرفة الفسيفسائية الرائعة التي تعود أيضاً للعصر الأموي القناطر الحاملة للسقف المحيط من الجانبين ومن بطن الأقواس. لقد بات من المؤكد أن هذه الفسيفساء الزجاجية هي من الصناعة المحلية حيث عثر على مصانع في أمكنة مختلفة في المنطقة العربية الإسلامية، مع احتمال أن الأحجار الذهبية كانت تستورد من الخارج.

إن هذه الكميات الكبيرة والضخمة من مكعبات الفسيفساء التي غطت تلك المساحات الواسعة من جدران المساجد المذكورة وأروقته لا يمكن أن تكون قد استوردت من الخارج⁽¹⁾، أو أن يكون

1- صفوان التل:، بناء وزخارف قبة الصخرة في القدس، مؤتمر بلاد الشام الثالث بتاريخ بلاد الشام 1980م.



الشكل (7)

يتوسط قبة الصخرة (الصخرة المشرفة) التي عرج منها النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلا، حيث ترتكز القبة على اثني عشر عموداً، وأربع عضادات متناوبة.. أي بمعدل ثلاثة أعمدة بين كل عضادتين.. وتشكل هذه الحوامل المشوقة دائرة تحيط بالصخرة المقدسة، ويحيط بهذه الدائرة مثنى طول ضلعه 20.60م. وهو مؤلف من جدران ارتفاعها 9.50م وسمكها 1.30م، ويعلموا الجدران تصونية بارتفاع 2.60م، وبين المثنى والدائرة يقوم مثنى من الدعائم تعلوها أقواس دائرية عددها 24 قوساً تحملها 8 دعائم و16 عموداً. ويشكل هذا المثنى قاطعاً بين رواقين دائريين مقطعين بسقف خشبي مائل باتجاه المحيط ومسقوف بالرصاص⁽¹⁾.. وكل جدار من الجدران الأربعة مؤلف من خمس فتحات كاملة تدخل النور إلى الرواقين.. وأما الجدران الأربعة الأخرى التي تقابل الجهات الأربع فكان يخرقها باب عرضه 2.6م، وارتفاعه 4.30م وأربع نوافذ كما هو مبين في الشكل (7).

أبواب قبة الصخرة:

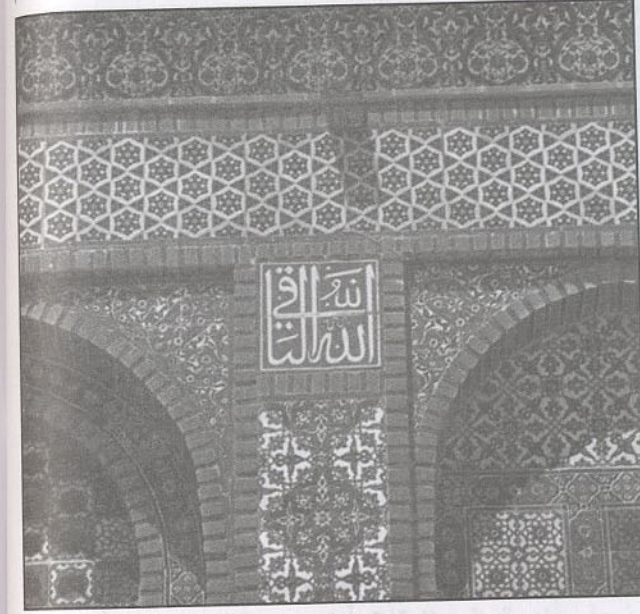
لمسجد قبة الصخرة أربعة أبواب، الباب الشرقي ويقع تجاه قبة السلسلة ويسمى باب النبي داود، الباب الغربي ويقابل باب القطانين واسمه باب الجنة، الباب الجنوبي القبلي يقابل المسجد الأقصى، والباب الشمالي.

تعود هذه الأبواب الأربعة إلى عهد السلطان سليمان وهي من الخشب المصنوع. وفي أيام المقدسي كانت الأبواب من الخشب المزخرف المنقوش، وكانت هدية من والده الخليفة المقتدر بالله الذي عاش في الفترة 320 هـ أما الأبواب الأصلية أيام الأمويين فلا يذكر أي مرجع عنها أي شيء.

إن تعدد المداخل تقليد متبع في إنشاء المساجد مثل مسجد الرسول في المدينة والمسجد الأموي بدمشق. وسعى البناءون إلى تمكين الداخل من رؤية جميع ما في المسجد من أعمدة وأقواس وذلك بإيجاد انحناء بسيط في دائرة ودعامات القبة يبلغ 2.5 درجة.

1- محمود العابدي، الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن، عمان.

عمالها قادمين من أماكن بعيدة.. ثم إن تقاليد الفسيفساء قديمة في فلسطين وبلاد الشام، حيث أن كنيسة المهد في بيت لحم كانت واجهتها الغربية مزخرفة بالفسيفساء، لهذا تبينت براعة أهل الشام بهذا الفن الزخرفي المميز أضف أيضاً الأحجار الكريمة والصدف واللؤلؤ، الذي استخدم في تكسية الجدران والأسقف والأعمدة، حيث أنها من الصناعة المحلية كما يتفق الجميع، وهي إضافة إلى ذلك تتميز بالرشاقة والانسجام والقدرة التجريدية العالية التي تثبت شعور الروعة والمهابة للناظر والمتذوق للعمل الفني.



الشكل (9)

في تأمل وتفحص التشكيلات الزخرفية الفسيفسائية في قبة الصخرة يمكن إجمال مجموعة من المميزات التي اختصت بها هذه العمارة من الزخارف التي تعود بمجملها إلى العصر الأموي الذي

يشكل بداية النهوض الحقيقي للفن المعماري الإسلامي. كما هو مبين في الشكل (9)

1. إن هذه الزخارف الفسيفسائية، تشكل بداية الزخرفة الإسلامية والعربية.
2. تتصل هذه الزخارف بما هو محلي سابق في المنطقة اتصالاً واضحاً، حيث ربطت الماضي في الحاضر، ويظهر تأثير الطرز الفنية المحلية في هذا النمط من الزخارف.. لا سيما وأنها صنعت بأيدي السكان المحليين ممن كان عربياً أو رومياً بيزنطياً، والذي بقي تحت راية دولة الإسلام والعروبة.
3. برزت الزخرفة العربية الإسلامية فناً إبداعياً مبتكراً وذلك من خلال اعتمادها على محاورة الواقع وليس نقله⁽¹⁾ وأبدع الفنان العربي الإسلامي في التعبير بما هو واقعي عما هو فوق واقعي..
4. عدم تكرار العناصر الزخرفية الموجودة في قبة الصخرة رغم المساحة وكبر الحجم، وهذا يعطيها صفة مميزة عن غيرها.
5. الانسجام اللوني الذي يتماشى مع معنى التكوينات وليس مع حقيقة وواقعية لونها، وهذا يمثل نمطاً آخر من الابتكار الذي صنعه الفنان العربي المسلم.

لقد اختار الفنان العربي الإسلامي جملة العناصر المكونة لـزخارفه من الطبيعة.. بدءاً من الأشكال النباتية.. كالأشجار الموجودة في المنطقة بأنواعها: النخيل، والزيتون، واللوز، والكرمة، والصنوبر، وكذلك الورود، والفواكة. وكذلك أخذ من الطبيعة عناصر أخرى كالنجوم، والأقمار، والشموس. وذلك عن طريق التخطيط والرسم منظورياً الآتية لتبدو فوق الأفق أو تحت الأفق مزينة بزخارف تجريدية

دقيقة تدل على الواقع ولا تنقله.

لقد عمد الفنان العربي المسلم إلى إعطاء أشكال هذه العناصر عبر التفافات دائرية وتشكيلات نجمية ونقطية بشكل زخرفي دائماً.. على النحو الذي يث فيه روح المتعة والانبهار والإعجاب.. وأحاط الفنان المواضيع بإطارات زخرفية مؤلفة من أشكال هندسية ذات ظلال توحى بحجمها. أو من شرائط لولبية أو من نجوم مثنى أو دوائر على شكل دوايب أو على أشكال هندسية مجردة.. ويتألف الإطار أحياناً من عنصر ممتد أو شريط إكليلي مستمر أو حصرية ذات تكوينات هندسية. إن ما بين أيدينا من نماذج زخرفية وعمارة تين بدون أدنى شك أن الفنان العربي المسلم كان مبدعاً من الطراز الفريد، حاذقاً متمرساً، ذا مخيلة واسعة.. وتقنية مذهلة لهذا يجب أن نحافظ على هذا التراث بما فيه من فن وزخرفة وعمارة مميزة.

النداءات الدولية من أجل الحفاظ على القدس ومقدساتها:

منذ عام 1967 والعرب يناشدون المجتمع الدولي العمل على وقف نشاطات إسرائيل الهادفة إلى تهويد المدينة المقدسة، نشط العرب عموماً والفلسطينيون خاصة على الساحة الدولية من أجل إقناع العالم بأن الذي تقوم به إسرائيل من أعمال حفر وهدم وتدمير التراث والعمارة والفنون الإسلامية بهدف تغيير المعالم الحضارية للمدينة، هو غير شرعي من ناحية القانون الدولي، ويجب ممارسة الضغط عليها لكي تحترم ما يعرف بالشرعية الدولية، واستطاع العرب استصدار قرارات من الجمعية العامة للأمم المتحدة مثل القرارين 2253 و 2254 تصف أعمال إسرائيل بأنها غير شرعية، وتدعوها إلى وقف نشاطاتها، وقد أقام العرب لجنة سميت باسم لجنة القدس الممثلة من خمسة عشر بلداً إسلامياً من البلدان الإسلامية الأعضاء في منظمة العالم الإسلامي، وتحتّم بدعوة من الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي التي تعتنى بالقدس الشريف⁽¹⁾، لما لها من مكانة مرموقة وذات طابع مميز في نفوس جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لارتباطها بعقيدتهم الدينية والإسلامية، فالقدس ملتقى الديانات والحضارات، تعيش فيها الناس على اختلاف دياناتهم وأجناسهم وحضاراتهم في ظل حكم إسلامي عادل ساد فيه التسامح والأمن والاطمئنان للجميع.

ومن الواضح أن على هذه اللجنة مسؤولية كبيرة جداً فعليها واجب كبير وثقيل هو عرض الحقائق والممارسات التي يقوم بها الاحتلال الصهيوني لمدينة القدس والمقدسات الإسلامية وما أحدثه هذا الاحتلال من ممارسات حفر وهدم وخراب وتهويد للمدينة المقدسة ومقدساتها وساهمت وتساهم جمهورية مصر العربية والمملكة الأردنية والهاشمية بجهد سياسي دولي كبير لدعم قضية القدس في المحافل الدولية والمؤتمرات والاجتماعات ذات الصلة بمدينة القدس وبيت المقدس. هذا إلى جانب الدعم السياسي والمادي والمعنوي التي تتلقاها مدينة القدس من الدول العربية والدول الإسلامية في المحافل الدولية واجتماعات هيئة الأمم المتحدة.

1- محمد خلوصي عمارة المساجد، تصميم وتاريخ وعناصر الزخرفة، بيروت 1998 ص 89-90.

1. على ضوء ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، أوصي بما يلي:
1. تكريس الإعلام والمؤتمرات والندوات بما يخدم قضية القدس والمقدسات الإسلامية التي تحتويها لما فيها من تراث وعمارة إسلامية مميزة.
2. توفير الدعم الحقيقي والمتواصل لجميع الهيئات والمؤسسات العاملة في مجال صيانة وترميم المقدسات الإسلامية في القدس الشريف.
3. ترميم أملاك وزارة الأوقاف في البلدة القديمة (القدس) للحفاظ عليها من الزوال لما فيها من تراث وزخرفة معمارية فريدة من نوعها.
4. إنشاء مراكز فلسطينية ودولية للعناية بالعمارة والفنون الإسلامية في القدس الشريف.
5. تخصيص مساق لطلبة الهندسة المعمارية في الجامعات العربية والإسلامية يعرفهم بالعمارة والفنون الإسلامية الموجودة في القدس والمقدسات وكيفية توظيفها والحفاظ عليها.
6. الضعف السياسي والعسكري للمسلمين لا يعني القبول والتنازل عن المقدسات الإسلامية في القدس في الوقت الحاضر والمستقبل.

الخاتمة:

مما لا شك فيه أن مدينة القدس تأتي في قائمة المدن العالمية والدولية ذات التاريخ العربي من جهة وذات المركز الديني الكبير من جهة أخرى، وذلك بإجمال شهادات التاريخ في كل حقبة، تلك الشهادات الأصلية والمتأصلة، إذ أن تلك العراقة الدينية والتاريخية تمتد إلى عهد تاريخي متوغل في القدم لا يقل بحال من الأحوال عن خمسة آلاف سنة. وبناء عليه فإن عتاقة بيت المقدس وقدمه التاريخي المتعمق والمتأصل أكسب المدينة المقدسة قدرة على الاستمرار، وأكسبها المحبة والاحترام لدى جميع فئات البشر بأجناسهم ودياناتهم ومذاهبهم المختلفة. فإن البشر الذين يحق لهم أن يحكموا تلك المدينة العالمية المقدسة ويشرفوا عليها هم المسلمون لأن هذا الحق، حق الحكم والإشراف هو ملك لمن يتحلى بكل صفاته ذات الأساس الديني والتاريخي والإنساني والحضاري، وهي شهادة يعترف بها كل إنسان منصف ومقدر للحوادث، وهي ثوابت يركز عليها العالم الإسلامي وترتكز على أساسها حقوقه ومطالبه.

لقد توصلنا إلى قناعة تامة بأن أرض المسجد الأقصى هي البقعة نفسها التي عرفت قديماً وحديثاً بأرض المسجد القدسي الشريف في مساحته الكاملة وحدوده المحددة بالسور المحيط بتلك البقعة المقدسة التي باركها الله تعالى في القرآن وهي أرض الإسراء والمعراج. قال تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ). وكمعقوب ديني وتاريخي لقدسية المسجد الأقصى وقداسته ما يراه عدد من العلماء من أن الذي بنى المسجد الحرام هو آدم عليه السلام ويجوز أيضاً أن تكون الملائكة هي التي بنت لمسجد الأقصى بعد بناءها البيت الحرام بإذن الله تعالى وتستند في هذا على ما رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: أمر الله تعالى ببناء بيت في الأرض، وأن يطوفوا به، وكان هذا قبل خلق آدم، ثم إن آدم بنى فيه ما بنى، وطاف به ثم الأنبياء بعده ثم إستمتم بناءه إبراهيم عليه السلام.

ومن هنا تأتي المسؤولية الدينية الشاملة على كل أتباع الدين الإسلامي، على كل المسلمين في جميع أمصارهم ومواقعهم، فعليهم جميعاً كمسلمين حماية تلك المقدسات وصونها وتحريها والدفاع

عنها وصيانتها والمحافظة على رقيها وتطويرها وازدهارها، فهو واجب إسلامي كامل وشامل على كل مسلم لا على جماعة إسلامية بعينها، ويتحمل الشعب الفلسطيني المسؤولية الأولى في هذا المقام.

المراجع العربية

1. السائح، ماذا بعد إحراق المسجد الأقصى القاهرة، 1970م.
2. مذكرة أمانة القدس، حول معالم تغير أوضاع مدينة القدس إعداد روجي الخطيب.
3. الدباغ، بلادنا فلسطين بيروت 1975م.
4. الموسوعة الفلسطينية.
5. مؤتمر يوم القدس السابع 2005م.
6. الدباغ، بلادنا، بيت المقدس.
7. الدباغ، بلادنا، القدس (2).
8. النل، صفوان، بناء وزخارف قبة الصخرة في القدس، مؤتمر بلاد الشام وفلسطين 1980.
9. حتي، فيليب، تاريخ العرب، بيروت، 1974.
10. السائح، عبد الحميد، القدس، تاريخ وحضارة ومستقبل، بحث قدم إلى مؤتمر الدولي الثالث بتاريخ بلاد الشام 1980م.
11. العابدي، محمود، الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن، عمان (بدون).
12. العارف، عارف، تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك، القدس، 1950م.
13. الهيئة العربية العليا، الجريمة اليهودية النكرة، إحراق المسجد الأقصى، بيروت 1969م.
14. منظمة التحرير الفلسطينية، القدس تاريخ وصور مطابع الكرمل الحديثة، بيروت (بدون).
15. البهنسي، عفيف، الفن الإسلامي الطبعة الثانية، دمشق 1998.
16. شراب، محمد، بيت المقدس المسجد الأقصى، دراسة تاريخية، مؤتقة، دمشق 1994م.
17. خلوصي، محمد عمارة المساجد، تصميم وتاريخ وطراز وعناصر الزخرفة، بيروت 1998.
18. أبو عطية، عبد الفتاح، القدس، دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف، الرياض 2000م.
19. أبو جابر، إبراهيم، مستقبل القدس وسبل إنقاذها من التهويد المركز الفلسطيني للإعلام www.palestine-info.com
20. الخطيب، روجي، تهويد القدس، بحث مقدم للندوة العالمية بعنوان: القدس وتراثها الثقافي في إطار الحوار الإسلامي - المسيحي، المنعقد في الرباط 1993م.
21. سورة الإسراء آية (1).
22. صحيح البخاري.
23. هذا بلاغ للناس، لإنقاذ المسجد الأقصى الطبعة الثالثة، 1938م.
24. جابر، فايز، القدس ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها، دار الجليل للنشر - عمان.
25. الهيئة العربية العليا، مطاعم اليهود في المسجد الأقصى، بيروت، نشرة شهر ذو الحجة عام 1380 هـ.
26. العارف، عارف (تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك وخة عن تاريخ القدس) القدس، مكتبة الأندلس، 1958م.

المراجع في اللغة الإنجليزية

1. OTTO - DORN: L'Art de l'Islam, Albin michel- Paris 1967.
2. PAPADOPOULOA: L'Islamet L'Art Muslman - Ed. Mazenod, Paris 1976.
3. MARCAIS, G: L'Architecture musulmane d'occident, Artset métiers graphiques' Paris, 1955.
4. G RABAR, : The Formation of Islamic Art, New Havenet Londres, 1973.
5. Michel Burgoyne The Architecture of Islamic Jerusalem the British school of Archaeology in Jerusalem (1976).

مكانة القدس الدينية

د. محمد الشريدة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له : يلي للظالم حتى إذا أخذه: لم يفلته! ونشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وحبيبه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها سوا، لا يزيغ عنها إلا هالك صلى الله عليه وعلى أصحابه الغر الميامين الذين ابتعثهم الله لإخراج الناس من عبادة الطاغوت إلى عبادة ذي العزة والجبروت ومن جور الأديان إلى عدل الإيمان ومن ضيق الحياة وظلمة الشهوات إلى سعة الآخرة ونعيم الجنات ورحم الله السلف الصالح - كخالد العربي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي وبلال الحبشي وصالح الدين الكردي ومحمود الغزنوي الهندي ومحمد الفاتح التركي - الذين كان شعار كل منهم :

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقرى أو قميم

والذين كانوا أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة

أما بعد: فإن دين الله واحد - هو الإسلام على مدار التاريخ البشري - أم الشرائع فإنها متعددة مختلفة، حسب طبيعة الزمان والمكان والأمة وطاعة الله ومعصيته.... إن الرابطة الحقيقية بين الناس يجب أن تكون رابطة العقيدة ليس إلا، والصراع بين الحق وأهله والباطل وأتباعه: صراع عقدي، وإن حاول البعض - بحسن نية أو سوء طوية - أن يجعله صراعاً وطنياً أو قومياً أو اجتماعياً أو مائياً أو تجارياً أو زراعياً أو تاريخياً.....

إننا معشر المسلمين - قديماً وحديثاً - في أي زمان أو مكان أو مجال: ننتسب لأنبياء كرام (عليهم الصلاة والسلام)، جاء خاتمهم مصداقاً لإخوانه السابقين، ومصححاً لتحريفات من انتسب إليهم زوراً وبهتاناً، وناسخاً لشرائعهم: بالرسالة الإسلامية الأخيرة! فنحن نعتز بحكم سليمان (عليه السلام) أكثر من اعتزازنا بحكم عمر (رضي الله عنه) فالنبي خير من الصحابي، بعد هذا التمهيد أقول :

تقع فلسطين في الشرق الأدنى غرب قارة آسيا، وتطل على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط يحدها شرقاً: سورية والأردن، وغرباً: البحر المتوسط، وشمالاً: لبنان، وجنوباً: مصر (سيناء) وخليج العقبة.

ومساحة فلسطين - من النهر إلى البحر: 27 ألف كم²

وتقسم فلسطين إلى ثلاثة أقسام هي:

السهل الساحلي، وهو متعرج في الشمال (رأس عكا ورأس حيفا) ومستو في الجنوب.

المنطقة الجبلية: وهي من الشمال: جبال الجليل، وجبال الكرمل، وجبال نابلس، وجبال القدس، وجبال الخليل: ومنها تبدأ هضاب صحراء النقب المتصلة بجبال سيناء.

حوض الأردن: وهو منطقة داخلية منخفضة أهم أقسامها: سهل الحولة، ومرج ابن عامر، وبحيرة طبرية، وسهل بيسان، وغور الأردن. ويجتاز أراضيها نهر الأردن الذي يخترق الحولة وطبرية ويصب

في البحر الميت

وأهم مدن فلسطين: القدس (العاصمة)، حيفا، ويافا، وعكا، والخليل، ونابلس، والناصرة، رام الله، وطولكرم، وجنين، وغزة، وخان يونس، وبيت لحم وأريحا.

فضائل فلسطين

١- تنوع أسمائها.....

إن كثرة أسماء شيء ما تدل على شرف المسمى، ولعاصمة فلسطين عدة أسماء أهمها: القدس، بيت المقدس، البيت المقدس، إيليا، مدينة السلام، ييوس، أو شليم، بيت الله، كورة إيليا، صهيون، بيت ايل، صلمون، مدينة داود، أورسالم، يابيشي، سلم.

٢- كثرة من أقام فيها أوزارها أو انتسب إليها أو دفن فيها.... من النبيين والصديقين والشهداء والسلاطين والعلماء والصالحين على مدار التاريخ.....

إنها والحق يقال - معدن الأنبياء، ومحط أنظار الزعماء، ومهوى أفئدة الأولياء وما من شبر فيها إلا وهو مضمخ بدماء الشهداء... قال عطاء الخراساني رحمه الله: (بيت المقدس: بنته الأنبياء، وعمرة الأنبياء، وما فيه من شبر إلا سجد فيها نبي).

٣- موقعها الجغرافي (الاستراتيجي) الهام.... ومناخها (طقسها) المعتدل....

لقد اصطفى الله الشام من الأرض، واصطفى فلسطين من الشام، واصطفى القدس من فلسطين، واصطفى المسجد الأقصى من القدس، فهي خيار من خيار، وتكاد مدينتنا أن تكون مركز الكرة الأرضية، وهي تتمتع بمناخ معتدل رائع في فصول السنة كلها.

٤- فضل الرباط فيها.....

من فضل الله على المقدسة - بشكل أخص والفلسطينيين - بشكل خاص - وأهل الشام بشكل عام - ، أن الله تعالى سخر ملائكة تبسط أجنحتها على القدس وما حولها من بلاد الشام تكريماً لها ولأهلها الصابرين الصامدين المرابطين المؤمنين! فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « يا طوبى للشام، يا طوبى للشام، يا طوبى للشام! » فقالوا: يا رسول الله وبم ذلك؟ قال: « تلك ملائكة الله باسطو أجنحتها على الشام » وعن عبد الله بن حوالة (رضي الله عنه) قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: « عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده ».

٥- كثرة ذكرها في الكتاب والسنة.....

لعل القدس - وما حولها من أرض فلسطين والشام - أكثر الأماكن ذكراً في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة... تلميحاً وتصريحاً بشكل مباشر وغير مباشر، تارة باسم الأرض المقدسة وتارة باسم الأرض المباركة.... وهذا يدل على أنها كما يقول عنها الناس اليوم: قدس الأقداس! (وان كنت لا أجذب استعمال هذا التعبير)!!!

٦- دار هجرة أبي الأنبياء: إبراهيم الخليل عليه السلام..

قال تعالى ((ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين)) سورة الأنبياء: آية 71، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ستكون هجرة بعد هجرة. فخير أهل الأرض: ألزمهم مهاجر إبراهيم »

٧- بنى مسجدها الأقصى بعض الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)....

أول من بنى مسجدها: اسحق ويعقوب (عليهما السلام)، وقام بتجديده داود وسليمان (عليهما السلام)، ثم أمر بتنظيفه وبناءه: الفاروق عمر (رضي الله عنه)، ثم جدد بناءه: عبد الملك وابنه الوليد (رحمهما الله) والذي بنى مدينتنا الخالدة العظيمة: سام بن نوح (عليه السلام).

٨- مسجدها: أولى القبليتين.....

قال تعالى: ((سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها)) سورة البقرة آية 142 وعن البراء بن عازب (رضي الله عنهما) قال: (صُلينا مع النبي صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، ثم صرفوا نحو القبلة).

٩- مسجدها: ثاني مسجد بني في الأرض

عن أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: « المسجد الحرام »، قلت: ثم أي؟ قال: « المسجد الأقصى »، قلت: كم كان بينهما؟ قال: « أربعون سنة »

١٠- مسجدها: ثالث المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها.....

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى »

١١- مسجدها: أكبر مسجد في العالم مساحة....

تزيد مساحة المسجد، المسقوف وغير المسقوف، عن 143 دونماً. فكل ما هو داخل أسوار المسجد يعتبر مسجد

١٢- مسجدها: قلب الأرض المقدسة المباركة.....

يقول الأستاذ سيّد قطب (رحمه الله): (المسجد الأقصى المبارك هو قلب الأرض المقدسة التي اسكنها الله تعالى لبني إسرائيل ثم أخرجهم منها).

١٣- غفران ذنوب من قصد الصلاة في مسجدها....

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن سليمان بن داود لما فرغ من بناء بيت المقدس سأل الله عز وجل ثلاثاً: حكماً يصادف حكمه، ومملكا لا ينبغي لأحد من بعده، ولا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه: إلا خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما اثنتان فقد أعطيتهما. وأنا أرجو أن يكون قد أعطي الثالثة »

١٤- جمال مسجدها

قبة الصخرة المشرفة هي أجمل مساجد الدنيا، وقد أمر عبد الملك بن مروان (رحمه الله) ببنائها عام 66هـ وفرغ من بنائها عام 72هـ.

١٥- استحباب المساهمة في إضاءة مسجدها.....

عن ميمونة - مولاة النبي صلى الله عليه وسلم - قالت: قلت: يا رسول الله أفئتنا في بيت المقدس، قال: (اتوه فصلوا فيه - وكانت البلاد اذ ذاك حرباً - فان لم تأتوه وتصلوا فيه، فابعثوا بزيت يسرج في قناديله)

١٦- استحباب التقرب إلى الله في مسجدها : بالصلاة والصيام والاعتكاف وقراءة القرآن والإحرام بالحج والعمرة منه.....

استحب بعض العلماء لمن أتى المساجد الثلاثة الكبرى: ان يختم بها القرآن الكريم، فقد كان الإمام سفيان الثوري (رحمه الله) يختم القرآن في الأقصى، واستحبوا كذلك: المجاورة فيه، وصيام النافلة فيه، والإحرام بالحج والعمرة منه: فقد أحرمت جماعة من السلف الصالح من المسجد الأقصى.

١٧- مضاعفة الحسنات والسيئات في مسجدها.....

وقد ذهب إلى ذلك بعض علماء السلف الصالح (رضوان الله عليهم أجمعين).

١٨- مسجدها: أرض المحشر والمنشر.....

المحشر: موضع الحشر، يحشر الله تعالى إليه الناس يوم القيامة.

والمنشر: موضع النشور، وهو قيام الناس من قبورهم في الآخرة.

وقد ورد ذلك في حديث ميمونة رضي الله عنها الذي مر معنا آنفاً.

١٩- كشف الله تعالى مسجدها للرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم بعد رحلة الإسراء.....

فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلا الله لي بيت المقدس. فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه.

٢٠- خص الله تعالى مسجدها - من بين جميع المساجد - بان يغفر لبني إسرائيل بسجدة واحدة فيه..

قال تعالى: ((وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين)) سورة البقرة آية 85.

٢١- بركتها المادية والمعنوية، العلمية والدينية، الدنيوية والأخروية.....

لقد بارك الله كل ما فيها: من ثمار وأشجار وأنهار وأمطار، وبارك حولها وفيها: بمن عاش على أرضها من أنبياء وصالحين، ومما لا شك فيه: أن الأرض لا تقدرس أحداً وإنما يقدرس الإنسان عمله كما قال سلمان الفارسي (رضي الله عنه).

٢٢- مضاعفة الصلاة في مسجدها.....

اختلف العلماء في ثواب الصلاة في مسجدها ... ورجّح شيخ الإسلام ابن تيمية أن الصلاة في الأقصى بخمسائة صلاة، ورجّح العلامة الألباني: أنها بمائتين وخمسين صلاة، فعن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسائة صلاة ».

٢٣- كثرة المصنفات عنها.....

القدس أكثر مدينة كتب عنها العلماء قديماً وحديثاً في مختلف المجالات الدينية والتاريخية والأدبية والاجتماعية والجغرافية والصحية والعمرانية والإستراتيجية.

٢٤- الأرض التي سأل كلهم الله موسى (عليه السلام) أن يقترب منها.....

فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر..... » وفعلاً، دفن موسى (عليه السلام) بالقرب منها.

٢٥- فيها حائط البراق بجوار المسجد.....

فعن أنس ابن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أتيت البراق.. فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطه بالحلقة التي تربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ».

٢٦- أكثر بلد تجلى فيها التسامح الديني بين المسلمين وأهل الكتاب منذ أن فتحها الفاروق عمر رضي الله عنه) إلى أن حدثت نكبة عام 1967م...

فقد رفض فاتحها عمر الصلاة في كنيسها حينما حان وقت الصلاة يوم تسلّم مفاتيحها من البطريك (صفرونيوس): لئلا يتخذها المسلمون مصلى ! ولا زالت مفاتيح كنيسة القيامة بيد عائلتين مسلمتين مقدسيتين، هما آل جودة الذين يحتفظون بالمفاتيح وآل نسيبة الذين يقومون بفتحها وإغلاقها!

٢٧- موطن الإسراء والمعراج.....

قال تعالى: ((سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)) سورة الإسراء آية 1

٢٨- فيها صلى سيد المرسلين وخاتمهم (صلى الله عليه وعلى إخوانه النبيين جميعاً وسلم تسليماً كثيراً)، إماماً بالأنبياء في رحلة الإسراء.....

فقد جمع الله تعالى لرسولنا (عليه الصلاة والسلام) جميع الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) فأتمهم في محلّتهم ودارهم لما حانت الصلاة، ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى الحرم المكي الشريف...

وهذا يدل على أنه - صلى الله عليه وسلم - الوريث الوحيد لمقدّسات إخوانه الأنبياء من قبله!

٢٩- البلدة التي حبس الله تعالى الشمس ليوشع بن نون (عليه السلام) حتى يتمكن من دخولها قبل مغيب شمس الجمعة ودخول السبت في أرجح الروايات

٣٠- محل الرحمة: حيث فدى الله تعالى فيها الذبيح إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام) بكبش عظيم جزاء استسلامه لأمر الله وصبره على قدر الله وطاعته لأبيه خليل الرحمن.....
وقد ذهب كعب الأحبار وابن عمر: إلى أن قصة الذبيح كانت على صخرة بيت المقدس. قال تعالى: ((وفديناه بذبح عظيم)) سورة الصافات آية 107.

٣١- البلدة التي لا يدوم فيها الظلم أكثر من قرن من الزمان على أبعد تقدير.....

فقد سلط الله تعالى على بني إسرائيل نبوخذ نصر (بخت نصر): فقتل منهم وحرّق وسبى وخرّب بيت المقدس.. وخرج أرميا - وقيل العيزر (عليهما السلام) - إلى مصر فأقام بها، ثم أمره الله تعالى بالعودة إليها، فلما أشرف على خرابها قال:

أتني يحيي الله هذه بعد موتها؟! قال تعالى: ((أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أتني يحيي هذه الله بعد موتها، فأما الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام)) سورة البقرة آية 259.

وقد احتلها الصليبيون تسعون سنة - تقريباً - منذ عام 492هـ إلى عام 583هـ، وحرّرها البطل الغازي الناصر لدين الله: صلاح الدين الأيوبي (رحمه الله).

٣٢- منها رفع السيد يسوع المسيح (عليه السلام) بروحه وجسده حياً إلى السماء: في أرجح الروايات.....

قال تعالى: ((إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا)) سورة آل عمران آية 55

٣٣- البلدة الوحيدة في العالم التي ستتكلّم حجارتها مع المؤمنين المجاهدين قبيل قيام الساعة.....

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم ثم يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله ».

٣٤- تقبل الله تعالى فيها نذر امرأة عمران (عليهما السلام): إن يكون ما في بطنها سادناً للمسجد.....

قال تعالى: ((إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم)) سورة آل عمران آية 25

٣٥- أكرم الله تعالى مريم العذراء (عليها السلام) في محراب مسجدها بفاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس.....

قال تعالى: ((كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أتني لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)) سورة آل عمران آية 37

٣٦- بشرت الملائكة فيها نبي الله زكريا (عليه السلام) بميلاد ابنه يحيى (عليه السلام) بالرغم من هرمه وعقم زوجته.....

قال تعالى: ((فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى)) سورة آل عمران آية 39

٣٧- كرم الله تعالى فيها مريم البتول (عليها السلام) بالنخلة حين جاءها المخاض إلى جذع النخلة قال تعالى: ((وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً)) سورة مريم آية 52

٣٨- تكلم نبي الله عيسى (عليه السلام) بالمهد صبيّاً.....
قال تعالى: ((فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيّاً قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً)) سورة مريم الآيتان 29 و 30

٩٢- هدى الله عز وجل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم للفترة.....
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به بایلیاء بقدرحين من خمر ولبن: فنظر إليهما فأخذ اللبن، فقال له جبريل (عليه السلام): (الحمد لله الذي هداك للفترة، لو أخذت الخمر غوت أمتك).

٤٠- صفات الذين يحررونها كلما وقع فيها فساد عظيم: الإيمان بالله والعبودية لله والشدة على أعداء الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً!

قال تعالى: ((فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولاً ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبرأوا ما علوا تنبيراً)) سورة الإسراء آية 5-7

٤١- فيها سخر الله تعالى الريح لسليمان (عليه السلام): تهب بشدة وتجري بسرعة حيث يشاء...
قال تعالى: ((وسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين)) سورة الأنبياء آية 81.

الخاتمة

لقد اصطفى الله عز وجل بعض الأماكن في الأرض عن غيرها، لحكم عظيمة وغايات جلييلة، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد! ومن البقاع التي فضلها الله جل وعلا: عاصمة فلسطين الأبدية الموحدة (الدرة المغتصبة والفردوس المفقود)! فضائلها المادية والمعنوية الدينية والدنيوية: كثيرة جدا أهمها: أنها مباركة الديار والأنهار والشمار، ومطهرة من الشرك والرجس والأقذار، وإن خيرها موفور، ومسجدها معمور، ومؤمنها منصور، وظالمها مقهور، على كر العصور.

أنها معدن الأنبياء، ومعهد الأتقياء، ومهبط ملائكة السماء، ومهوى أفئدة العلماء، وأن كل شبر منها مضمخ بدماء الشهداء.

إن ملائكة الله الكرام بأسطة أجنحتها عليها وعلى ما حولها من بلاد الشام. كثرة من سكنها أو جاورها أو زارها أو شدد الرحال لمسجدها أو انتسب إليها أو مات فيها أو دفن بساحاتها وبالقرب منها.... من النبيين والصديقين والشهداء والسلاطين والصالحين.... منذ آلاف السنين.

أنها أكثر مدينة في العالم - قديماً وحديثاً - دار حولها الصراع بين الحق وأهله وبين الباطل ورجله وخيله.... فهي بحق - ملحمة النور إلى يوم النشور.

أنها أكثر مدينة في العالم كله عاشت مختلف الحضارات، وقهرت جميع الغزاة، وكتب عنها العلماء في شتى المجالات بمختلف اللغات، في كثير من المصنفات.

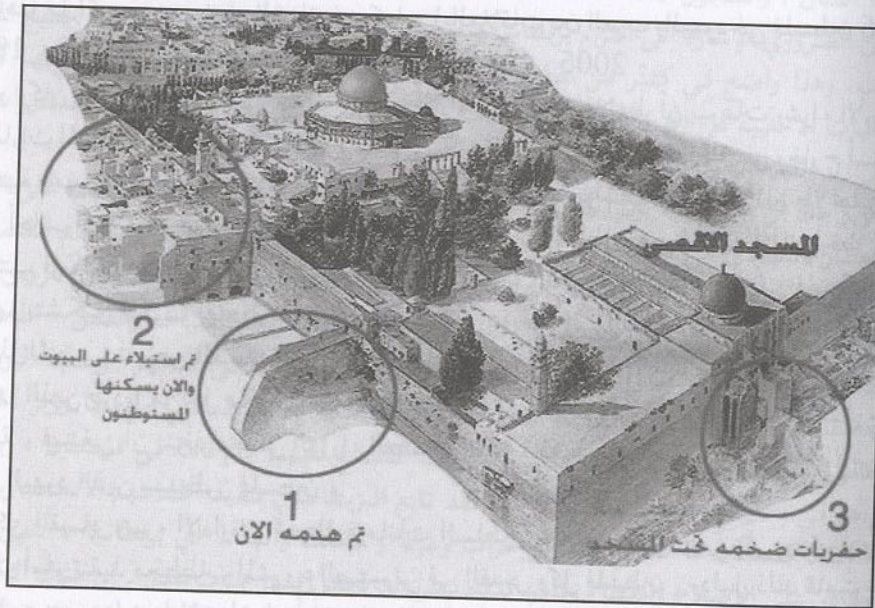
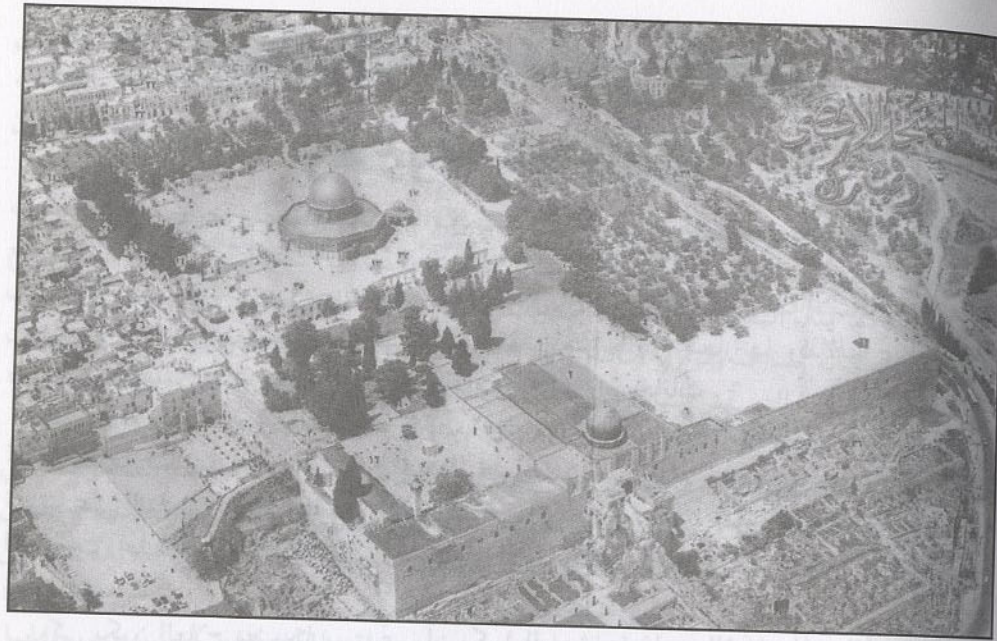
أنها أرض الإسراء والمعراج، وفيها المسجد الأقصى المبارك: أولى القبلتين، وثاني مسجد وضع في الأرض، وثالث المساجد التي تشد إليها الرحال، والصلاة فيه مضاعفة.

المؤمنون من أهلها: مرابطون، وغرباء صالحون مصلحون، ظاهرون على عدوهم وقاهرون.

إنها عقر دار الإسلام عند اشتداد المحن، وانتشار الفتن على مر الزمن.

لا يمكن أن يستمر فيها الظلم أكثر من قرن من الزمان ونهاية الكفر حتماً إلى خسران، وحوادث التاريخ أكبر برهان

والحمد لله رب العالمين



استشراف مستقبل القدس وشروط حمايتها

أ. زهير الدبعي

لا أحد منا لا يتخذ من تحرير القدس شعارا ، بل إن كثيرا من الصراعات الانتخابية الطلابية - وغيرها - استخدم المتصارعون فيها اسم القدس متراسا في شعاراتها وقذائفها وبرامجها واستخدمت القدس بمثابة فرصة لتبادل الاتهامات والخطب والمهرجانات ولو أن الأوطان تتحرر بالشعارات والخطب والمهرجانات الانتخابية ، لكننا قد أحرزنا تحريرا للقدس منذ عقود طويلة لكن ألسنتنا أطول كثيرا من أيدينا ، وقدرتنا على الخطابة تفوق قدرتنا على البناء ، وإمكاناتنا في تأجيح المشاعر وإلهاب العواطف ، تفوق كثيرا قدرتنا على جمع المعلومات وتحليلها والاستفادة منها وخبرتنا في الأداء القبلي العشوائي أرسخ كثيرا من خبرتنا في بناء المؤسسات

وكي يكون العلاج مضمونا يستدعي أن يكون الباحث دقيقا وإلا فإن أنجع الأدوية ، وكل التضحيات والخسائر ، والرهان على التغيير لن تحقق لنا الشفاء من داء الاحتلال وكما يكون تشخيصنا بعيدا عن الارتجالية والعشوائية يتعين علينا الاعتراف بأن المشروع الصهيوني بدأ التركيز على القدس منذ منتصف القرن التاسع عشر

وهذا ما أكدته محمود نهار الشناق في كتابه (العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين 1876-1914) منشورات مطبعة بابل \ حلهول - الطبعة الأولى 2005 :

« وكان لهم أكثر من (50) جمعية لشراء الأراضي ومن الملاحظ أن بيوعات وشراء الأراضي ، والعقارات المختلفة من دور ، ودكاكين ، ومخازن ، ومقاهي ، قد تركزت في القدس وخارج أسوارها ، من جهة باب الخليل ، وفي ضواحيها من قرى (لفتا والمالحة) بواسطة التجار الألمان والإنجليز وتجار يهود أجانب كشركاء » وجاء في نفس المصدر : « أدرك السلطان عبد الحميد الثاني خطر اليهود ، فكتب فرمانات متوالية بخط يده سنة (1308-1891) لكي يمنع استيطانهم في فلسطين خشية قيامهم بتشكيل حكومة يهودية عنصرية في فلسطين ، وبعثه إلى الصدارة العظمى لاتخاذ قرار عام في هذا الموضوع ونص الفرمان الأول الصادر في (21 ذي القعدة 1308-1891) : « بأن قبول اليهود الذين طردوا من كل مكان ، في الدولة العثمانية ، سيؤدي في المستقبل إلى تشكيل حكومة يهودية ، فينبغي أن يتخذ مجلس الوزراء العثماني قرارا قطعيا بخصوص تفاصيل هذا الأمر ، برد جميع اليهود الذين سيدخلون فلسطين »

لكن الفساد وسوء الإدارة ، أحبطا فرمانات السلطان وجعلها مجرد حبر على ورق ، وفتحت الأبواب أمام تنفيذ مخططات المشروع الصهيوني في القدس وكل فلسطين ، ودليل ذلك قامت جمعية (أحباء صهيون) بمحاولات لشراء أراض في فلسطين بعد تمويلها من قبل أحد أثرياء يهود روسيا وعند تفتيشها عن أراضي ، علمت أن الحكومة قد عرضت أراضي لسبع قرى تابعة لقضاء يافا للبيع ، في المزاد العلني ، لعجز أصحابها عن تسديد الضرائب المقتضى تسديدها لخزينة الدولة ، ووافقت الجمعية على شرائها ، خاصة وأن الأراضي قريبة من الساحل ، لكن هذه الصفقة لم تحظ بموافقة والي

القدس (رؤوف باشا) ببيع الأرض وتسجيلها باسم مواطنين أجانب . عندها تدخل نائب القنصل الإنجليزي في يافا الحاخام (حاييم امزليق) وتم شراء الأرض البالغ مساحتها (3340) دونما ، وسجلها باسمه ، على أن يقوم بتحويلها إلى أعضاء الجمعية ، وأسست عليها مستوطنة (ريشون ليتزيون) في آب 1882

ويعطي تقرير محمد آصف قائم مقام يافا إلى متصرف القدس بتاريخ 62\حزيران\3231هجريه ، صورة عن رغبة وحرص عدد من الموظفين العثمانيين تنفيذ تعليمات استنبول بمنع الهجرة ، ومنع بيع الأراضي كما يبين التقرير أيضا فساد بعض الموظفين ، ولجوء الصهاينة إلى حيل كثيرة للالتفاف حول التعليمات ، بمشاركة ومؤازرة قناصل دول أوروبية ، الذين كانوا يتمتعون برزمة من الامتيازات والحقوق الاستثنائية التي تمس سيادة الدولة العثمانية وصلاحياتها وهيبتها وهذا نص التقرير :

« الهجرة الموسوية إلى أرض فلسطين ، عن طريق قضاء يافا ، وإسكان هذا العنصر الأجنبي القادم ، سوف يسبب ويشكل تهديدا إلى الحكومة السنية ، ويعتبر أمرا مهما وخطرا للغاية ، ويدخل كل أسبوع ، بل كل يوم إلى البلاد مئات اليهود الأجانب ، ويجب اتخاذ التدابير اللازمة لمنع مثل هذا الأمر ، وأعرض لكم بعض الأمور المتعلقة باليهود ، وهي :

تاريخ مهاجرة هؤلاء اليهود ، من أي دولة أتوا ، وجنسياتهم والمكان الذي يقيمون فيه ، والحيل التي يستعملونها ، وتدخلات القناصل ، والتدابير التي تستخدمها الدولة ، ولم تستطع بها منع الهجرة ، سوء عمل الموظفين وفسادهم ، تهريب اليهود عن طريق حيفا وبيروت برا ، التدابير المتخذة في هذا الشأن ، والسجون »

ومن الضروري الإشارة إلى التزام بريطانيا بالمشروع الصهيوني فكرة وإجراءات وفي جميع المراحل والمواقف ، وهذا واضح في كثير من المراجع ، ومن بينها ما أورده نائلة الوعري في كتابها (دور القنصليات الأجنبية في الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين 1840-1914) منشورات دار الشروق رام الله - الطبعة العربية الأولى 2007 :

« ويلاحظ أن هناك ظاهرتين أثرتا في تاريخ فلسطين الحديث ، وكانت لهما نتائجهما على الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين ، أولا : نظام الامتيازات الأجنبية ، ثانيا : النظام القنصلي ، أوضحت متصرفية القدس بان القنصل البريطاني العام في القدس رفض أن يكون اليهود الروس الذين لم يتمكنوا من العودة إلى بلادهم بعد أن كانوا زاروا فلسطين بذريعة السياحة والعمل - ظاهريا - تحت دائرة الاختصاص والمسؤولية العثمانية حتى سارعت بريطانيا إلى منحهم الجنسية البريطانية إلى جانب حق حمايتهم ، وقد كانت هذه الحادثة بمثابة مثال للضغط التي مارسها وزير الخارجية البريطاني بالمرستون على الدولة العثمانية ، بهدف السماح لليهود بالإقامة في فلسطين ، وبخاصة الذين هم في إطار الحماية البريطانية - لذا فقد تابع البريطانيون تنفيذ أطماعهم الاستعمارية تحت ذريعة إنقاذ فلسطين مما تعاني منه من خراب وعزلة وتخلف وأنها (أي بريطانيا) تنوي إحلال شعب قادر على الإصلاح والعطاء وقادر كذلك على أن يجعل فيها جنات عدن إن هناك الكثير مما يمكن تناوله حول الدعم البريطاني اللامحدود لليهود في فلسطين ، والذي جاء على خلفية السيطرة الاستعمارية البريطانية لفلسطين خلال القرن التاسع عشر »

ونستخلص مما ورد بأن قدرة الأمة على الدفاع عن وجودها وحماية أبنائها وأرضها ومقدساتها ومقدراتها لا يتحقق بوجود خليفة أو سلطان مؤمن أو تقي فحسب ، وإنما أمة بكل شرائحها وأطباقها

ومواقفها قادرة على الرد ، وبناء مؤسسات حديثة فاعلة نظيفة من الفساد والخلل والانحراف فقد غرس المشروع الصهيوني وجوده في القدس منذ منتصف القرن التاسع عشر ، رغم عدة إجراءات قررها السلطان ، ومنها :

بناء على توجيهات السلطان لإعادة بناء التنظيم الإداري في فلسطين ، بعد أن لمس أن النفوذ الأجنبي فيها أصبح متجذرا ، وخطرا في آن واحد على مستقبلها ... فقد ثبت (متصرفية القدس الشريف) عام 1887 ككيان إداري مستقل عن ولاية سوريا ، شملت جنوب فلسطين ووسطها ... فجاء الإجراء السلطاني هذا لعدة اعتبارات تحقيقا لسياسته من أجل :

أولا : الحد من النفوذ الأجنبي ووقف التدخل المتزايد للدول العظمى في شؤون إقليم فلسطين عن طريق قناصلها

ثانيا : الحد من تزايد دخول يهود أجنبية إلى فلسطين ، الذي كان يتم عن طريق تهجيرهم من أوطانهم ، ومنع دخولهم إلى البلاد وشرائعهم الأراضي

ثالثا : رفع مكانتها وصعودها أكثر كونها تحد مصر جنوبا

ومما يدل أيضا على اهتمام الدولة العثمانية بالقدس أن أول مجلس بلدي أنشئ بعد مجلس بلدي استنبول ، هو مجلس بلدية القدس بفرمان سلطاني عام 1863

تكمين مشكلتنا طيلة قرن ونصف من الغزو والأخطار ، ومن المقاومة ، أننا نتذمر من مواطن الفساد وأسباب الخطر ، فنرفض ونتحرك ، لكن نتيجة مقاومتنا لا تحقق لنا غاياتها أو نصف أو حتى ربع ما نريد ، وإنما يتغير الجلال وتستمر عملية الجلد ، ويتغير السجن ونبقى سجناء ، ويتغير الظالم ونبقى في خانة المظلومين وكأننا وفي كل المراحل ، ومنذ نصف القرن التاسع عشر ، وحتى مطلع القرن العشرين (نهرب من الدلف إلى تحت المزارب) ولدى كل منات الشواهد التي تؤكد أن التغيير لم يكن في كل المراحل إلى الأفضل ، بل إلى الأسوأ رغم تعدد الشعارات ، ورغم دعوات الإصلاح ، ورغم انتشار التعليم المدرسي والجامعي على نطاق واسع

وبعطينا المقدسي واصف جوهري صورة واحدة عن نتائج التغيير والإصلاح ، التي راهن عليه أجدادنا ، وكيف سقطوا ضحايا الخداع ، وذلك في الكتابين الأول والثاني من مذكراته التي نشرتهما مؤسسة الدراسات المقدسية - القدس ، تحرير وتقديم سليم قماري وعصام نصار ، تحت اسم (القدس العثمانية في المذكرات الجوهريّة) في العام 2003 ، و اسم (القدس الانتدابية في المذكرات الجوهريّة) في العام 2005 قال الجوهري في الكتاب الأول :

« عندما كنا تحت ظل الأشجار كانت تمر في الجو فوق رؤوسنا بعض طائرات العدو الإنجليزي وكان ذلك في منتصف سنة 1917 فيقوم العم أبو سليم بثوب النوم ، وكان قصير القامة ، وينادي بأعلى صوته مخاطبا الطائرة فيقول (خلصونا عاد أدخلوا البلاد وخلصونا من استبداد واستعباد الأتراك) . وهذا دليل واضح على رغبة أهالي فلسطين الصادقة في التخلص من بني عثمان ، وما دروا أن بريطانيا خانت العهد وباعت البلاد ، وذلك قبل احتلالها سرا إلى اليهود وكثيرا ما كنت أذكر العم أبو سليم بما كان يعمل ونحن شاطحين من داره ، وذلك بعد الاحتلال البريطاني ، فينكسف ، ويقول (والله يا واصف غشونا ، وجبنا الأقرع ليونسنا كشف قرعته وخوفنا .. فيا جبذا لو بقينا على ديننا العتيق أي الحكم التركي »

وقال الجوهري في الكتاب الثاني من مذكراته : « تبدلت أفراننا بمناسبة الاحتلال البريطاني من نير الاحتلال الظالمين ... تبدلت بالأتراح عندما لمسنا نوايا بريطانيا السيئة اتجاه البلاد وأهلها ،

ونشرت على الملأ بلا خوف ولا وجل وعد بلفور المشنوم ... وكانت الفاتحة تعيين أول مندوب سامي لفلسطين يهوديا ، بل من أقطاب الصهاينة العالميين أذكر أنني أطلعت صدفة على جريدة الكرمل ، التي كانت تصدر بعد الاحتلال في حيفا وإذ كان مكتوبا بها هذه الأبيات :

طلع ما أصعب نصه تلغراف سان ريمو
وللي يقول لك ما بيخصه ربنا لا يعينه

وفي الحال ، وبصفتي فنانا تجلت الفكرة في مخيلتي ، فألفت بعض الأبيات بالإضافة إلى الترديدة المذكورة أعلاه ، وكانت تطابق لحن طلعت يا محلى نورها شمس الشموسة ، من تلحين المرحوم سيد درويش ، فقلت :

طلع ياما أصعب تلغراف سان ريمو
ما قريتش يا خويا أخيرا في جريدة الكرمل
ومن في الدنيا ما سمعشي دلال بيدل
لا تقول مسيحي ومسلم ما دام باعونا
كلمة (شالوم) يا خويا راح يجبرونا
بدال عن اسم أنور وجمال حكمونا
يا خسارة عليك يا وطننا راحت رجالنا
ومن المدهش أن يراهن بعض أبناء امتنا في فلسطين ، وغيرها من أقطار وطن العرب ، على المستعمرين أنسفهم بدعوى أنهم من دعاة الديمقراطية وحقوق الإنسان وحرصين على حق الفلسطينيين والعراقيين في الحرية والعدل وهذا ناجم عن جهل كثير من قادة الرأي العام ، ومن بينهم المشتغلين بالسياسة على تنوع أطرافهم وتياراتهم ومواقفهم وهذا يبرهن أن الفصاحة والبلاغة وفروسية المنابر ، وأضواء الفضائيات ، لا تغني عن دراسة التاريخ دراسة عميقة دقيقة وعدم الاكتفاء باستعراض مشاهد من التاريخ بصورة عاطفية ، وبأسلوب شركات الدعاية والتسويق ، وليس بمسؤولية دارسي التاريخ ، والمدركين لأهمية حماية ذاكرة الأمة والوطن

وأورد عارف العارف في كتابه (المفصل في تاريخ القدس) منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت الطبعة الرابعة 2007 أورد العارف ما يؤكد تركيز المشروع الصهيوني على التعليم في القدس حيث بلغ عدد مدارسهم في العام 1947 (99) مدرسة ، فيما بلغت مدارس العرب (56) مدرسة فضلا عن الجامعة العبرية التي اشترى الصهاينة الأرض التي أقيمت عليها عام 1913 ، ووضعوا حجر الأساس في العام 1918 ، واحتفلوا بتدشينها في العام 1925 .

وعمل المشروع الصهيوني على إقامة المشاريع النوعية المواكبة للتكتيف الاستيطاني في القدس ، ومن هذه المشاريع النوعية تأسيس مستشفى هداسا في العام 1932 ، وشبكة واسعة من المدارس بالإضافة إلى الجامعة العبرية ولم تتوقف أطماع المشروع الصهيوني بتواجدهم المتصاعد كما ونوعا في القدس بحيث أصبح عددهم في العام 7491 (004،99) فيما كان عدد العرب (65،100) وإنما لكل مقدمة نتيجة ، وليس للاستيطان نتيجة سوى اقتلاع العرب وتهجيرهم ، وهذه هي السياسة المركزية للمشروع الصهيوني على تنوع الحكومات والقادة والشعارات والمراحل

وتعطينا كثير من المصادر والمراجع ما يؤكد إصرار قادة المشروع الصهيوني على اقتلاع وطرد العرب من القدس كلها ، وكذلك من (38) قرية قضاء القدس ومن هذه المراجع كتاب (القدس

1948\الأحياء العربية ومصيرها في حرب 1948 (تحرير سليم تماري \ منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية \ بيروت) وهذه اقتباسات من الكتاب :

« بدأت قوات الاحتلال ، قبل مجزرة دير ياسين تنفيذ خطط لتهجير المواطنين اقتلاعهم من بيوتهم في معظم أحياء القدس ، وكذلك في القرى المجاورة لهذه الأحياء ، ومنها قرية لفتا وفي تقرير للاستخبارات البريطانية :

« بعد يوم من القنص العربي في 11\كانون الثاني 1948 ، تولت الهاجاناة ، معالجة الأمر ونسفت منزل الحاج سليمان الاهمني ، مختار قرية لفتا ، وأعقب ذلك غارة في 13\كانون الثاني ألحقت أضرارا بنحو 20 منزلا ، وتم إخلاء ضاحية بدر ، بعد أن تلقى السكان أمرا من الهاجاناة بالمغادرة ، وفي 16\كانون الثاني نهب جمهور يهودي منازلها واشتملت حملة التفجيرات التي قامت بها الهاجاناة على تفجير مروع لفندق سميرا ميس في القطمون في 4\كانون الثاني 1948 وهو ما أدى إلى مقتل (26) مدنيا ، وكان معظم القتلى من أفراد عائلتين عربيتين من عائلات القدس ، ودبلوماسي إسباني »

حاولت الهاجاناة (العصابة المسلحة الرئيسية التي شكلت فيما بعد العمود الفقري للجيش الإسرائيلي) في البداية الضغط على العرب لإخلاء هذه المناطق باستخدام الحرب النفسية ، فوجه أعضاؤها إلى قادة الأحياء العربية تهديدات بواسطة ملصقات ورسائل ومكالمات هاتفية ثم ، ومن أجل خلق جو عام من عدم الأمان ، تسللت مجموعات من الهاجاناة إلى الأحياء لقطع أسلاك الهاتف والكهرباء ، وإلقاء قنابل يدوية ، وإطلاق النار في الهواء . بالإضافة إلى ذلك نسفت مبان بحجة أنها تستخدم قواعد لأنشطة عسكرية عربية . ونفذت قوات الاحتلال خططها لتهجير أهالي القدس من جميع الأحياء التي استولت عليها وتبلغ ثمانية أتساع القدس ، وبقي في الأحياء المحتلة من القدس (750) فردا منهم 550 يونانيا ، وشكل الباقون وهم 200 مواطن ، أي أقل من نصف في المائة من السكان العرب الفلسطينيين الأصليين في ذلك القسم المحتل من المدينة في العام 1948. واعتبرت قوات الاحتلال آلاف البيوت التي استولت عليها بما فيها من متاع ومقتنيات (أملاك غائبين) ومنعت أصحابها من العودة إليها ، ومنهم ، عائلتا شكري أمين النمري ويوسف رشيد النمري من البقاء في حي النمامرة بالالتجاء إلى الكنيسة الألمانية . وبعد الحرب حاولتا العودة إلى منزلتهما ، لكن السلطات العسكرية الإسرائيلية منعهما بإعلان المنزلين أملاك (غائبين)

ولأننا لم ندرس الهزيمة دراسة الباحث عن الحقيقة ، فإن الاحتلال تمكن من احتلال التسع الأخير من القدس في حزيران 1967 ، التي احتل ثمانية أتساعها في العام 1948 لتقع البلدة القديمة ، بما في ذلك المسجد الأقصى المبارك وكنيسة القيامة في قبضة الاحتلال بعد (780) عاما من تحريرها بقيادة صلاح الدين الأيوبي

ولم يتوقف الاحتلال عن تنفيذ مخططاته لطمس كل المعالم العربية في القدس والتضييق على أهلها بكل أساليب الإرهاب والتضييق . ويزودنا الباحث نظمي الجمعية بصورة دقيقة لخطوات الاحتلال الأولى في حزيران 1967 في تهجير المواطنين العرب وتوطين الصهاينة مكانهم ، والتضييق على المقدسين ، بمئات أساليب الضغط والتطفيش الشيطانية الإرهابية ، وطمس كل المعالم العربية في فلسطين ، والتعتيم على روحها وصولا إلى صهينتها ، وذلك في مقال له في (حوليات القدس) رقم (1) :

« يبدو أن التخطيط للسيطرة على البلدة القديمة قد سبق احتلالها بفترة طويلة وقد تجاهلت

القيادة الإسرائيلية مطلب الحاخامين ، وخاصة الحاخام غورين (حاخام الجيش الإسرائيلي عام 1967) بهدم قبة الصخرة والمسجد الأقصى المبارك لإنشاء هيكل ثالث . وبهذا أرسلت الجرافات مباشرة إلى حي المغاربة ، ولم تمض ثلاثة أيام على احتلال القدس ، إلا وقد انتهى مسح وجود هذه الحارة التاريخية التي أنشئت في الفترة الأيوبية . بعد أن أعطي سكانها مهلة ثلاث ساعات لإخلائها بلغ عدد العائلات التي شردت من الحارة 135 عائلة ، وكان من بين الضحايا عدد من المباني التاريخية ، منها مسجد البراق ، والمدرسة الأفضلية ، بالإضافة إلى تراث مغربي أندلسي راقفناه في هذه المدينة مدة 900 عام

إخلاء حارة اليهود : امتلك اليهود ما نسبته 15% تقريبا من مساحة حارة اليهود أي 105 بنايات من مجموع 700 بناية ، وشكلت الملكيات اليهودية عام 1948 ما نسبته 0,6% من مجموع مساحة البلدة القديمة . في حين بلغت الملكيات اليهودية حتى عام 1948 ما نسبته 13% من مجموع مساحة القدس بشرقها وغربها (خارج الأسوار)

في نيسان\أبريل 1968 قامت إسرائيل بمصادرة 30 هكتارا لإعادة إعمار حارة اليهود . وكان عدد الفلسطينيين القاطنين في ذلك الجزء من المدينة (الذي تجاوز بمساحته مفهوم حارة اليهود ما قبل 1948) حوالي 550 نسمة ، غالبيتهم من الذين سكنوا الحارة قبل عام 1948 . وقد تمت المصادرة بناء على القانون الانتدابي (1943) وذلك بهدف المنفعة العامة ، كذلك استخدم قانون أملاك الغائبين ، وبهذا تمت مصادرة كل الأملاك سواء كانت عربية أم يهودية ، تلك التي سكنت من قبل اليهود أو العرب ، مستأجرين كانوا أم ملاكا ، عربية أم يهودية ، سواء كانوا مقيمين أم غائبين ، لاجئين أم دائمين . وقد اقترحت إسرائيل تعويضا قدره 500-3000 دولار للملكية الواحدة ومع حلول عام 1975 تم إسكان ما مجموعه حوالي 1500 نسمة يهودية تقريبا ، فيما أصبح يسمى ب « حارة اليهود »

تبلغ مساحة حارة اليهود اليوم 4 أضعاف حجمها عام 1948 (حوالي 17% من مجموع البلدة القديمة) لقد تمخضت هذه المرحلة عن وجود حارة عنصرية تخلو من غير اليهود ، وذلك بموجب قرار محكمة العدل الإسرائيلية العليا الذي يمنح سكنى غير اليهود في حارة اليهود ، وذلك طبعا بهدف « التعايش المشترك والسلام الداخلي في المدينة » . لقد بدأت أعمال الترميم وإعادة البناء وتأهيل الحارة مباشرة بعد ترحيل أهلها . وتم تبليط الشوارع والساحات العامة ببلاط حجري بعد إرساء بنية تحتية عنصرية شاملة . ثم قامت شركة تطوير حارة اليهود بتدعيم وترميم المباني القائمة ، خاصة تلك التي تعود ملكيتها لليهود وإزالة المباني الأخرى ، خاصة التي تعود في ملكيتها للعرب ، وتصميم مبان حديثة بديلة لتلك التي أزيلت ، وبناء ساحات عامة جديدة ، وبناء مواقف للسيارات خصيصا لحارة اليهود ، وانتهاء بتصميم حديث لشارع والفوانيس . كما شمل المشروع فتح فرع للبريد ، وفروع للبنوك ، ومركز للشرطة ، وحوانيت استهلاكية ، ومكتبات عامة ، ومتاحف ، ومحلات سياحية ، وقاعات للاحتفالات والاجتماعات ، ومؤسسات دينية (مدارس وكنس لمختلف الطوائف) .

لقد كان الهدف إسكان 650 عائلة في 650 وحدة سكنية على مساحة تقارب 300 دونم لا يخفى على أحد أن منحى الوجود الصهيوني في فلسطين في صعود مستمر ، منذ منتصف القرن التاسع عشر . ولأنه حقق سيطرة على معظم أراضي فلسطين وجميع مقدراتها ، بما في ذلك المياه ، وحركة الناس ، والحدود ، وأقام المؤسسات التعليمية والبحثية والإعلامية ، وفرض سيطرة متنامية على فلسطين ، وبدرجات متفاوتة على عدد كبير من لأقطار العربية . ووصلت ذروة المشروع

الصهيوني بنا وطننا وبشرنا ومقدسات ، في مدينة القدس وما زال الاحتلال مستمرا في ترجمة قاعدته الأساسية المنهجية (أرض أكثر وعرب أقل) وقد حقق نجاحات في معظم ألوية فلسطين ، والمطلع على غزو الأوروبيين للعالم الجديد ، وما فرضوه على أهلهم من إبادة بالرصاص والثلج والجدي والحصار ، ويقاعدة (فرق تسد) ، ومن استخدامهم لمئات الاتفاقيات مع أمم الهندو الحمر كإجراء آني مرحلي مؤقت وبنية الغش والخداع والتراجع عن كل الاتفاقيات وانتهاكها وما صاحبها من عمليات تشويه خطير بصورة ضحاياهم الذين تمت إبادتهم ليتحولوا إلى أقلية محاصرة في محتشدات منفصلة معزولة.

لم ولن يتراجع المشروع الصهيوني عن طبيعته الأساسية وهي (الاستيطان والتهجير) وبخاصة في القدس وإذا لم ندرك هذه الحقيقة فإن علاقة الوجود فيما تبقى من الأحياء العربية في القدس ، مع أحياء المستوطنين ستصبح بعد عقود قليلة كعلاقة يافا مع تل أبيب مستوطنة تل أبيب التي أنشئت على صورة سقائف على الرمال الشمالية لمدينة يافا عام 1908 بدأت في التوسع والانتشار حتى ابتلعت يافا في العام 1948 بعد تهجير أهلها بقذائف الهاون والرصاص في البر والبحر إن مصير الشعوب ومستقبل الأمم لا تحدده مستندات ملكية الأرض ، ولا مبادئ الحق والعدل والمنطق ، وإنما قدرة الأمة على الدفاع المشروع عن وجودها ، ليس فقط من الاقتلاع والطرده والتهجير والتشتيت فحسب ، وإنما من الإبادة والفناء وهي إبادة للهوية والوجود المعنوي والذاكرة وعلينا متابعة التغيرات الجدية في المجتمع الإسرائيلي وجنوحه نحو مزيد من العنصرية والدموية والروح العدائية ، مع نفوذ هائل لأحزاب متدينين يؤمنون بأساطير وخرافات ، ويعملون بصورة مؤسسية للاستيلاء على المسجد الأقصى المبارك تمهيدا لهدمه بدعوى إعادة بناء الهيكل الثالث المزعوم ويزيد الصورة خطورة وجود ملايين من الصهاينة غير اليهود في الولايات المتحدة وبريطانيا واستراليا ، ودول أوروبية أخرى ، يؤمنون بضرورة هدم المسجد الأقصى لإعادة بناء الهيكل المزعوم ، لينزل المسيح ويقود معركة ، في شمال جنين ، يطلق عليها (هار مجدودن) تكون نتيجتها إبادة كل أعداء اليهود ، وتستمر عملية دفن الجثث (7) أشهر

الخطر الجدي لأن هؤلاء الغلاة الإرهابيون أصبح لهم في أمريكا منذ الربع الأخير في القرن العشرين ، مئات من المدارس والكلليات والإذاعات ومحطات التلفزيون بل أصبح لهم نفوذ كبير جدا ومتعاطف في كل وسائل الإعلام ومؤسسات التعليم وفي الكونجرس والبيت الأبيض مما يستدعي إعادة النظر في كل أساليبنا وفي خطابنا ، وإخضاع أدائنا لمراجعة جدية وعميقة ودقيقة ، وذلك كي نعترف بما يلي :

ما كان المشروع الصهيوني ليتمكن من إقامة رأس جسر له في فلسطين وتطوير وجوده لولا إصابة الأمة بمرضين قاتلين هما : الانقسام ، والتخلف إن أداننا منذ هزيمة العام 1948 وهزيمة العام 1967 أسهم بصورة أو بأخرى في تغذية السببين المنتجين للهزيمة ، وهما الانقسام والتخلف

أدأونا لا يتعدى مستوى محاولة عرقلة المؤسسة الصهيونية ، ولم يصل في أي مرحلة إلى مستوى الرد الفعال القوي المؤثر ، وبخاصة في القدس وبالتالي فإن استمرار هذا المستوى ، وهذه النوعية من الأداء يعني هدم المسجد الأقصى تدريجيا وإن ردود الفعل العاطفية الارتجالية التي تعودنا عليها سوف تخدم الاحتلال نفسه ، وقد استخدمها لتهجير أعداد كبيرة خارج فلسطين خطر التهجير ما زال قائما ، وإن نفوذ ومكانة وشعبية الذين يجهرن ببرامجهم بتهجيرنا ليس

فقط من الضفة والقطاع ، وإنما أيضا من الساحل والنقب والجليل ، أصبح منحى نفوذهم في صعود مستمر ولم تعد برامج وخطط التهجير في الكواليس ، وإنما أصبحت معروفة ومألوفة وتنتشر تفاصيلها في الصحف ووسائل الإعلام لكن هناك تهجير يومي في القدس ، وكل الضفة والقطاع ليس بأسلوب الرصاص والمجازر ، وإنما بالحصار والتمييز والضغط والخنق بكل الأساليب ، بما في ذلك جدار الضم العنصري ، ومصادرة الأراضي ، وسحب الهويات من المقدسين ، وهدم المنازل بحجة عدم الترخيص ، وبالمخدرات ، وعرقلة الحياة اليومية ، مما يؤدي إلى مزيد من القلق والتوتر ، وكذلك ارتفاع معدلات البطالة

هذا الهجوم الواسع علينا بعامه ، وعلى القدس بخاصة ، يدفع ثلاث فئات إلى الهجرة الدائمة أو المؤقتة التي غالبا ما تكون مقدمة للهجرة الدائمة ، وهذه الفئات هي :

- المتعلمون
- الشباب
- أصحاب رؤوس الأموال

وماذا يبقى للوطن بعد تهجير هذه الفئات الثلاث ؟ هل نستطيع أن ندافع عن ما تبقى من وجودنا بالأُميين المقنعين ، وبالبطالة المقنعة ، وبالمقاعدين ؟

طالما أن القدس معزولة عن محيطها وأهلها ، ولا يستطيع الناس الوصول إليها لأداء الصلاة ، وطالما أننا وطننا وأمة نعاني من الانقسام ، ومن سياسة المحاور المتصارعة ، وطالما يستغول الاحتلال ونتجه المجتمع الإسرائيلي نحو مزيد من العنصرية والدموية والتوسع ، فإن النتيجة معروفة وهي الاستيلاء على المسجد الأقصى تمهيدا لهدمه استعدادا لإقامة الهيكل الثالث المزعوم وإذا رافق ذلك احتجاجات غاضبة عاصفة وفوضى شاسعة النطاق في عدد من الأقطار العربية فإنها ربما ستكون فرصة للاحتلال لتحقيق مزيد من الإغيااء وعدم الاستقرار في عدة أقطار عربية ، أو خلق أخطار جديدة للحكام ليصبحوا أكثر ارتباكا وضعفا

علينا الاعتراف بحقيقة أن الاحتلال أصبح أقرب ما يكون من تحقيق إستراتيجيته في تهجيرنا وتشديد قبضته على القدس وهدم المسجد الأقصى المبارك وجاء في كتاب (المسيحية والتوراة \ بحث في الجذور الدينية لصراع الشرق الأوسط) لشفيق مقار \ منشورات رياض الريس للكتب والنشر \ لندن - الطبعة الأولى 1992 :

« قال بوبي براون مستوطن جاء من نيويورك : « إن كان هدم المسجد لبناء الهيكل مكانه سيشتعل نيران حرب كبرى ، فليكن في البداية ، عندما جئنا إلى هنا واستخدمنا تكتيكات حرب العصابات في أخذ الأراضي من العرب وبناء مستوطناتنا عليها كان الأمر مثيرا لكننا الآن نشعر بالملل فنحن مسلحون تسليحا كاملا ونشعر أن وجود مسجد في وسطنا وصمة عار لأرضنا ، فالمرء لا يرى صورة ليروشلايم إلا ويرى فيها ذلك المسجد ! ولذا يجب أن يزال وسوف نبني هيكلنا الثالث مكانه في يوم من الأيام ونحن يجب أن نفعل ذلك لنجعل العرب يرون ، لنجعل العام كله يرى أننا أصحاب السيادة على يروشلايم ، وأصحاب السيادة على كل أرض إسرائيل »

وجاء في نفس الكتاب : « وفي سنة 1989 نشرت مجلة التايم الأمريكية تحقيقا ، تحت عنوان « هل آن أوان بناء هيكل جديد ؟ » وكما جاء في المقدمة ، كان لؤم العنوان باعثا على الغيظ فتحت التساؤل « هل آن الأوان ؟ » ، وضعت المجلة عنوانا فرعيا بلغة الكلام المزدوج التي يجيدها

كتبة الإعلام « العالمي » قالت كلماته : إن اليهود التقليديين (المتدينين الطيبين) يأملون (بدلا من يخططون) في تشييد بناءهم المقدس (ومن ذا الذي يعترض على تشييد بناء مقدس ؟) لكن مسجدا وقرونا من العداة تقف في طريقهم (لكن «المحمديين» بمسجدهم وعدائهم الديني الضارب في القدم يقفون في طريق اليهود المساكين ويحرمونهم من تشييد بنائهم المقدس »
في أفضل الأحوال ، وأجمل الأحلام سيكون مصير المسجد الأقصى كالمسجد الإبراهيمي في الخليل ، الذي بدأ الاحتلال يسيطر عليه تدريجيا ، ويحقق في كل مرحلة وبعد كل حادث تحكما إضافيا وقضيا إضافيا لأرواقته

وزرت قبل أقل من عامين المسجد الإبراهيمي ، فكانت الصورة مذهلة ومرعبة : يفرض على كل المصلين اجتياز (3) حواجز تفتيش عسكرية قبل دخول المسجد يستولي الاحتلال على نصف أروقة المسجد ويمنع المسلمين من الوصول إليها في أي حال من الأحوال

على مؤذن المسجد أن ينتظر وقوفا أمام باب مغلق قبل كل أذان حتى يصل الضابط ، ويفتح الباب للمؤذن ليرفع الأذان ، وعلى المؤذن مغادرة المكان بعد رفع الأذان - وقرأت كثيرا من تقارير رئيس سدنة المسجد في ملف بمديرية أوقاف الخليل التي تؤكد أن الأذان لم يرفع في بعض الشهور بسبب أن الضابط لم يفتح الباب وبالتالي لم يتمكن المؤذن من رفع الأذان
يدخل ضابط بعد صلاة العشاء إلى المسجد بما في ذلك الجدار القبلي والمنبر والمحراب بدعوى تفتيش المسجد ، ويغلق المسجد ويحتفظ بالمفتاح
على الإمام والمصلين الانتظار فجرا حتى يأتي ضابط بمفتاح المسجد كي يتمكن الناس من الصلاة

وتحقق للاحتلال من خلال هذه السيطرة التامة على ما تبقى من المسجد الإبراهيمي في الخليل بعد المجزرة التي نفذها مستوطن خلال صلاة الفجر في المسجد في العام 3991، قتل خلالها عشرات المصلين

علينا أن لا نتهرب من الحقيقة المرة السوداء البالغة الخطورة بأن خطط الاحتلال على المسجد الأقصى أشد خطورة من المسجد الإبراهيمي في الخليل بدعوى وجود الهيكل المزعوم تحت المسجد الأقصى المبارك ورغم خطورة الأوضاع الحالية ، وما يحاك ضد وجودنا بشرا ووطننا ومقدسات ، إلا أننا نملك قوة جديرة أن نحمد الله عليها ، وهي وجود (4،7) مليون عربي في فلسطين ، وطائفتنا وذهنيتنا ومن تعريفنا للنضال والعمل الوطني ، ومن قراءتنا لديتنا ، ومعايير التدين ، التي لا تعبر إلا عن جزئيات محدودة ، بينما نغفل ما في الدين من طاقات هائلة قادرة على منحنا مزيدا من الوحدة والقوة والجهد المؤسسي

وبكلمات واضحة راسخة لا تقبل الضبابية والمواربة والتردد والتأويل ، علينا (فك الارتباط) مع الاحتلال ، لأن أداءنا السيئ والعسكرة واللاعقلانية والقبلية والفساد ، بمثابة روافد للاحتلال تغذيه وتقويه ، ولأن الانقسام وعبادة الكراسي بمثابة تواطؤ مع الاحتلال ، الذي يستمر في تهديد القدس واستهداف وجودنا المادي والمعنوي في القدس ، وفي فلسطين كلها

الاحتلال ليس قدرا لا نستطيع مقاومته ، وهو عنيف ومتوحش ، لكنه يعاني من نقاط ضعف ، وهذا واجبنا أن نسلط عليها الضوء ، لنضغط عليه ضغطا متواصلا متصاعدا ، حتى نحقق الأمن

والحرية والعدل والسلام على أرضنا لنا ولأولادنا وأجيالنا القادمة
والقدس مع كل مكانتها السامية والمقدسة والجليلة لدى أكثر من مليار مؤمن في هذا الكوكب ، ومع مركزيتها في ذاكرتنا الدينية والتاريخية والقومية والوطنية ، فإنها مدينة ، والمدن لها كثير من صفات الكائنات الحية ، التي تولد وتنمو وتتطور وتتألم وتبتسم وتتجهم وتذبل وتذوي وتتغير طبيعتها وهذه القسطنطينية عاصمة الدولة الرومية لأكثر من ألف عام ، تحولت طبيعتها وهويتها في عام 1453 على يد السلطان محمد الفاتح لتصبح عاصمة للدولة العثمانية ومركزا للخليفة وهذه أيضا غرناطة إحدى أبرز وأعظم حواضر العرب والمسلمين ، استولى عليها فرناندو وإيزابيلا في العام 1492 ، ليمسح وجودنا هناك ، إلى آثار تجلب الريح وتستقطب السياح
ورغم شراسة وخطورة تصعيد الاحتلال لهجومه علينا بشرا ووطننا وذاكرتنا ومقدسات ، ورغم إمكاناتنا الحقيقية للرد على هذا العدوان ولجمه ، فإن كثيرا من قادتنا وأمرائنا ، ما زالوا يتمسكون بهوامش القبلية ، وبأولويات وبرامج ، ليس من بينها مصلحة البلاد والعباد ، وفي مقدمتها حقوق أهلنا في القدس ، وفلسطين كلها ، حقوقهم كبشر ومواطنين في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس التي تشكلت القبلية واللاعقلانية والعسكرة والفساد روافد للاحتلال وليس أدل على تمسكنا بهذا الرباعي المدنس ، من اختلافنا حول تحديد موعد مشترك لإطلاق (القدس عاصمة الثقافة العربية) للعام 2009 لذلك حددنا ثلاثة مواعيد ، ولم نتفق على موعد واحد - وأستذكر قول المتنبي :

ما يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت إيلام

«الواقع واستشراف المستقبل في شعر عبد القادر الحسيني وترسله»

د. فيصل حسين طحيمر غوادرة
جامعة القدس المفتوحة / جنين

ثبت الموضوعات

الصفحة	الموضوع
115	الملخص (بالعربية)
115	الملخص (بالإنجليزية)
116	المقدمة
116	التمهيد: حياته وجهاده
118	أدب عبد القادر بين الواقع واستشراف المستقبل
118	أولاً: في شعر عبد القادر الحسيني
131	ثانياً: في ترسل عبد القادر الحسيني
135	الهوامش
135	المصادر والمراجع

الملخص

تناولت في هذا الموضوع حياة عبد القادر الحسيني وأدبه وجهاده، منذ ولادته في القدس نحو عام 1910م، إلى وفاته عام 1948م، وما حدث بين الولادة والوفاة، كانت مسيرة نضال وجهاد للشهيد انتهت بنيله الشهادة، فقد تحدثت عن الواقع الذي عاشه واستشرافه للمستقبل، من خلال ما سطره في شعره وترسله، وذلك تحت عنوانين: أولهما: في شعر عبد القادر الحسيني، وثانيهما: في ترسل عبد القادر الحسيني، وقد استعرضت الواقع المعاش فيهما، كما تناولت الرؤى الاستشرافية لمستقبل الجهاد عند الشاعر، والمستقبل فلسطين من خلال العنوانين نفسيهما. وحرصت على ذكر شعره ورسائله ذات العلاقة بالموضوع، وقد أظهر البحث أن الشاعر قد سجل في أدبه الواقع الفلسطيني الذي عاشه تسجيلاً موضوعياً، وتحدث عن المراحل الحقيقية لحياته الجهادية، وما بثه في شعره وترسله من آلام وآمال، ومن حقائق وتطلعات حول القضية الفلسطينية، وواقع القدس ومستقبلها، وقد أثبت على ذلك شواهد من شعره وترسله، بأسلوب أدبي تميز بالسهولة؛ لأن الشهيد عبد القادر الحسيني أراد أن يتلقى أدبه كل إنسان عربي ومسلم، ويفهم ما يقول ويرمي إليه، بأسلوب أدبي سهل وممتع.

tcartsbA

Addressed this issue in the life of Abdel Kader Hussein, Odba and battle, since his birth in Jerusalem around 1910 to his death in 1948, and what happened between birth and death, the march of struggle and jihad martyr to the richly finished the certificate, spoke of the reality lived and looking to the future, through Strh in his hair and send, under two headings: first: hair Abdel Kader Hussein, second: in sending Abdel Kader Hussein, has been reviewed by the reality, also addressed the forward-looking vision for the future of Jihad when the poet, and the future of Palestine through the headings themselves. , And has said his hair and his relevant, research has shown that the poet has been registered in the Odba Palestinian reality lived by the record objectively, and talked about the stages of his real jihadi and broadcast in his hair and sends the pain and hopes and realities and aspirations of the Palestinian issue and the reality of Jerusalem And its future, has proved that the hair evidence and file, easily distinguished literary style; that the martyr Abdul-Qader Al-Husseini wanted to receive Odba all Arab and Muslim people, and understand what it says is aimed, in a manner that starts easy and fun.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبي الإسلام والجهاد، محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وبعد:

جاء اليهود المغتصبون إلى فلسطين، ومنذ أن حلوا بها والنكبات والمصائب والويلات تلاحق شعبها المنكوب، فظهر منهم المناضلون والمقاتلون والمجاهدون، وكان من أبرزهم لفترة ما قبل النكبة، الشهيد عبد القادر الحسيني، ذلك الشهيد الذي لقي ربه مجاهداً وشهيداً وهو ما زال في ريعان شبابه، ليسطر لنا من حياته نموذجاً فريداً للجهاد والتضحية.

ولربط القول بالعمل، فقد كان للشهيد شعر جاشت به شاعريته، وله رسائل خطها قلمه، وكان أدبه هذا ترجمة حقيقية عن واقعه المعاش، ونظراً لقلّة شعره ورسائله، وللمكانة التي وصل إليها الشهيد بين المجاهدين على ثرى فلسطين؛ أجبته أن أعرف القارئ العزيز بأدب هذا الشاعر الشهيد، فكتبت عنه من زاوية «الواقع واستشراف المستقبل في شعر عبد القادر الحسيني وترسله» وهو عنوان هذا البحث، وقد تحدثت بعد التمهيد عن أدب الشاعر من خلال عنوانين، حمل الأول شعر الشاعر عبد القادر الحسيني، وحمل الثاني ترسل الشاعر عبد القادر الحسيني، ورغم قلّة ما كتب هذا الشاعر الشهيد والأديب المترسل، إلا أن أدبه يحمل في طياته الكثير من المعاني؛ لأن الشهيد عندما كان يكتب شعراً، أو رسالة، فقد كان يسجل واقعه يعيشه ونضاله وجهاده بشكل يومي، فشعره وترسله حملاً لنا واقع هذا الشهيد وحقيقته وحياته، وكان من خلال هذا الواقع ينظر إلى المستقبل بعين ملؤها الأمل بالنصر والتحرير لفلسطين، وكان يأمل أن يتحول مستقبل الجهاد فيها إلى جهاد منظم، يصاحبه الدعم العربي والإسلامي؛ حتى يندحر المحتل الغاصب، وتتحرر القدس وسائر فلسطين.

وقد كانت هذه النظرات تصدر عن إنسان مؤمن بدينه ووطنه وقضيته، ولأنه كان يحمل مشاعر صادقة نحو وطنه وشعبه، حقق الله له ما سعى من أجله؛ بأن كتب الله له الشهادة على ثرى فلسطين الطهور على أبواب القسطل في 8 نيسان/1948م.

ونظراً لندرة الدراسات التي تناولت أدبه شعراً وترسلًا - بل ربما عدمها - فقد جاء بحثي هذا، لعله يسد ثغرة كان يجب أن تسد منذ زمن، ولعله كذلك يفتح الباب نحو مزيد من الدراسات حول أدب هذا الشاعر المجاهد الشهيد.

التمهيد:

حياته وجهاده:

ولد «عبد القادر بن (موسى كاظم) بن سليم الحسيني في القدس عام 1910م (1، ص: 135)، وإن ذكر الزركلي بأن ولادته كانت عام 1908م (3، ص: 84). مع العلم أن تاريخ ولادته في جواز سفره هو عام 1907 (1، ص: 470). تربى في بيت عز وصلاح وتقوى، في بيت من أعرق البيوتات العربية وأقدمها، وقد كان والده موسى كاظم باشا شيخ مجاهدي فلسطين، حيث شغل عدة مناصب في الدولة العثمانية، توفيت أمه «رقية بنت مصطفى هلال الحسيني» بعد عام من ولادته، فكفلته جدته لأمه «نزهة الحسيني» وأشرفت السيدة «ثلجة» على تربيته، وكان لحبه لها ينابيعها بالوالدة (1، ص: 135). تلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة الرشيدية بالقدس، ثم التحق بمدرسة المطران «بيشوب غويباط» الإنجليزية القائمة على جبل صهيون في القدس، وقد زاده جو هذه المدرسة التبشيرية الحقد على المستعمرين وكان يقول: لقد تعلمت في مدرسة صهيون، كيف أبغض الإنجليز، وبعد ثلاث

سنوات قضاها في هذه المدرسة، التحق بكلية (روضة المعارف الوطنية) ليتلقى تعليمه الثانوي في هذه المدرسة، وكانت هذه المدرسة تعتبر مصدر التوجيه الوطني الصحيح للناشئة العربية، وكانت هذه المدرسة التي أسسها الحاج أمين الحسيني سنة 1922م تهدف إلى تخريج الشباب المؤمن المجاهد، ولتقف ضد المدارس الحكومية البريطانية التبشيرية، وكان المجلس الإسلامي الأعلى هو الذي يتعهد هذه الكلية، وكان من مديريها: السادة: نديم الملاح، وخير الدين الزركلي وسامي السراج وغيرهم. (نفسه، ص: 138)

وبعد شهادة الثانوية العامة (المترك)، التحق عبد القادر بالجامعة الأمريكية ببيروت، التي فصلته بعد سنة من دخوله لها بحجة أنه وطني متطرف، رحل بعدها إلى القاهرة ليلتحق فيها بالجامعة الأمريكية قسم الكيمياء وذلك في العام الدراسي 1929/1930م وكان له نشاط طلابي ووطني كبير أثناء دراسته الجامعية، وعندما نودي ليستلم الشهادة عند تخرجه في عام 1932م - حيث نال شهادة البكالوريا في العلوم -، في الحفل السنوي التقليدي للخريجين، والذي شهد كبار الأساتذة والوزراء والعلماء والباشوات مع ألوف من الطلبة والطالبات وعلى رأسها رئيس الجامعة (شارلز واطسون). وبعد أن تسلم شهادته من رئيس الجامعة استأذن من الحضور بإلقاء كلمة فسمح له، فألقى كلمة بين فيها خطر هذه الجامعة التبشيرية، وبأنها بؤرة فساد مقنعة بالعلم، وندد بالسياسة الأمريكية، ثم مزق شهادته أمام الحفل الكبير، ورمى بنتفها أمام رئيس الجامعة وعمدائها قائلاً: هذه شهادتكم فخذوها فإنني لفي غنى عنها، وإنه ليس مما يشرفني أن أحملها أو أن أنتسب إليها، أنا لست بحاجة إلى شهادة من معهدكم الاستعماري التبشيري. عندها قوبل خطابه بعاصفة من التصفيق الحاد، واضطربت الجامعة وقررت سحب الشهادة منه، واتصلت بالصحف للتعتيم على الخبر، ثم وجه عبد القادر رسالة مركزة إلى كل الصحف في القاهرة ليروي ما حدث (نفسه، 139-144) : ومن بين ما وضعه في الرسالة: يقول شارلز واطسون في كتابه «حروب صليبية مسيحية» في مصر: إن للمسلمين طقساً دينياً هو أساس الإسلام، وهذا الطقس هو الحج، ويجب على كل مقتدر أن يؤديه، وهو عبارة عن الذهاب إلى الكعبة، حيث تقام طقوس دينية مخزية، وهذا المكان وكر لصوص، تؤتى به جميع أنواع المخازي الأخلاقية...». وعلى إثر ذلك اتصلت إدارة الجامعة بالإنجليز والأمريكان الذين طلبوا من الحكومة المصرية إخراجهم من مصر، فرحل إلى فلسطين في تموز سنة 1932م.

شغل عبد القادر الحسيني بعد تخرجه عدة وظائف ومناصب، منها عمله محرراً في جريدة الجامعة الإسلامية ببافا، وفي سنة 1934 استلم وظيفة في إدارة تسوية الأراضي، وقد قبل بها من أجل العمل على وقف بيع الأراضي لليهود.

أما تاريخ عبد القادر النضالي فطويل ومتعدد، ولا يكاد القلم يلم بما قام به الشهيد، فمن المظاهرات، إلى إلقاء القنابل، إلى الاغتيالات، إلى نفس القطارات، إلى تكوين خلايا المجاهدين وتدريبهم، إلى الرحيل هنا وهناك، داخل الوطن وخارجه، من أجل جمع المال والسلاح، والحض على الجهاد في فلسطين، إلى كشف المؤامرات وما يحاك لشعب فلسطين. ومنذ اللحظة الأولى التي أعلن فيها الشارة الثورية الأولى ليلة 6/7/1936، حتى استشهاده وهو يواصل الليل بالنهار، مجاهداً بطلاً، وقائداً شجاعاً. (نفسه، ص: 171)

وكان عبد القادر الحسيني قد قاد المجاهدين في ثورة 1936-1939، وكانت تلحق بها فرق الفدائيين، وفرق التدمير والقناصة والمغاوير. (4، ص: 90)

أما معاملة عبد القادر الحسيني للمتطوعين العرب، فقد كان يعاملهم معاملة الضيوف، ويكرمهم،

ويعد لهم يد المساعدة؛ ليجاهدوا معه حسب الخطط المرسومة والمتفق عليها، وكان يرى أن أهل فلسطين أدرى من المتطوعين بالمواضع التي يجب أن تكون فيها قوات المجاهدين؛ ولذا عليهم أن يقبلوا بالأماكن التي يحددها لهم إخوانهم في قيادة الجهاد المقدس، الذي يتزعمه عبد القادر الحسيني. (2، ص: 420)

لقد جرح عبد القادر سنة 1937 ونقل إلى دمشق إلى العلاج، ثم قصد بغداد فدخل الكلية الحربية متعلماً ومتمرنًا، وعمل مدة قصيرة في الجيش العراقي، وأقام 18 شهراً في الحجاز، وفي النهاية استشهد على أبواب القسطل ليلاً عندما كان يحاصرها، وعندما انتصر أتباعه في اليوم التالي، وتمكنوا من رفع العلم العربي في القسطل في الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم 8 نيسان 1948م. لم تكتمل فرحتهم؛ لأنهم وجدوا قائد الجهاد المقدس قد لبى نداء ربه شهيداً. (6، 426)، (3، 48)، (5، ص: 625).

أدب عبد القادر بين الواقع واستشراف المستقبل أولاً: في شعر عبد القادر الحسيني:

قليل من يعرف أن الشهيد عبد القادر الحسيني كان أديباً أو شاعراً، ربما كان ذلك لقلة شعره، وقلة شعره قد تكون نتجت عن عدة أمور، منها أنه ليس لديه الوقت الكافي لنظم الشعر، فحياته كلها جهاد ونضال، وتنقل وسفر وارتحال. ومنها أنه ربما يكون له شعر أكثر من الذي بين أيدينا ولكنه ضاع لعدم تدوينه، أو لفقدانه بسبب وضعه الجهادي، ولكن رغم قلة ما وصل إلى أيدينا، فإنه يدلنا على أن الشهيد - رحمه الله - كان يملك مقدرة شاعرية، وشاعريته هذه امتزجت بسيل جارف من المشاعر الفياضة والمتنوعة، بسبب طبيعة الظروف التي يعيشها الشهيد، وتعيشها فلسطين، وما نتج عنها من الأوضاع الوطنية والجهادية والحربية ضد اليهود المحتلين الغاصبين لفلسطين عامة، ولقدسنا الشريف خاصة.

ونجد الشهيد ورغم ضيق وقته، وحالة الحرب والاستنفار المستمرة التي يحياها، فإننا نجد بين وقت وآخر يتحفظ بما تجود به قريحته وشاعريته، بقصيدة أو أكثر، على أننا نتلمس من خلال أشعاره تلون الأغراض الشعرية التي نظم فيها، وهو وإن كان في جل شعره يتحدث عن الجهاد ومقاومة الأعداء، إلا أننا نجد له في الغزل والمدح والثناء والحنين والوصف.

والشاهد في شعره يتحدث عن واقع معاش له ولأسرته ولشعبه ولوطنه، وهو من خلال هذا الواقع نجد يستشرف بنظرات صائبة إلى المستقبل، ويحاول رسم الطريق لأبناء الجهاد على ثرى فلسطين الطاهر، وكأن شاعرنا يحاول أن يوصل رسالة للأجيال التي ستحمل راية الجهاد من بعده: بأن طريقكم صعب وطويل، ولكن عليكم أن تثبتوا وتقاتلوا بصبر وتضحية وأن يكون حمل السيف من جيل مجاهد إلى جيل آخر حتى تتحرر فلسطين. فمثلاً نجد في قصيدة «ناوليني السيف» (1، 441) يقول:

حدثيني عن بلادي حدثيني
خبريني كيف سادتها عداها
حدثيني عن
حدثيني كيف خلفت رباها
مرتع الأسد وأجدات الجدود
ناوليني السيف

كم سمعنا منك أوصاف الطرّاد
ما لغير المجد أُمّي قد رُيّنا
ناوليني السيف
كيف التذ بنومي أو رقادي
شبت النيران واجتاحت فؤادي
ناوليني السيف
هاتف المجد إلى الحرب دعاني
إن لي زندا شديداً كالجبال
ناوليني السيف
ما خلقنا توأم الفرش الوثير
قد خلقنا وعيننا بالمعالي
ناوليني السيف

ورويانا عنك أخبار الجهاد
قد رضعناه لبانا ورويانا
أُمّي ناوليني
وبلادي قد غدت نهب الأعادي
مذ دعاني هاتف صوب بلادي
أُمّي ناوليني
ما عنى غيري ولكن قد عناني
وأنا الآن جدير بالقتال
أُمّي ناوليني
ما خلقنا حشوة الشوب الحرير
والمعالي نهش أطراف العوالي
أُمّي ناوليني

وعندما نمعن النظر في هذه القصيدة الجهادية التي يوجه الشاعر فيها خطابه إلى أمه، - التي توفيت وهو صغير السن كما أشرنا - وقد أراد من الخطاب كل أم فلسطينية، وحدد الأم بالذات؛ لأن الأم هي نبع التربية والتوجيه، ومن تحت يديها تنشأ الأجيال المجاهدة، ولذلك، كأنه يقول: إن على كل أم فلسطينية أن تربي أبناءها على القتال والجهاد حاضراً ومستقبلاً، حتى تتحرر القدس وسائر الأرض الفلسطينية. ونجد الشاعر يملأ قصيدته بأفعال الأمر (حدثيني، أسمعيني، خبريني، ناوليني، اصدقيني...) مكرراً (حدثيني، وناوليني) عدة مرات في القصيدة، والتكرار كما بينه ابن الأثير بأنه «دلالة اللفظ على المعنى مردداً» (7، ص: 157)، وكأن اللفظ عنده يقدم خدمة جليّة لأداء المعنى ولكن بصورة تكرارية، واختياره لصيغة الأمر، وهي طلب الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء والإلزام وصيغته افعل وتفعّل (9، ص: 42)، (8، ج2، 81)، تظهر بأن الشاعر قد ركز في هذه القصيدة على هذه الصيغة مثل كلمة (حدثيني)؛ لتدل على أنه يطلب الحديث من محدثه أن يحدثه عن الماضي والأجداد والتراث لهذه الأرض المقدسة حيث يقول:

حدثيني عن
مرتع الأسد وأجدات الجدود
بلادي حدثيني
هل غدت موطن أقدام اليهود

وفيه دلالة عن الواقع الذي تعيشه القدس وفلسطين من خلال صيغة الأمر المقرونة بالسؤال فيقول:

خبريني كيف سادتها عداها
أما عن المستقبل الجهادي نجد يدعو إلى حمل السلاح إلى أن تتحرر فلسطين وعاصمتها القدس الشريف، وهذا يتضح من خلال قول الشاعر:
ما عنى غيري ولكن قد عناني
هاتف المجد إلى الحرب دعاني
ومن اللازمة المكررة في القصيدة قوله:
ناوليني السيف
وتكرار هذه اللازمة خمس مرات فيه دلالة استشرافية مستمرة لمستقبل الوضع القائم في القدس

وفلسطين، بأنه لا طريق للتحرير أو الخلاص إلا بالسيف والجهاد والنضال؛ لأن المحتل لا يعرف غير لغة المقاومة والخصائص والقوة، وهذه اللازمة لها أهميتها ودلالاتها، فقد بدأها بفعل الأمر وأنهاها به، والخطاب موجه إلى أمه الفلسطينية والتي تمثل كل أم فلسطينية حتى إنهاء الاحتلال، وفعل الأمر كذلك فيه دلالة القوة والمقاومة المستمرة، أما تحديده لنوع السلاح بالسيف ففيه ربط وتناسل تاريخي مع سلاح المجاهدين الأوائل، وفي هذا تواصل وترابط مع جهاد الأجداد والفتاحين.

وأجد الشاعر يكثر من أسلوب النفي للجملة الفعلية باستخدام أداة النفي (ما)، و(ما) نافية ولها صدر الكلام، وقد تدخل على الأسماء والأفعال (10، ص: 430) ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر: ما لغير المجد أمني قد ربينا، ما عنى غيري، ما خلقنا توأم الفرش الوثير، ما خلقنا حشوة الثوب الحرير، فالشاعر في أسلوب النفي هنا، ينظر بعين الواقع المعاش إلى المستقبل، فهو ينفي أن تكون حياته لغير المجد والجهاد والعلا، وبأن غيره هو المقصود عندما دعا هاتف المجد للعلا والجهاد، والمجاهد يرفض النوم الهانئ على الفراش الوثير الناعم، لأن مكانه في أرض المعركة والقتال.

وقد أكثر الشاعر من استخدام أسلوب الاستفهام، وهذا الأسلوب له حضوره في هذه القصيدة، فالاستفهام هو «استخبار، والاستخبار طلب من المخاطب أن يخبرك» (13، ص: 108)؛ وهو أسلوب «يدمج المتلقي في النص، ولا يسمح له بالحيد، أو المراقبة فقط، بل إنه يشركه في تكوين المعنى» (12، ص: 136) وقد استخدم الشاعر أدوات الاستفهام: (كيف، ما، هل، كم)، وإن كان تركيز الشاعر على أداة الاستفهام (كيف) أكثر، فهو يسأل سؤال الحائر المتعجب: كيف استطاع اليهود المحتلين أن يسودوا على هذه البلاد ويدوسوا الأوطان؟، ثم يتساءل بطريقة الإنكار على نفسه، كيف له أن يلتذ بالنوم أو يستمتع بالسعادة ما دام المحتل موجوداً؟

بهذه المعاني السامية، والألفاظ المختارة، والأساليب المعبرة، سطر الشاعر قصيدته هذه والتي أبان فيها عن حقيقة مشاعره نحو وطنه.

ولنرتحل بعدها إلى قصيدة أخرى ابتدأ عنوانها بفعل أمر، يحمل دعوة الشاعر لابنته هيفاء أن تحفظ دموعها ولا تدعها تنسكب؛ لأن حياة الجهاد تتطلب الصبر على المعاناة، وتحمل الآلام في هذه الأرض المباركة، ونجده يقول في قصيدته هذه التي عنوانها: «صوني دموعك» (1، 442):

رقرق دمعك هز قلبي الباكي
هيفاء لا تبك بحق أبوتي
صوني دموعك إنها من مَهْجتي
إن عادني ترجاج صوتك باكياً
يا أم هيفاء اصبري وتجلدي
الناس تنعم بالرجال بعولة
ما بين آسية الجروح قضيته
ما جئت بيتك غير منتجع شفا
لا تعلمين أميت بدمائيه
أسمى وأثوب دمع عينك سائلاً
قد نلت من شرف الجهاد مراتباً
أعلاك صبرك فوق كل جليلة
سيرى وربك لا يريد بنا أذى
سيرى فقلبي يا وجهه سائر
والله يعلم أن هجرتنا له

كفي البكا نفسي تراق فداك
هيفاء قد هذ البكاء أباك
ذوب الفؤاد ذرفته ببيك
أشفت أن لا أحتيي لأراك
الله والوطن العزيز عناك
وغرقت بين دمائيه وشقاك
عيشاً وبين طريدة لعداك
دامي الجوانب أو معلل شاكي
أم فيه أنفاسُ بهن رجاك
من كل جرح في دمائيه باكي
ما نالها رجل القتال الشاكي
وعلى النجوم يطول أفق سماك
إلا ورب البيت منه حماك
أنى رحلت يطوف حول حماك
والله يرعى ما حييت خطاك

نجد الشاعر في مطلع قصيدته هذه، تهتز لديه عاطفة الأبوة، وتجيش في قلبه مشاعر الرحمة والعطف، فهو أب كأبي أب، وإن فرق الجهاد وقاتل الأعداء بينه وبين أهله وذويه وأحبته، إلا أن ذلك لا يمنع أن تكون عنده مشاعر صادقة، وعاطفة رحيمة، فهي تصدر من قلب رجل مسلم مجاهد، سخر حياته للجهاد وطلب الشهادة. ويعد الأبيات الأربعة الأولى يبدأ عبد القادر الحسيني خطابه إلى زوجته الصابرة المربطة، بأسلوب النداء الذي يحمل معاني التحبب والتعطف والتراحم، مستخدماً أداة النداء (يا) التي هي «أم حروف النداء»، وبها غالب الخطاب القرآني» (11، ص: 249) فيقول:

يا أم هيفاء اصبري وتجلدي
الله والوطن العزيز عناك
فهو بعد البيت الرابع يحاول الشاعر أن يصبر زوجته ويواسيها مبيناً مدى المعاناة والآلام التي تلاقيها من فراق زوجها الذي في كثير من الأحيان لا تعلم أحي هو أم ميت:

لا تعلمين أميت بدمائيه
أم فيه أنفاسُ بهن رجاك
أم هو جريح أو طريد:

ما بين آسية الجروح قضيته
عيشاً وبين طريدة لعداك
ثم نجده يسجل في قصيدته هذه - وخلال الأبيات الموجهة لزوجته - مرتبة الجهاد العالية التي نالها في ميادين الجهاد فيقول:

قد نلت من شرف الجهاد مراتباً
ما نالها رجل القتال الشاكي
ثم يدعوها إلى الصبر:

أعلاك صبرك فوق كل جليلة
وعلى النجوم يطول أفق سماك
ويطلب منها أن تستمر في درب الصبر والمربطة داعياً الله - عز وجل - أن يحفظها:

سيرى وربك لا يريد بنا أذى
إلا ورب البيت منه حماك
ويختم قصيدته معلناً أن هجرته الجهادية هي لله وفي سبيل الله، ومن أجل الله، وأن ما يتعرض له في طريق الجهاد هو من أجل مرضاة الله - عز وجل -

ويكاد أسلوب الأمر يسيطر على هذه القصيدة كذلك، ومثل ذلك: (كفي، اصبري، تجلدي، سيرى) وحاول الشاعر الشهيد من خلاله أن يوازن بين مشاعر الخوف والأمل نحو أهل بيته، وتوصيته لهم بالتجلد بالصبر في مواجهة العدو وجهاده.

إن هذه القصيدة تمثل مسيرة أي أسرة فلسطينية مجاهدة، فالأب ينتقل من مكان إلى مكان، مربطاً ومجاهداً، وأسرته في ترقب وتوجس دائمين، في انتظار ما سيحل برب الأسرة المجاهد، وكان الشاعر الشهيد الحسيني أراد أن يبين لسائر الأسر الفلسطينية، بأنكم مجاهدون ومرابطون، وما عليكم إلا الصبر والتحمل حتى يحين موعد النصر، وطرد المحتل الغاصب، فبمثل هذه الرؤية الاستشراقية سطر الشاعر قصيدته هذه وسائر قصائده.

ثم يلجأ الشاعر إلى قصيدة شعرية أخرى تلبس ثوباً شعرياً مخالفاً لسائر قصائده، وهو أسلوب التجريد والحوار، والذي نلمحه في القصيدة التالية والتي بعنوان (بين فلسطين وفتاها): (1، 443)

لون الزهور القاني
من حمرة الدماء
من أنفاس الأطياب
الطلّ من دموعي
يجري على الورود
ندبا على الشباب
أبكي بنيّ الصيدا
أبكي وما من عار
أبكي ليوث الغاب

فتاها:

لا تحزني بلادي
فالدهر فينا قلب
وجهين للنفاق
إن نابت النوائب
ألفيتنا الأماجد
بالبيض والرقاق
نحميك بالمرهوف
نشقّ هام العادي
لا تدمعي المآقي

فلسطين:

قد دَسّوا ربوعي
إن تطلبوا رضائي
وطهروا أحضاني
بنيّ لا تهونوا
أرضعتكم لباني
فاحموا حمي أوطاني

فتاها:

لبيك لن نهونا
لبيك بالنفوس
بالروح والضلوع
لا عشت يا بلادي
ترتاد في ربوعك

فالشاعر يجعل الحوار بين فلسطين، بل كل فلسطين، أرضاً وشعباً ووطناً، وبين الطرف المقابل للحوار هو شخصية (فتاها) أي فتى فلسطين، وهذه الكلمة وإن عملت فيها الإضافة إلى الضمير التعريف، فإنها لا تنحصر بفتى معين، بل هي تعني كل فتى على ثرى فلسطين، ولا ينحصر ذلك

بزمان معين، بل الزمن فيها مفتوح حتى يزول الاحتلال.

وإذا ما حاولنا التأمل في واقع فلسطين في المقطع الأول من القصيدة الذي ينتهي عند: لا تدمعي المآقي في السطر الثامن عشر، نجد الشاعر يحاول أن يصور فلسطين بصورة الزهور والورود، والطلّ والربيع، يعيش فيها الرجال الصيد والأبطال، ولكن هذه الصورة المشرقة لا يلبث الشاعر حتى يلونها بالألوان الحمراء الممزوجة بالدماء والدموع على الجرحى والشهداء، إنها لوحة دامية باكية دامعة، هذه هي الصورة التي حاولت فلسطين أن تتقدم بها لفتاها الواعد لها بالنصر والتحرير، فذلك يجيء رد الفتى سريعاً، حيث ينهاتها عن الحزن، ويدعوها إلى الصبر مهما عمت المصائب؛ لأن رجال الجهاد الأماجد يصمدون أمام الشدائد، ويدافعون عن وطنهم بحد السيوف التي تشق هام المعتدي، هذه هي صورة فتى فلسطين في اللوحة الأولى في المقطع الأول، صورة الرجل المجاهد المقاوم، وهي تتلاءم مع الصورة الحزنية التي رسمتها فلسطين له، والأسلوب الذي بدأه فتى فلسطين بداية رده كان أسلوب النهي المتبوع بفعل المضارع، الذي يفيد المستقبل والاستمرار، وكأن الشاعر يعاهد فلسطين بأن يبقى وفيها لها، مدافعاً عنها، ما دام المحتل على أرضها، وفي ذلك رسالة لشعب فلسطين وللعالمين العربي والإسلامي، يستشرف الشهيد عبد القادر من خلالها ما سيحدث على أرض فلسطين من جهاد ورباط، كل ذلك بعين بصيرة، ورأي نافذ.

وفي المقطع الثاني والأخير تتحدث فلسطين لفتاها، عما يقوم به المحتل من تدنيس للأرض والمقدسات، واعتداء على الشعب والممتلكات، وتطلب من فتاها أن يسارع لرفع الضيم الذي لحق بها، وتطهيرها من دنس المحتل، والسعي لرفعة مكانتها وعلو منزلتها، فهي الأرض المباركة التي أرضعتهم وربتهم ووهبتهم حنانها، فيرد فتاها عليها بنبرة الواثق بنصر الله، وعزمته الصادقة، فيقول لها:

لبيك لن نهونا
لبيك لن نلينا

وجاء الشاعر بكلمة لبيك، وهي كلمة تناسب في المعنى والدلالة، والموضع، في مكان القصيدة، وهي تعني أن تلبية النداء لفلسطين سيكون سريعاً ودائماً وفي كل زمان ومكان معلناً:

لا عشت يا بلادي
ترتاد في ربوعك
إن عاشت الأعادي
أقلّ من دموعك

وفي الرد الحوار الأول عن (فتاها) «لا تحزني بلادي» يتناوب الخطاب بين النهي، وبين الشرط كما في قوله «إن نابت النوائب... ألفتنا»، وهذا التناوب فيه اتساق في دلالة الألفاظ (بين لا تحزني، والنوائب)، وما جاء بعدهما من دعوة للصبر، والتعهد بالحماية بالسيوف وجهاد الأعادي. وكذلك الأمر في الرد الحوار الثاني من (فلسطين) جاء الشرط «إن تطلبوا رضائي...» والنهي «لا تهونوا»، وفيهما تناسق دلالي حيث طلب الرضا يحتاج إلى سعي نحو العلا، وعدم التهاون يحتاج إلى الصمود في وجه العدا، ويلتقي كلاهما في أن الجهاد والصمود هو سعي للعلا وفيه إرضاء لفلسطين أرضاً ووطناً وشعباً.

وفي قصيدته (الطود الأشم) يقول: (1، ص: 444)

ما أفتّر الخطي الجلل
سود الوقائع ألفتي
ما كنت أجهل مرّها
إني الصبور على البلى
عزّمي ولا همي ثلم
عودتها بعد النعم
حتى يعاودني الندم
وكأنني الطود الأشم

هوج الرياح تحطمت

والطود ثابت لم يضم

تزداد نفسي منعة

ما حل خطب وادلهم

يبلى الجديدان ولا

تبلى العزائم والهمم

نجد الشاعر الشهيد في هذه القصيدة يظهر عزمه وإصراره على الاستمرار في المقاومة والجهاد، حاضراً ومستقبلاً، وبأن المصائب والصعاب مهما عظمت ستجده ثابتاً بعزم لا يلين، فلذا يقول:

ما أفتخر الخطب الجلل

عزمني ولا همي ثلم

ويصور صبر نفسه على المصائب والشدائد كالجبل الأشم، الذي يصمد أمام عاتيات الدهر، فمهما تعاظمت هوج الرياح فلن تنال منه.

بل نجده يقرر بأن نفسه تزداد متعة وقوة كلما حل به خطب كقوله:

تزداد نفسي متعة

ما حل خطب وادلهم

وعزمه هذا وقوته وهيمته العالية ستستمر أبد الدهر حتى ولو زال الليل والنهار سيبقى على ثباته وعزمه وإصراره في مقاومة المحتل والقضاء عليه حيث يقول:

يبلى الجديدان ولا

تبلى العزائم والهمم

لقد استخدم الشاعر في هذه القصيدة الأسلوب الخيري، وهو يعد «الجانب الوصفي أو التقريري من وظيفة اللغة» (9، 30)، وأسلوب الخبر في هذه القصيدة وإن تنوعت المعاني التي خرج إليها الخبر، إلا أنها في مجملها تشير إلى حقيقة أراد الشاعر إقرارها في نفس الشعب الفلسطيني وواقعه، حاضره ومستقبله، وهي أن اليهود بجبروتهم وطغيانهم، ومهما عظم خطبهم، سيواجهون طوداً أشماً، راسخاً كالجبال، لا تؤثر فيه سود الوقائع، ولا هوج الرياح، بل سيبقى أبد الدهر شعاره:

يبلى الجديدان ولا

تبلى العزائم والهمم

بهذا النفس القتالي، وبهذه الروح الجهادية، يسطر لنا الشاعر المجاهد عبد القادر الحسيني هذه القصائد الجهادية؛ لتكون مثل هذه الأشعار وقوداً يساعد في استمرار اشتعال جذوة الجهاد والقتال حتى إنهاء المحتل، وطرده من ثرى فلسطين المبارك.

ولا ينسى الشاعر أبناءه من وصية تعد من الوصايا الخالدة؛ لكرم المعاني التي احتوت عليها، ولصدق المشاعر التي اشتملت عليها؛ ولأنها تصلح لسائر أبناء فلسطين والعالم العربي والإسلامي، بل سائر أبناء البشرية، فالشاعر أجده قد وفق في اختيار معجمه اللفظي لهذه القصيدة، وفي اختيار المعاني التي تتناسب مع ما اختاره من ألفاظ دالة ومعبرة، وقصيدته هذه عنوانها (نصيحة والد) والتي جاء فيها: (1، 444)

بنّي خذوا مني نصيحة والد

عركت نواحي الدهر والدهر قلب

كما الدهر عبد للجلود فإنه

وإن جمع الويلات بالحزم يغلب

لثيم إذا جسّ الطباع ضعيفه

كريم إذا يلقاه ناب ومخلب

سلاح الفتى طيب الخصال وعزه

عفاف وبأس في الشدائد يرهب

وخير سلاح للمصائب سمعة

تفوح جليل الذكر أيان يذهب

بنّي كرام الناس بالشر تنقد

مآثرها تنسى ويذهب مثلب

بنّي أقلوا ما استطعتم عشاركم

فرب عثار للمكارم يسلب

أقبلوا كرام الناس من عشارتهم

فذاك إلى خطب المودة أقرب

ولا ترجعوا صفر اليدين مؤملا

صنيع الفتى يبقى إذا المال ينضب

يبدأ الشاعر قصيدته باستخدام أسلوب النداء المحذوف أدياته، وقال «بنّي» ولم يقل أبنائي، لأن اللفظة الأولى تحمل معاني التحبب والتقرب والتودد، وفيها مدلولات نفسية تعبر عن صدق المشاعر أكثر من كلمة «أبنائي»، ونجد الشاعر يكرر هذه المفردة عدة مرات في أثناء القصيدة، دليل أهميتها عنده ككلمة ذات مبنّي، وذات معنى ومغزى، فهو الأب الرحيم الودود، الذي زاده الجهاد والبعد عن أهله حنيناً لأبنائه وشوقاً لأهله، كما علمته الحياة وما تعرض إليه، المزيد من التجارب؛ ولذا نجده يقدم خلاصة تجاربه، وعصارة فكره لأبنائه فيقول:

بنّي خذوا مني نصيحة والد

عركت نواحي الدهر والدهر قلب

وبين لهم أن الدهر لثيم مع الضعاف، كريم مع الأقوياء فيقول:

لثيم إذا جسّ الطباع ضعيفه

كريم إذا يلقاه ناب ومخلب

ثم يبين لبنيه أهم الخصال التي عليهم أن يتحلوا بها، والتي منها: العفاف والبأس عند الشدة، والسمعة الطيبة، وغيرها حيث يعد أن هذه الأخلاق هي خير سلاح للفتى في مواجهة الصعاب والحياة، فيقول:

سلاح الفتى طيب الخصال وعزه

عفاف وبأس في الشدائد يرهب

وخير سلاح للمصائب سمعة

تفوح جليل الذكر أيان يذهب

ويطلب بعد ذلك من بنيه أن يبتعدوا عن صفائر الأمور والتي تقلل من قيمتهم ومكانتهم، وأن يعمدوا إلى مساعدة الآخرين، وتقديم العون لمن تعثر من كرام الناس، حيث يقول:

بنّي أقلوا ما استطعتم عشاركم

فرب عثار للمكارم يسلب

أقبلوا كرام الناس من عشارتهم

فذاك إلى خطب المودة أقرب

نجد الشاعر في قصيدته الأخلاقية هذه، أنه يريد أن يبين لسرايا المجاهدين، بأن قتال الأعداء وحده لا يكفي إذا لم يصاحبه خلق كريم، يسري بين الناس بأسلوب واع، وبطريقة مدروسة، وأنه لا خير في جهاد لا خلق يصاحبه، كما أراد أن يظهر أننا أبناء شعب إسلامي مبارك نحرس كل الحرص على أن نتحلّى بأكرم الأخلاق وأفضلها، وهذا نابع من أصلتنا وعراقتنا في هذه الأرض المباركة، وكما قصد الشاعر من قصيدته هذه أيضاً، أن يرسل رسالة للآباء قبل الأبناء، كيف عليهم أن يربوا أولادهم؟ وما هي الأخلاق التي يحتاجونها في مواجهة المحتل؟ وأن هذه الأخلاق هي السلاح المرافق لسلاح المقاومة، ما دام هناك محتل يتنفس على أرض فلسطين، أرض الرباط والجهاد. وأن الله لن ينصر قوماً تخلو عن أخلاقهم ودينهم.

وللشاعر دور في النشيد، وليس أي نشيد، فهو «نشيد العلى» حيث يقول في نشيده هذا: (1، 445)

نحن في العلا

دوننا الملا

ما لغيرنا

المجد قد حلا

من سيوفنا

تقطر الدما

من أكفنا

الجود والندى

اللازمة

وسّعوا الخطى

وامتطوا العلا

وارفعوا على

أوجها سما

اللازمة

خيرة البلاد
أرض يعرب

اللازمة

سهلها الجميل
ماؤها الفرات

اللازمة

نحن نبتها
في لظى الوغى

اللازمة

اخطأ الهدى
جاء موردا

اللازمة

دأبنا السلام
أو عدا غشوم

اللازمة

بأسنا حديد
نحن أمة

اللازمة

في هذا النشيد يحاول الشاعر أن يتحدث عن مجموعة من الأفكار، كلها تنطلق من مفهوم الجهاد والقتال، والمحافظة على الأرض والوطن، وقد قسم الشاعر نشيده إلى ثماني مجموعات (مقطوعات) شعرية، وإن اختلفت في موسيقا القافية، إلا أنها تتوحد أمام الهدف العام للأفكار التي انطلقت منها كما ذكرت.

وقد حاول الشاعر في نشيده هذا أن يستخدم ضمير جمع المتكلم المنفصل (نحن) والمتصل (نا)، ليدل على أن المسؤولية عامة وشاملة لكل أبناء فلسطين تجاه العدو الغاصب، وجاء الضمير (نحن) في البيت الأول من المجموعة الأولى:

نحن في العلا
ثم تكرر في البيت الأول والثاني من المجموعة الخامسة:
نحن نبتها
في لظى الوغى
ثم جاء في البيت الأخير من المجموعة الثامنة (الأخيرة):
نحن أمة

وهذا الضمير المنفصل (نحن) تعانق تكراره مع تكرار مشابه له، وهو الضمير المتصل (نا)، الذي انتشر في المجموعة الأولى والخامسة والأخيرة، وهي نفس المجموعات التي انتشر فيها الضمير المنفصل (نحن)، وهذا يدل على الوعد والعهد بالدفاع عن فلسطين ورد كيد الأعداء، وكأن في هذين الضميرين حديث النفس مع النفس، بأن الالتزام بالتحريز وحر المعندي لازم ديني ووطني وعهد

نفسى، يتعهد بذلك كل أبناء فلسطين، عهداً قاطعاً لا تراجع عنه.

ويلجأ الشاعر الشهيد إلى قضية بلاغية وهي ما يسمى (بظاهرة الالتفات) والالتفات هو «العدول عن كلام إلى غيره، أو هو الخروج عن كلام منتظم إلى غيره» (12، 152)، وأجده في المجموعة الأولى تحدث عن ضمير الجمع المتكلم المنفصل والمتصل، وفي الثانية تحدث على ضمير الجمع المخاطب المتصل، وفي الثالثة عن الضمير المستتر للمفردة الغائبة، وفي الرابعة تحدث عن ضمير الغائبة المفردة المؤنثة المتصل، وفي الخامسة كما في الأولى، وفي السادسة تحدث عن ضمير المفرد الغائب المذكر، وفي السابعة بدأها بضمير الجمع المتكلم المتصل، ثم ضمير المفرد الغائب المذكر، وفي الثامنة كما في الأولى.

إن هذا التلون في الخطاب يدل على قضية بلاغية ودلالية لها أهميتها عند الشاعر، فهو الشاعر المجاهد الذي يعيش في وضع نفسي جهادي خاص، يترقب استشهاد، ويبحث عن عدوه، ويفكر بجنوده والمجاهدين أتباعه، كل ذلك لا بد أن يؤثر على الوضع النفسي للشاعر وعلى نط الخطاب في القصيدة، وفي تنوع الخطاب هنا تشويق لنفس المتلقي؛ لأنها تخرجه من الرتابة والملل إلى النشاط والترقب، خاصة وأن القصيدة هي نشيد يسهل تلحينها والتغني بها.

في المقطوعة الأولى والثانية يدعو الشاعر فيهما إلى العلا والمجد والعمل من أجلهما، والحرص عليهما، وهما لا يأتيان بسهولة، بل من خلال السيوف التي تقطر من دماء الأعداء، وفي المقطوعة الثالثة والرابعة نجد الشاعر يتحدث عن أرض فلسطين، حيث سهلها الجميل، ووعرها الجليل، وماؤها الفرات العذب الذي يشفي العليل، ثم يقرر أن هذه الأرض الطيبة المباركة تحتاج إلى من يدافع عنها ويحميها، ولذا فالشاعر وصحبه من المجاهدين، هم أسدها المقاومون والمدافعون عنها.

ويختم الشهيد أنشودته ليقرر بأن بأس أنبائها شديد وحديد، ومجدها عتيق دائم؛ لأن العدا إذا ما حاولوا الاقتراب منها، سيقاومون بحد الحسام.

هذه هي كلمات النشيد عند عبد القادر الحسيني، كلمات تنطق حراً وقوة وشجاعة مستمرة في مقاومة المحتل إلى أن يندحر ويزول.

أما في قصيدته التالية والتي عنونت (صلابة الأقدام) فيقول: (1، 446)

أنا لا أرهب الحدثان إني
لقد أعددت للحدثان سيفاً
وإن أبدت لي الأيام عندا
تربني مخلبا وتربني نابا
ولي من قوة الإيمان عزم
ولم أستجد من دهري حظوظا
فتى أمضى من الحدثان حدا
ولم أجعل لهذا السيف غمدا
تراني للجلاد أشد عندا
فتلقى معلما وأشد زندا
أقاتل فيه دون الخلق فردا
ولم أطلب بغير الجهد سعدا

يقرر الشاعر في قصيدته هذه مجموعة من الثوابت الجهادية، والتي ستستمر ما دام هناك محتل على أرض فلسطين، ومن هذه الثوابت التي ذكرها الشاعر: عدم الخوف من العدو، والإعداد الجيد للجهاد، والاستمرار في التأهب، والصبر عند المواجهة، والتحلي بالإيمان عند الجهاد، وقيمة الإنسان بما يقدم من جهد، وهذه الثوابت التي تحدث عنها الشاعر، لا يعني بها نفسه وحدها، بل سائر أبناء فلسطين؛ لأنه هو قائدهم وقودتهم، فهو شجاع لا يهرب تقلبات الدنيا، ولا يخاف من الأعداء؛ لأنه أقوى منهم؛ ولأنه أعد سيفاً قوياً بلا غمد للمواجهة، وقوله «ولم أجعل لهذا السيف غمداً» كناية أن هذا السيف هو في حالة إشهار دائم في وجه العدو، ولا مجال لأن يوضع في غمده، لأن العدو والعدوان

والاحتلال قائم، ولذا فالجهاد سيبقى قائماً ما دام الاحتلال قائماً.

بعد ذلك يقرر الشاعر المجاهد الشهيد، أنه يستمد قوته وجهاده وعنفوانه ومجده في مقارعة الأعداء المحتلين من قوة إيمانه فيقول:

ولي من قوة الأيمان عزم
فبقوة الأيمان يواجه مخالب الأعداء وأنيابهم ويكسرهما ويتغلب عليها.

وقد جاءت هذه القصيدة بأسلوب إخباري تقريري، وقد حملها أساليب من النهي والنفي، مؤكداً من خلالهما على شجاعته وإقدامه وصلابته، وذلك كما ورد في أول بيتين وآخر بيتين من القصيدة. ويجيش صدره بالحنان مرة أخرى، وتحتاج قلبه نسيمات الحنين لفراخه الزغب، حيث هو مشغول بالدفاع عن فلسطين، وثرى القدس الطهور، فنجده في قصيدته (حنين) يسطر أنبل المشاعر وأصدقها، فيقول: (1، 446)

نسيم الغرب أشجاني	وأجرى دمع تحناني
وذكرني ربوع القدس	أوطاني وختاني
وأياما غدت حلماً	بأفراح وأحزان
ترأت خلف رقرق	همى من بين أجفاني
دموع الشوق أجريها	وفي الهيجا دمي القاني
وما بي غربة شقت	فأرض العُرب أوطاني
ولي في القدس أتراب	وفي بغداد إخواني
ولي في القدس أكباد	فدا الأكباد إنساني
فراخي الزغب كم حنت	إليهم نفس ولهان...
فكم قبلت من شوق	رسوماً فوق كتان
لعل الرسم يغنيني	فزاد الرسم نيراني
هم الأولاد أكباد	غدوا والروح سيان
هم ترداد أجيال	غدت طيلاً لنسيان
وخلد قد بدا حلماً	تراه عين يغطان
هم أقباس أنوار	خبث من جور أزمان

رغم أن القصيدة سجل فيها الشاعر مشاعر فياضة من الحنين لأهله وأبنائه، إلا أننا نجد الشاعر لا ينسى فلسطين، ولا ينسى القدس، ولا بغداد، ولا سائر البلاد العربية، فكل بلاد العرب أوطان للعربي، والقدس جزء منها، وهنا يتحدث الشاعر عن مفهوم أوسع للقدس، وذلك بأن القدس ليست لأبناء القدس، أو لأبناء فلسطين وحدهم، بل هي لسائر العرب والمسلمين، وذلك من قوله:

وما بي غربة شقت
ولي في القدس أتراب

وهنا يومئ الشاعر إلى المسؤولية الكبرى التي تقع على عاتق العرب والمسلمين نحو القدس وتحريرها.

وبعد أن يتحدث عن القدس وفلسطين ومكانتها بالنسبة لشعب فلسطين وسائر البلاد العربية، يتحدث عن حنينه وشوقه لفراخه الزغب، وإن مزج الشاعر الشهيد حديثه عن حنينه لأطفاله وجهه

وشوقه إليهم بحديثه عن القدس، فإن فيه دلالة على عمق المشاعر عند الشاعر نحو القدس، فقد جعلها الشاعر بمقام أبنائه وأسرته، وأنها المنطلق نحو كل شيء في حياته.

لقد شبه الشاعر أطفاله الصغار كفراخ الطير الزغب الصغار، يحن إليهم، ويشتاق إلى تقبلهم، وإن كان أحياناً يقبل صوراً لهم يحتفظ بها في مسيرته الجهادية، لكن هذا الرسم يزيد من نيران شوقه وحنينه لرؤيتهم؛ ولذا يقول:

فكم قبلت من شوق
لعل الرسم يغنيني

وفي حنينه هذا وتذكره لأبنائه، دليل على الآلام التي كان يعاني منها المجاهد عبد القادر الحسيني، فهو رغم شدة القتال، وضراوة المواجهة للمحتل، إلا أنه يتذكر فلذات الأكباد، الأطفال الصغار وهم أقباس الأنوار، التي ستحمل راية الجهاد جيلاً بعد جيل حتى يزول الاحتلال إلى حيث لا رجعه. وكأن الشاعر في هذه الأبيات يريد من المجاهدين، ومن أبناء فلسطين أن يهتموا بأبنائهم وحسن تربيتهم؛ لأنهم هم حملة مشاعل الجهاد للأجيال القادمة بإذن الله.

ونجد في في القصيدة تنوعاً في الخطاب والموضوع والأسلوب: فنجد التنوع في الخطاب يؤكد على ظاهرة الالتفات البلاغية في هذه القصيدة بشكل لافت، وتبدو خارطة الالتفات كما وردت مرتبة حسب ترتيب القصيدة كما يلي:

(هو) - (أنا) - (هي) - (أنا) - (هي، أنا) - (أنا، هي) - (أنا) - (هم، أنا) - (أنا، هي، هم، هو) - (هي) - (هو، أنا) - (هم) - (هم، هو، هي) - (هم، هي).

وهذا التنوع في الخطاب نتج عن التنوع في الموضوع، فالشاعر يتحدث عن النسيم والحنان، ثم عن القدس والأوطان، وهموم الجهاد، ثم دموع الشوق المصاحب للدم القاني في الهيجا، ثم دور الأبناء في بناء أجيال الجهاد في المستقبل. ويأتي التنوع الآخر في الأسلوب حيث راوح الشاعر بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي، كل ذلك ليكمل هذا التنوع بأشكاله المختلفة من هذه القصيدة الشعرية نموذجاً من التلاحم بين الدلالة والمعنى، وبين الخطاب والموضوع والأسلوب. وثمة ملحوظة أخرى حول هذه القصيدة، وهي استخدام الشاعر لأسلوب التكرار، كما في البيتين السابع والثامن حيث قال:

ولي في القدس أتراب
ولي في القدس أكباد

وفي هذا التكرار دلالة على أهمية القدس، في وجدانه ووجدان كل عربي، فلئن كان في القدس أهله وأترابه، ففي بغداد وسائر البلاد العربية إخوته. وأجد الشاعر الشهيد في قصيدته هذه وسائر قصائده يركز على التكرار، ولعله في ذلك يكون قد أفاد من التكرار في الأغاني الشعبية كما يقول مناصرة: «حيث استفاد الشعر العربي الحديث من خاصية التكرار الإيقاعي في الأغاني الشعبية» (15، 440).

وبقي للشهيد ثلاث قصائد، الأولى في وصف رحلة قطار حيث يقول في مطلعها: (1، 447)

ركبت قطاراً سار بنا
إلى بغداد وقد بعدت

والثانية في مدح رشيد عالي الكيلاني حيث يقول فيها: (نفسه)

رشيد العروبة عالي الهمم	سموت بقومك فوق الأمم
فذكراك في كل قلب غدا	يشير النفوس ويحيي الهمم
فأنت الرشيد مهابة الجناح	وأنت الكريم سليل الكرم

يُحييك أسد العراق ومن

رعاك الإله ليوم أغرّ

ليوم تدفق فيه الدما

ليوم السيوف ويوم القنا

رعاك الإله وهان عداك

وراء العراق وخلف الهرم

ليوم العروبة يوم الشمم

تهون النفوس فداء العلم

ليوم تبدد فيه الظلم

وعشنا نفاخر فيك الأمم

والشاعر في هذه القصيدة يمدح القائد الثائر ضد الاستعمار «رشيد الكيلاني»، وهو إن يمدحه كأنه يمدح العراق، والشاعر الشهيد يمدحه هذا يذكر بقوة وشجاعة أهل العراق، داعياً الله أن يحفظه ويرعى العراق؛ من أجل يوم يعملون على إعزاز العروبة والإسلام، ويزال فيه الظلم والظالم فنراه يقول:

رعاك الإله ليوم أغرّ

ليوم العروبة يوم الشمم

ويقول:

ليوم السيوف ويوم القنا

ليوم تبدد فيه الظلم

والقصيدة الثالثة يمدح فيها الملك عبد العزيز آل سعود إذ يقول في مقدمتها: (نفسه، 447-448)

المجد من عاد بدا والسعد في آل السعود

إرث توارثه البنون عن الحضارمة الجدود

فغدوا كأنهم الثواقب زينت برج الخلود

وهم الملاذ لمن يضيق بوجههم رحب الوجود

لا يخفرون ولا تنال جوارهم عثر الجدود

وهذه القصيدة تعد من أطول قصائده إذ بلغت (38) بيتاً. حاول فيها الشاعر الشهيد أن يستنهض زعماء العرب وشعوبهم من خلال هذه القصيدة؛ لأنه أراد أن يبعث فيهم النخوة والعزة، والتحرك من أجل الجهاد في القدس وفلسطين، وتحريرها من الغاصب المحتل. وبعد مقدمة مدحية مدح فيه الملك عبد العزيز آل سعود، مذكراً فيها بما عليهم من مسؤوليات تجاه وطنهم ودينهم والعالم الإسلامي، يبدأ الشاعر الشهيد بعدها وفي البيت التاسع يذكر القدس وأين صارت فيقول:

القدس أولى القبلتين

عدا بها سبط اليهود

ويذكر الملك أين أصبح ثالث الحرمين فيقول:

يا حامي الحرمين

ثالثهما غدا رهن الوعود

وبحاول الشهيد أن يبعث الهممة، ويستنهض النخوة عند الملك نحو القدس لعله يعمل من أجل تحريرها من دنس اليهود فيقول:

يا وارثاً عرش الرسول

اضرب بسيف ابن الوليد

وارفع دعامة جلق

وانهض بأعباء الرشيد

ثم يعود الشاعر الشهيد ليوجه خطابه إلى أمة العرب والإسلام، لعله يحرك فيها مشاعر العزة والنصرة للأرض المغتصبة فيقول:

يا أمة العرب انهضي

سيري لمجدك أو تبديدي

المجد نسج نضالنا

عيدي نسائجها وزيدي

وبعدها يوجه الخطاب للملك عبد العزيز ويذكره بمكانة القدس ومسجدها:

إن ديس مسجدنا تداس

بكل واد أو صعيد

ويقول:

فالمسجد الأقصى علا

محاربه دنس اليهود

ويذكره أخيراً بأعراض نساء فلسطين ورجالها ودماء الشهداء، ويطلب منه غوثهم ونجدتهم:

فالعرض عرضك والنساء

ورجالها ودم الشهيد

إن الشاعر الشهيد الذي عبر عن واقعه وواقع وطنه وقضيته أصدق تعبير، نجده في هذه القصيدة يستشرف المستقبل وينظر إليه بنظرات صائبة لأنها تصدر عن رجل صادق مجاهد، عاش تجربة الإيمان والجهاد، فهي هو يحذر الملك أن يؤول المسجد الأقصى بيد اليهود، وقد تم ذلك فيما بعد:

يا حامي الحرمين

ثالثهما غدا رهن اليهود

ففيها هو المسجد الأقصى يزرع تحت نير عصابات الصهاينة، يدنسونه تارة، ويحاولون هدمه أحياناً، ويمنعون المصلين من دخوله أحياناً أخرى. وعندما يداس المسجد الأقصى ويدنس، فكأنما يداس كل العرب والمسلمين في كل مكان، وهذا ما تنبأ به الشاعر الشهيد:

إن ديس مسجدنا تداس

بكل واد أو صعيد

هذه بعض استشراقات وإشراقات المستقبل عند الشاعر الشهيد؛ ليقول في قصيدته قبل الختام حكمة يصور فيها الواقع العربي والإسلامي والمستقبل الذي سيؤول إليه: والسيل إن بلغ انحدا را لا يقيد بالحدود

ثانياً: في ترسل الشهيد عبد القادر الحسيني

الرسالة فن نشري يلجأ إليه صاحبه عند الحاجة إليه، ليعبر عن موقف، أو ليسجل حدثاً، أو ليدون ملحوظات حياته، أو ليكتب بعض مشاعره وإحساساته، و«الترسل مصطلح أدبي، يقوم على ترجمة ما يدور في العقل من كلام حول مواضيع معينة على شكل رسائل، قد تكون رسمية، أو إخوانية، أو أدبية، ...» (14، ص: 11).

وكانت رسائل الشهيد في أنواعها المختلفة تعبر في أغلبها عن همومه نحو قضيته وقضية المسلمين جميعاً، ألا وهي قضية فلسطين والمحتل اليهودي، فلذلك كانت رسائله تأتي عبر نسمات الجهاد على أرض الوطن، يبعث بهمومه إلى القادة العرب، والمسؤولين ولو كانوا من ذوي القربى يستنجدهم، ويطلب منهم العون والمساعدة، أو يرسل بتوجيهاته العسكرية إلى جنوده بوصفه القائد العسكري لهم، وأحياناً وفي بعض اللحظات تداعب خياله ذكرى أهله، زوجته وأولاده فيبعث لهم برسائل الشوق والحنين، رغم ما فيه من قتال وحرب، بين أزيز الرصاص وقرع القنابل، ولكنه يبقى الأب المجاهد، الذي لا ينسى زوجته وأبناءه، من كلمات فيها حنين، وفيها وصايا ترسم لهم بعض ملامح طريق المستقبل.

وسأتناول ترسله من خلال المحاور الآتية:

أولاً: محور الرسائل العائلية:

• رسالته الأولى إلى زوجته وجبهة بتاريخ 1947/12/27م (1، ص: 461). أخبر فيها عن مدى الرعب الذي يشعر به اليهود منه كلما اقترب من أماكن تواجدهم وها هو يقول: «أنا الآن بقرية صوري، وقربي مستعمرة اسمها كفار عتصيون، وقد جن جنون اليهود لما علموا أنني أتيت إلى قريها ... وهم خائفون ومرتعبون...» ثم يطمئنها فيقول: «صحتي جيدة، والحمد لله، وسلاحي كثير، ورجالي أكثر، وعتادي طيب، كيف صحتك، وصحة الأولاد،

سلامي لكم جميعاً».

• وفي رسالة ثانية لزوجته، والورخة بتاريخ 1948/1/4م (نفسه): يتحدث فيها الشهيد - بعد أن يطمئن زوجته عن صحته- عن جهاده فيقول: «لقد أصبحت القدس الآن الجبهة الأولى، شباب حي الشيخ جراح أسود، وكذلك شباب كل القدس، بارك الله فيهم، سنبداً هجومنا الحقيقي بعد عشرة أيام على أكثر تقدير، وربما بدأنا قبل ذلك إذا وصلتنا الذخائر». وكان يستخدم منزله مخزناً للسلاح؛ فلذا يقول في آخر رسالته هذه: «يوجد بعض الذخيرة عندك في البيت، الرجاء إرسالها مع عيد الله».

• وتأتي رسالته الثالثة إلى زوجته بتاريخ 1948/2/12م (1، ص: 462) يطمئن أهله في هذه الرسالة عن الوضع العسكري فيقول: «حراسنا في الشيخ جراح الآن يحتلون سان هديا وبيت إسرائيل، أعمالنا الحربية أثرت في اليهود أثراً عميقاً، كما أنها قوت معنويات العرب. هذه الليلة سنقوم بعمل باهر وإن شاء الله ينجح، وسيكون له أثر عميق».

• وفي رسالته الرابعة لزوجته «أم موسى» والمورخة بتاريخ 1948/3/14م. (نفسه). يتحدث عن تعبهِ وسهره وجهاده وانشغاله فيقول: «إنني أشتغل الليل والنهار، ففي النهار أقوم بالأعمال الإدارية، وأثناء الليل أقوم بترتيب الخطط العسكرية... لقد كان هذا الشهر مليئاً بالانتصارات والحوادث الجسام، وأرجو من الله أن تستمر إلى أن ننال النصر الأخير الحاسم، ونرفع عرق الزيتون الأخضر الذي رأيته بالمنام». فهو في هذه الرسالة يتحدث عن الواقع حيث الحوادث، والأعمال والخطط العسكرية، ويتحدث عن المستقبل بأن يتم النصر الأخير الحاسم ويرفع عرق الزيتون...

• أما رسالته الأخيرة فهي مؤرخة بتاريخ 1948/4/2م. أي قبل استشهاده بستة أيام. (1، 463) فقد جاءت كما يلي:

«أعزائي: هيفاء، وموسى، وفيصل، وغازي:

قبلات حارة لكم جميعاً، كيف أحوالك، لماذا لا تكتبون لي، أرجو أن تكونوا متحابين وأولاداً طيبين، لا تعذبوا أمكم، كما أنني أرجو أن تكونوا مجتهدين بدروسكم، وإذا نجحتم بالمدرسة فساأشتري لكم بنادق ومسدسات حقيقية لتقتلوا بها اليهود، وساأشتري لهيفاء أدوات إسعاف لتضمد جراح المجاهدين، سوف أراكم قريباً... الله يرضى عليكم»

أبوكم المحب
التوقيع

هذه الرسالة الأخيرة للشهيد قبل أن ترتقي روحه الطاهرة إلى بارئها، رسالة شوق وحنين ومحبة لأهله، بضمنها خططه المستقبلية لأولاده، كيف يريدكم؟ يريدكم أن يحملوا السلاح من أجل القتال والجهاد، وأن تشترك ابنته أيضاً في أعمال الجهاد التي تليق بها.

هذه رسائله لأهل بيته، تحدث من خلالها عن واقعه وجهاده، وعن حنينه وشوقه، وعن أمله ومستقبله ومستقبل أولاده الجهادي، هذه الكلمات الصادقة التي صدرت عن القائد العسكري المجاهد الشهيد في الأشهر والأيام الأخيرة من حياته الجهادية.

• ومن رسائله العائلية ما كتبه لعمة سماحة المفتي الحاج محمد أمين الحسيني، حيث كان مما قاله فيها: (1، 459)

«فقد سررت برسالتكم أعظم سرور، وكانت لي أعظم مشجع، تذكرون تقديركم لتحملنا مشاق

الغربة والسجون، وهذا التقدير هو وسام عظيم الشأن أناله من زعيم وقائدي...» وفي آخرها يقول: «تطلبون مني أن أكتب إليكم بما أود أن أقول، ولي ما أقوله، إلا أنني بانتظار أوامركم، وستجدونني دائماً ذلك الجندي الذي يموت في سبيل أمته، ومبادئه، ودون أن يكلف الناس بسماع أنات نزاعه، وكذلك زوجتي، وسوف يكون كذلك أولادي إن شاء الله تعالى». هذه الرسالة مؤرخة بتاريخ 14 ربيع الأول من سنة 1365هـ، يبدو أنها كانت رداً على رسالة تلقاها من عمة سماحة المفتي، وفيها يظهر شكره وتقديره لعمة على هذه الرسالة، وأثرها في نفسه، وينتهي هذه الرسالة بتعهده أن يكون ذلك الجندي الوفي لقائده ووطنه وأمته ومبادئه، وبنظرة للمستقبل يرى أن تكون زوجته وأفراد أسرته يسيرون على نفس الخط الجهادي الذي رسمه الشهيد عبد القادر الحسيني وسار عليه وطبقه على نفسه، فهو الشهيد المجاهد في ميادين القتال ضد الصهاينة المحتلين، والذي ما فتئ يقاتل ويجاهد حتى نال الشهادة التي طالما تمناها.

ثانياً: أما النوع الآخر من رسائله فهو عبارة عن بعض الرسائل العسكرية (1، 464-465) ومنها:

• الرسالة الأولى بعث بها الشهيد إلى المفتي محمد أمين الحسيني وهي مؤرخة بتاريخ 1947/12/24م ومما جاء فيها:

وصلت البلاد منذ يومين وبدأت اتصلائي وقمت بما يأتي:

1. ترتيب حرس قوي للقيادة.
2. ترتيب قناصة حول المستعمرات.
3. تنظيم الدفاع في القدس والقرى وترتيب الحرس الليلي.

• الرسالة الثانية وتاريخها 1948/1/1 قال فيها:

تسلمنا خطابكم الأخير وسنعمل حسب توصياتكم القيمة.

ثم أوجز الأعمال التي قام بها فقال:

1. أصبح دفاع القدس حسناً، وقد تحول في بعض الأحيان إلى هجوم قوي معاكس.
2. رأينا أن الهجوم من داخل القدس لا بد منه، لتقوية المعنويات وإزالة بعض النقاط الخطرة، مثل مستشفى الأمراض العقلية في الشيخ جراح ومستشفى هداسا والجامعة العبرية، إذ يكمن الخطر فيها على الاتصال بالمدينة من الشمال والشرق.
3. سنقوم بهجوم هائل لا بد منه، حالما تصلنا الذخائر والمتفجرات، وسننخذ قضاء رام الله مركزاً للحشد وعمليات الهجوم وقد انتقلنا إليه بالفعل.
4. نحن على اتصال بجميع المناطق ومع الأخ أبو علي (حسن سلامة) ونتخذ الإجراءات السريعة لتقوية الأسس التي أوجدناها في مختلف الأنحاء.
5. المعنويات قوية جداً، وخاصة في المناطق التي حدثت فيها اشتباكات بين العرب واليهود.

• الرسالة الثالثة مؤرخة في 1948/1/4م

«... إن اليهود ينقلون قواتهم من كل مكان إلى القدس وإن خسائر الهاجاناة جسيمة جداً، ونحن نحاول قطع جميع طرق المواصلات اليهودية المؤدية إلى القدس، وننتقل من مكان إلى آخر حسب الظروف، ونتصل بالرجال المسؤولين. الإعداد نظام ثابت. وتركيز المسؤوليات في مختلف المناطق وما زال هجومنا دفاعياً، لرفع المعنويات وإزالة بعض نقاط يهودية خطيرة، لا بد من إزالتها لتسهيل مهمة الدفاع...»

• الرسالة الرابعة رداً على رسالة من سماحة المفتي: ومما جاء فيها:

1. ... قد أكملنا الأسس اللازمة لتنظيم قرية لفتا والقرى المجاورة لها، وقد عينا السيد يحيى حمودة مسؤولاً عنها.
2. نحن مهتمون جداً بمنطقة عين كارم وسننتقل إليها في القريب العاجل.
3. إن مسألة تأمين الدفاع عن القدس والقرى المحيطة بها هي شغلنا الشاغل وقد قطعنا شوطاً في هذا السبيل.
4. نحن يقظون وحذرون ونحاول الاستفادة من مجهود كل فرد في سبيل المصلحة العامة.
5. نحتاج إلى ميزانية لا تقل عن أربعة آلاف جنيه شهرياً. فالرجاء تزويدنا بها.
6. وصلنا عريف اللاسلكي وسيبدأ أعماله.
- الرسالة الخامسة وتاريخها 1948/1/12م وما جاء فيها:
1. أنا مهتم جداً بدفاع القدس، وقد أصبح قويا والقدس الآن ساحة حربية، وأرفق لكم ما كتبه الصحف اليوم، لتروا مقدار قوتنا الدفاعية والهجومية في حي الشيخ جراح وبيت صفا وغيرها.
2. أرسلوا إلينا ما لا يقل عن ستة آلاف جنيه شهرياً، لنقوم بجميع الأعمال في القدس وغيرها ما عدا الشمال.
3. نحن بحاجة ماسة إلى السلاح وأكثر حاجة إلى الذخائر.

وقد جاءت رسائل الشهيد العسكرية ترجمة للواقع اليومي الذي يعيشه في حياته الجهادية، ففي رسالته الأولى يتحدث عن ترتيب القنص حول المستعمرات، وتنظيم الدفاع حول القدس والقرى، وفي رسالته الثانية يتحدث الشهيد عن خطط الهجوم عنده داخل القدس لإزالة بعض النقاط الخطرة، وبأن المعنويات عالية، وفي الثالثة يصف المجاهد الشهيد تنقلات اليهود وقواتهم إلى القدس، وأن خسائر الهاجاناة جسيمة جداً، ومثل ذلك في بقية الرسائل تقريباً، يصف الحال، ويخطط للواقع والمستقبل، وهمه الوحيد إنقاذ القدس وسائر فلسطين من اليهود المحتلين.

وبشكل عام لا نكاد نجد لمسات فنية أو بلاغية واضحة في رسائله، لعل ذلك بسبب ضيق الوقت الذي يعيشه المجاهد الشهيد، فلا وقت لديه للتجبير والتنميق، فالمهم عنده أن ينقل الواقع الذي يعيشه إلى أهله أو إلى جنده أو إلى المسؤولين، حتى يطمئنهم على سير الأمور عنده، أو يعبر عن مشاعر تفيض من إحساسه المهرف نحو أهله وأبنائه أحياناً. والأمر الآخر هو أن طبيعة هذا النوع من الرسائل العسكرية، يجب أن يكون بنفس الأسلوب الذي صاغه الشاعر الشهيد؛ لأنها هي بمثابة رسائل مختصرة، أو برقيات خاطفة، تنقل أخبار الجهاد والمعارك إلى الجهات المرسل إليها. حتى إننا في رسائله العائلية لا نجد التجبير والتنميق فيها، وذلك لنفس السبب؛ لأن الشاعر الشهيد رحمه الله في وضع الجندي المحارب، والقائد الساهر على جنوده، والمجاهد المناضل، فلا وقت لديه لكتابة الرسائل الأدبية المحبرة، فالمهم عنده التحدث عن حاله وواقعه، وطمأنة الجهة المرسل إليها رسائله.

الهوامش

1. محسن، عيسى خليل، 1986، فلسطين وابنها البار عبد القادر الحسيني، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، الأردن، ط1.
2. حوراني، فيصل، 2003، جذور الرفض الفلسطيني 1918 - 1948 م، مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله.
3. الزركلي، خير الدين، 1980، الأعلام، ج 4، دار العلم للملايين، ط5.
4. قاسم، خيرية، 1990، الموسوعة الفلسطينية، م5، ط1، بيروت.
5. الحوت، بيان نويهض، 1986، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917 - 1948، دار الهدى للنشر والتوزيع، بيروت، ط3.
6. الأحمد، نجيب، 1985، فلسطين تاريخاً ونضالاً، دار الجليل للنشر والتوزيع، عمان، ط1.
7. ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، 1939، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ج2، (د.ط.).
8. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، 1973، الإتيقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ج2، د.ط.
9. العلي، فيصل حسين طحيمر، 1995، البلاغة الميسرة في المعاني والبيان والبدیع، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.
10. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، 1988، البرهان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4، ط1.
11. بدوي، يوسف علي، (وزميلة)، 1993، المستشار في القواعد والإعراب، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1.
12. عثمان، أسامة عبد المالك إبراهيم، 2001، ظواهر أسلوبية وفنية في سورة مريم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.
13. الجرجاني، عبد القاهر، (د.ت)، دلائل الإعجاز، صحح أصله الشيخ محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.
14. العلي، فيصل حسين طحيمر، 2001، فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.
15. المناصرة، عز الدين، 2007، علم الشعر، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.

المصادر والمراجع

1. ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، 1939، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ج2، (د.ط.).
2. الأحمد، نجيب، 1985، فلسطين تاريخاً ونضالاً، دار الجليل للنشر والتوزيع، عمان، ط1.
3. بدوي، يوسف علي، (وزميلة)، 1993، المستشار في القواعد والإعراب، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1.
4. الجرجاني، عبد القاهر، (د.ت)، دلائل الإعجاز، صحح أصله الشيخ محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.
5. الحوت، بيان نويهض، 1986، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917 - 1948، دار الهدى للنشر والتوزيع، بيروت، ط3.
6. حوراني، فيصل، 2003، جذور الرفض الفلسطيني 1918 - 1948 م، مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله.
7. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، 1988، البرهان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4، ط1.
8. الزركلي، خير الدين، 1980، الأعلام، ج 4، دار العلم للملايين، ط5.
9. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، 1973، الإتيقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ج2، د.ط.
10. عثمان، أسامة عبد المالك إبراهيم، 2001، ظواهر أسلوبية وفنية في سورة مريم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.
11. العلي، فيصل حسين طحيمر، 1995، البلاغة الميسرة في المعاني والبيان والبدیع، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.
12. العلي، فيصل حسين طحيمر، 2001، فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.
13. قاسم، خيرية، 1990، الموسوعة الفلسطينية، م5، ط1، بيروت.
14. محسن، عيسى خليل، 1986، فلسطين وابنها البار عبد القادر الحسيني، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، الأردن، ط1.
15. المناصرة، عز الدين، 2007، علم الشعر، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.

المسجد الأقصى في الزمان والمكان والسنة والقرآن

أ.د. يحيى جبر
أ. عبير حمد

مقدمة البحث:

هذا بحث تتناول فيه المسجد الأقصى المبارك من حيث ارتباطه بالزمان ودورته، والمكان وخصوصيته، أملين بذلك أن نتوصل إلى السر الذي يكمن وراء قدسيته، وما ارتبط بها في التاريخ، وهذه المكانة التي استأثرت بها على مر الزمن.

والمسجد الأقصى حري باهتمام المسلمين جميعا، لأسباب كثيرة: لقدسيته أولا؛ فهو أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ولورود ذكره في القرآن الكريم وأحاديث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -، ولفضل الصلاة فيه، وما سيكون من شأنه في آخر الزمان؛ إذ سيحشر الناس إليه، ولاختصاصه بالبركة مع ما حوله من بلاد الشام دون سائرهما؛ على نحو ما سنبينه في ما بعد.

كما أنه حريّ بذلك، لأهميته في تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي وقبل ذلك، ولأنه اليوم موضوع اصطراع بين الأمة الإسلامية والكيان الصهيوني، الذي يخطط لإزالته وإقامة هيكلهم المزعوم مكانه؛ استنادا لحجج واهية، لا سند لها من أثر أو تاريخ، ولا يقوم عليها دليل علمي، بالرغم من الحفريات الكثيرة التي اخترقوا بها أسافله مهددين بذلك أساساته.

وبأتي هذا العمل العدواني، تمشيا مع ما يسعون إليه، من طمس ما يمتاز به من رمزية، ذات دلالات عميقة في نفوس المسلمين، في مشارق الأرض ومغاربها، إذ حاولوا تدميره بحرقه عام 1969م، ومحاولات احتلال أجزاء منه لإقامة شعائهم، إلى المحاولات الأخيرة التي تهدد أساساته. وليس الأمر محصورا في العدو الصهيوني وحده، إذ ثمة حلفاء متواطئون معه من قبل ومن بعد، فقد يكون لزاما علينا أن نذكر، هنا، بالعبارة المشهورة التي قالها النبي، القائد الإنجليزي لقوات الحلفاء شرق المتوسط؛ غداة دخلت قواته بيت المقدس عام 1918م: «الآن انتهت الحروب الصليبية».

ويعلم الباحثان أن دراسات وأبحاثا كثيرة قد صُنفت حول المسجد الأقصى المبارك، وأن كثيرا آخر سيصنف من بعد، ذلك لما للمسجد الأقصى من مكانة أثرية لدى المسلمين كافة، ولأنه بات موضوع صراع مستفحل بين المسلمين وأعداء الأمة، ولكن الباحثين يأملان أن يقدموا في هذا البحث جديدا يتمثل في بعض الأفكار التي تتصل ببركته وارتباط ذلك بما تواتر من الشواهد الدينية من أي وحديث، وأحداث التاريخ وعلم الهيئة وغيرها.

ويندرج البحث ضمن ستة محاور؛ الأول يتناول أصل التسمية ومدلولاتها والأسماء المأثور للمسجد الأقصى، والمحور الثاني يتناول بناء المسجد الأقصى ومساحته وحدوده وأبرز المعالم التي يضمها. وأما المحور الثالث فيتناول الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر للمسجد الأقصى صراحة أو كناية من أجل توضيح مكانة المسجد الأقصى في الإسلام وعلاقته بالأنبياء والصالحين. والمحور

الرابع يتناول بعض الأحاديث النبوية الشريفة التي تناولت المسجد الأقصى موضحين الفكرة الرئيسة في كل حديث. والمحور الخامس والأخير فإنه يلقي الضوء على كون بيت المقدس مصدر بركة بلاد الشام، لأن كثيرا من العلماء والعامة درجوا على تعميم البركة على بلاد الشام عامة دون الالتفات إلى مركزية بيت المقدس وأهميته في تحقق هذه البركة. وأما المحور السادس والأخير فإننا نستخلص فيه بعض أسباب بركة بيت المقدس وما حوله من بلاد الشام، استنادا إلى الآيات والأحاديث الشريفة الواردة معنا.

أولا: التسمية

إن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى؛ وقد كان للمسجد الأقصى نصيبا وافرا من ذلك فقد ورد له سبعة عشر اسما منها:

(1) المسجد الأقصى:

وسمي الأقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار وبتعني بها الأجر من المسجد الحرام.

وقيل: لأنه ليس وراءه موضع عبادة.

وقيل: لبعده عن الأقدار والخبائث.

(2) مسجد إيلياء:

ويقال فيه أيضا: إيلياء، ومعناه بيت الله، وهو منسوب للمدينة التي يقع فيها المسجد.

(3) بيت المقدس:

ومعناه المكان المطهر من الذنوب، واشتقاقه من القدس وهي الطهارة والبركة. والقدس اسم مصدر

في معنى الطهارة

والتطهير؛ لأنه روح مقدسة، والتقديس التطهير، ومنه قوله تعالى: (ونقدس لك) أي: ننزهك عما لا يليق بك.

فمعنى بيت المقدس: المكان الذي يتطهر فيه من الذنوب.

ويقال: المرتفع المنزه عن الشرك.

(4) البيت المقدس:

والبيت المقدس: المطهر، وتطهيره إخلاؤه من الأصنام.

(5) بيت القدس:

وهو بضم الدال وسكونها لغتان.

(6) سلم:

(بفتح السين)، وسمي بذلك لكثرة سلام الملائكة فيه، قيل: وأصله سلم: اسم بيت المقدس،

ويروى سلم (بفتح السين وكسر اللام)، ومعناه بالعبرانية بيت السلام.

(7) أورشليم: قيل بضم الهمزة وفتح الشين وكسر اللام المخففة، والأكثرون بفتح الشين واللام.

(8) أورشليم. وهما تسمية واحدة مع اختلاف في اللفظ قال الأعشى الهمداني: (1)

وطوفت للمال آفاقه

أنتيت النجاشي في داره

وكرمورة إيلياء.

(10) بيت آيل.

(11) صهيون.

12) قصروث : بصاد مهملة وثاء مثلثة.

13) بابوش : بموحدين وشين معجمة.

14) وكور شلاه.

15) شليم.

16) أزيل.

17) صلmon

ويقال لبيت المقدس : الزيتون ولا يقال له : الحرم. ومن أسمائه أيضا بيت المكياش، ودار الضرب.⁽²⁾

الأسماء المشهورة للمسجد الأقصى

اشتهر من أسماء المسجد الأقصى المبارك ثلاثة أسماء؛ نفصلها على النحو التالي:

المسجد الأقصى: وهذا الاسم قرآني، أسماه به الله عز وجل، استنادا إلى ما نص عليه قوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)⁽³⁾ وهذا الاسم هو أهم أسمائه على الإطلاق.

بيت المقدس: وهو ما كان متعارفاً عليه قبل نزول الآية السابقة، وبهذا الاسم ورد في بعض أحاديث النبي صلى الله عليه وآله، فقد روى ابن حنبل في حديث الإسراء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: (أَتَيْتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبُغْلِ، يَضَعُ جَافِرُهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهِ، فَرَكْبَتُهُ فَسَارَ بِي حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ فَرَكِبْتُ الدَّابَّةَ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْتِطُ فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ... إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ). وهذه التسمية يستفاد منها معنى الأرض المقدسة أيضاً.

البيت المقدس: وهو مشتق من الاسم السابق لتأكيد صفة (القدسية) التي يمتاز بها، والتقديس رفع المنزلة. وقد ورد هذا الاسم في بيتين من الشعر لابن حجر العسقلاني عند زيارته للمسجد الأقصى المبارك:

إلى البيت المقدس جئت أرجو
قطعنا في محبته عقاباً
جنان الخلد نزلًا من كريم
وما بعد العقاب سوى النعيم

وجدير بالذكر أن كلمة « قدس » وما يشترك معها في حروفها الأصلية تنصرف لمعنى التنزيه والتطهير، كالمقدس، ويتشديد الدال، والأرض المقدسة، وكل ذلك مشتق من الأصل الكنعاني « قدش » للمعنى العربي نفسه، أو من الآرامي « قدشتا » للدلالة نفسها⁽⁴⁾ وربما انصرف لمعنى التسبيح، كما هي الحال في كلمة « قاديش » العبرية بمعنى « تسابيح »⁽⁵⁾ وهناك بلدان تحمل الاسم نفسه في فلسطين وغيرها، ومن ذلك « قدس » في الجزيرة العربية⁽⁶⁾ وأخرى في شمال فلسطين⁽⁷⁾

مسجد إيلياء: وردت في الحديث النبوي الشريف وبعض الآثار أيضاً.

ويتركب اسمه من ثلاث مفردات هي: المسجد، والأقصى، والمبارك، أما المسجد: فلفظ يطلق على الواحد من بيوت العبادة التي يتخذها المسلمون أماكن معتادة للصلاة، وهو اسم مكان من الأصل اللغوي « س ج د » الذي ينصرف لدالتين متناقضتين هما: السجود المعهود في الصلاة على النحو المعهود؛ إجلالاً لله عز وجل، والانحناء مطلقاً، والركوع، وهذان المعنيان موجودان في الكنعانية أيضاً (عبرية اليوم) ومن معانيه الانتصاب، ولذلك عده علماء اللغة في الأضداد، وتوجيه ذلك، في

نظرنا، أن الانحناء يقتضي بعده اعتدالاً وانتصاباً بالضرورة، فالمعنيان المتناقضان إذاً متلازمان، وفي هذا ما يسوغ استخدام اللفظ لكلا المعنيين. وهو مسجد ومسجد، قيل في ذلك أن المسجد لمكان السجود حيث توضع الجبهة، وفان الثاني هو للبناء الذي يصلي في الناس.

أما صفته « الأقصى » فهي مبنى تفضيل من الأصل اللغوي « قضا - يقصو » بمعنى أبعد وابتعد، لبعده من مكة المكرمة، ومؤنثه « القصوى »، وما يزيد في بعده نفسياً أن بينه وبين مكة المكرمة بيداً وفيافي خاوية، تتمثل في بادية النفود، وبادية الشام والنقب، على العكس من الطريق إلى اليمن، لا سيما إذا كانت عبر جبال السراة حيث تنتشر المياه والأشجار على طول الطريق إليه. غير أن في هذه الصفة ما يدعو إلى التساؤل، ويثير في ذهن ما يستوجب التوضيح، إذ إن «الأقصى» صفة للتفضيل، فهذا قصي وذلك أقصى، فأين هو القصي غير المذكور لا في الآية ولا في كلام العرب؟ فسورة الإسراء مكية، أي أنها نزلت قبل أن يشاد مسجد قباء والمسجد النبوي، ليس في هذا إشارة مسبقة إلى ما كان من شأن المسجدين اللذين أقيما من بعد في المدينة المنورة؟ ... قبل أن يكونا؟.

أما المبارك، فنعت اقترن به، مستمد مما ورد في كتاب الله - عز وجل - (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)⁽⁹⁾، حيث نعت بالاسم الموصول وصلته [الذي بَارَكْنَا حَوْلَهُ] أي الذي باركنا ما حوله بأنواع البركات الحسية والمعنوية، بالثمار والأنهار التي خص الله بها بلاد الشام، ويكونه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة الأطهار⁽¹⁰⁾. ولما ورد في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم « بارك الله في بلاد الشام من فحص الأردن إلى رفح » التكون التاريخي والمكان المحدد هنا يتضمن ناحية المسجد الأقصى بوجه خاص.

والمبارك اسم مفعول من « بارك » الذي يفيد مبناه معنى المبالغة؛ والتكثير مثل « ضاعف » بمعنى « ضعف »؛ كما تأتي بمعنى « أفعّل » : « عافاك الله » بمعنى أعفأك و « باعدته بمعنى « أبعدته ». فكأنه خص بالبركة من الله عز وجل مرة بعد مرة، بكثرة ما أقام فيه من أنبياء الله ورسله عليهم السلام، حتى لكان المسجد الأقصى يمثل ملتقى الأنبياء والرسل، ففي خبر إسراء النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المسجد الأقصى أنه التقى فيه بجميع الأنبياء من آدم إلى عيسى عليهم جميعاً وعلى رسولنا أفضل الصلاة والسلام، وتقدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له جبريل: « تقدم يا محمد فصل بالأنبياء إماماً »⁽¹¹⁾

المسجد الأقصى .. ومغزى التسمية

يقول سبحانه في مطلع سورة الإسراء (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير). هذه الرحلة الأرضية انطلقت من مسجد إلى مسجد، والتسمية للمسجدين هي تسمية ربانية، ما يعني وجود تطابق بين الاسم والمسمى، وأن هذا الاسم هو في الحقيقة صفة وخاصة للمسمى. المسجد الحرام، يحرم فيه القتال، وهو حرم آمن من زاوية التشريع ومن زاوية الموقع، فالناس من لدن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، التزموا غالباً، برعاية حرمة هذا المسجد، حتى كان الواحد منهم يرى قاتل أبيه في الحرم فلا يمس به بأذى ولا يذعره. ومن جهة أخرى فإن الله تعالى قد جعل هذا المسجد في شبه الجزيرة العربية، في منطقة لم تكن عبر التاريخ هدفاً للغزاة، ولا مطعماً للمستعمرين.

هذا فيما يتعلق بالمسجد الحرام، أما المسجد الأقصى، فاللافت أنه لم يجعل حرماً كالمسجد الحرام في مكة التي حرمها إبراهيم عليه السلام، ولا كالمسجد النبوي في المدينة التي حرمها محمد صلى

الله عليه وسلم، ولذلك يؤكد العلماء أنه لا يصح وصف المسجد الأقصى بأنه (حرم)، كأن يقال إنه (ثالث الحرمين)، أو يطلق عليه اسم (الحرم القدسي)، فضلاً عن أن واقع المسجد الأقصى وتاريخه، يؤكدان أنه ليس بحرم. وهذا يعيدنا إلى ما بدأنا به من العلاقة بين اسم المسجد وحاله، ولماذا تسميته بالمسجد الأقصى؟!

ربما يساعدنا في تقريب الصورة قول المصطفى عليه الصلاة والسلام (عليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية). الذئب المقصود هنا هو الشيطان، الذي يتفرد بالقاصي البعيد عن الحماية، كما يستغل الذئب الحقيقي فرصة انفراد شاة عن القطيع. فهل يريد القرآن أن يقول لنا إن المسجد الأقصى مقارنة بالمسجد الحرام هو الأبعد عن وصف الحرم والحماية، والمعرض على الدوام لخطر الشياطين، واستهداف الذئاب، وهذا ما يتضح من واقع المسجد الأقصى وتاريخه، حيث إنه في أرض ذات موقع استراتيجي، ولذلك فقد كانت فلسطين على الدوام مطمعاً وهدفاً للغزاة والمستعمرين، فضلاً عن أن أهل الكتاب يتذرعون بعلاقة عدد من الأنبياء السابقين بالأقصى وفلسطين، ليغلفوا أطماعهم بدوافع دينية. وهذا يعيدنا إلى افتتاح الآية بقوله تعالى (سيحان) أي تنزهه عن النقص وثبت له الكمال، إذ خلق الشيء ونقيضه، فجعل أحد المسجدين حرماً آمناً، وقدّر أن يكون المسجد الثاني مهدداً بل ومستباحاً في أوقات كثيرة، كما خلق الموت والحياة، والخير والشر

ثانياً: البناء والمساحة والحدود والمعالم

بناء المسجد الأقصى هو ثاني بناء وُضع في الأرض، عن أبي ذر الغفاري، رضي الله تعالى عنه، قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام»، قال: قلت ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة فصله، فإن الفضل فيه». (12)

والأرجح أن أول من بناه هو آدم عليه السلام، اختط حدوده بعد أربعين سنة من إرسائه قواعد البيت الحرام، بأمر من الله تعالى، دون أن يكون قبلهما كنيس ولا كنيسة ولا هيكل ولا معبد. وكما تتابعت عمليات البناء والتعمير على المسجد الحرام، تتابعت على الأقصى المبارك، فقد عمره سيدنا إبراهيم حوالي العام 2000 قبل الميلاد، ثم تولى المهمة أبناؤه إسحاق ويعقوب عليهم السلام من بعده، كما جدد سيدنا سليمان عليه السلام بناءه، حوالي العام 1000 قبل الميلاد. ومع الفتح الإسلامي للقدس عام 636م (الموافق 15 للهجرة)، بنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجامع القبلي، كنواة للمسجد الأقصى وفي عهد الدولة الأموية، بنيت قبة الصخرة، كما أعيد بناء الجامع القبلي، واستغرق هذا كله قرابة 30 عاماً من 66 هجرية / 685 ميلادية - 96 هجرية / 715 ميلادية، ليكتمل بعدها المسجد الأقصى بشكله الحالي.

تبلغ مساحة المسجد الأقصى حوالي 144 دونماً (الدونم = 1000 متر مربع)، ويحتل نحو سدس مساحة القدس المسورة، وهو على شكل مضلع غير منتظم، طول ضلعه الغربي 194م، والشرقي 462م، والشمال 310م، والجنوبي 281م

المسجد الأقصى المبارك هو اسم لكل ما دار حوله السور الواقع في أقصى الزاوية الجنوبية الشرقية من مدينة القدس القديمة المسورة بدورها، ويشمل كلا من قبة الصخرة المشرفة (ذات القبة الذهبية) والموجودة في موقع القلب منه، والجامع القبلي (ذو القبة الرصاصية السوداء) والواقع أقصى جنوبي ناحية «القبلة»، فضلاً عن نحو 200 معلم آخر تقع ضمن حدود الأقصى، ما بين مساجد، ومبان، وقباب، وأسبلة مياه، ومصاطب، وأروقة، ومدارس، وأشجار، ومحارِب، ومنابر، ومآذن، وأبواب، وآبار، ومكتبات. (13)

ويشتمل المبنى على المسجد، في صدر الساحة من جهة القبلة، والمبنى الواقع تحت هذا المسجد والذي اصطُح عليه باسم «الأقصى القديم»، ومسجد قبة الصخرة، والمصلى المرواني، الواقع تحت الجهة الجنوبية الشرقية.

على هذا الأساس، ندرك بشكل واضح أن المساحة القائمة كلها؛ أي حدود ما دار عليه سور الأقصى المبارك، هي جزء لا يتجزأ من الأقصى المبارك، والسور المحيط بهذه المساحة هو جزء لا يتجزأ منها، بمعنى أن السور وكل الأبواب الموجودة في السور جزء لا يتجزأ من الأقصى المبارك، فالسور الغربي على سبيل المثال هو جزء لا يتجزأ من الأقصى المبارك، وحائط البراق الذي يعتبر جزءاً من السور الغربي جزء لا يتجزأ من الأقصى المبارك، ورباط الكرد الذي يعتبر جزءاً من السور الغربي هو جزء لا يتجزأ من الأقصى المبارك، وهكذا كل أبواب السور الغربي كباب المغاربة، وكذلك كل مباني السور الغربي كالمدرسة التنكزية، هذه كلها جزء لا يتجزأ من الأقصى المبارك والساحات الترابية المزروعة بالزيتون والأشجار الحرجية هي جزء لا يتجزأ من الأقصى المبارك، والسبل والقباب والمصاطب والبوائك وبقية المباني هي جزء لا يتجزأ من المسجد الأقصى المبارك. وأهمية بيان هذه المسألة أنها تحدد البقعة التي يُضاعَف أجر الصلاة فيها؛ فمن دخل الأقصى فأدى الصلاة، سواء تحت شجرة من أشجاره، أو قبة من قبابه، أو فوق مصطبة، أو عند رواق، أو في داخل قبة الصخرة، أو الجامع القبلي، فهو كمن أدى خمسمائة صلاة فيما سواه عدا المسجد الحرام والمسجد النبوي.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة) (الطبراني) وبالتالي فإن العلم بهذا وفهمه مقدمة ضرورية لحفظ الأقصى المبارك طاهراً كريماً حراً ولو كره الكافرون، ومن عرف هذه الحقائق سيدرك أن هناك اعتداء صارخاً على الأقصى المبارك إلى هذه اللحظات، منها على سبيل المثال تحويل حائط البراق الذي هو جزء من الأقصى المبارك إلى ما يسمونه اليوم - وهما وتضليلاً - «حائط المبكى» (14)

ثالثاً: القدس في القرآن الكريم

يقول تعالى: «وما فرطنا في الكتاب من شيء» صدق الله العظيم، ومن المتفق عليه أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي ومن المتفق عليه أيضاً، أن المسجد الأقصى كان القبلة الأولى للأمة الإسلامية ونبيها - صلى الله عليه وآله وسلم -، وما دام المسجد الأقصى يتميز بهذه المكانة فقد كان من الطبيعي أن يذكر في القرآن الكريم، صراحة أو كناية في عدة مواضع، وفيما يلي سنحاول رصد هذه المواضع والتوقف عند تلك الآيات الكريمات.

لقد ذكر المسجد الأقصى صراحة في القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك في سورة الإسراء حيث يقول تعالى: (سيحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله). (15) وأول ما نلاحظه في هذه الآية الكريمة؛ أنها خصّت المسجد الأقصى بالبركة في حين اكتفت بذكر المسجد الحرام دون تخصيصه بوصف، على علو منزلته وسمو مكانته، وإن كان ذلك يدل على شيء، فهو إنما يدل على أهمية المسجد الأقصى، ليس فقط في عصر صدر الإسلام، بل إلى أن تقوم الساعة؛ ذلك أن القرآن الكريم معجزة الله الخالدة في الأرض.

كما أننا نلاحظ بوضوح هذا الربط الإلهي الحكيم، بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى لتتم عملية التوأمة الإلهية الأبدية الخالدة، بين هذين المسجدين، ليكتسب كل منهما شرفاً إلى شرفه.

(و سبحانه) الله أيضاً؛ حيث قدر أن يكون المسجد الأقصى مهدداً، ليس عن عجز ولا ضعف - سبحانه - بل عن حكم عظيمة، وآيات باهرة (لنريه من آياتنا)، وهذه الآيات المقصودة تتعلق بالرحلة الأرضية (الإسراء) فضلاً آيات الجزء السماوي من الرحلة (المعراج). وليس كون المسجد الأقصى في دائرة الاستهداف والتهديد بالذي يقلل من أهميته، بل إنه والحالة هذه، مصدر بركة وخير مستقر ينبثق وينطلق منه ليعم الأرض المحيطة به (المسجد الأقصى الذي باركنا حوله)

وأما في بقية الآيات الكريمة التي ذكرت المسجد الأقصى، فقد ورد ذكره كناية لا صراحة، وغالبا ما كان يشير الله تعالى للمسجد الأقصى والديار التي حوله بقوله تعالى «الأرض التي باركنا فيها» أو «الأرض المقدسة» ومن ذلك قوله تعالى: (وأورثنا القوم الذين كانوا يُسضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها) (16) والحديث في هذه الآية عن بني إسرائيل حين خرجوا من مصر إلى بلاد الشام. وأيضاً قوله تعالى: (ونحنينا ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) (17) والضمير في (نحنينا) يعود على إبراهيم - عليه وعلى نبيينا وآله السلام - حيث نزل بفلسطين ونزل لوط عليه السلام بالموتفة وبينهما يوم (حسب كتب التفسير). قال ابن كثير الدمشقي في تفسير هذه الآية الكريمة: «يقول تعالى مخبراً عن إبراهيم إنه سلمه الله من نار قومه وأخرجه من بين أظهرهم مهاجراً إلى بلاد الشام، إلى الأرض المقدسة منها» وقول ابن كثير «إلى الأرض المقدسة منها» يدل بوضوح على أن هجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام كانت إلى جزء من بلاد الشام، وهو ما يسمى الأرض المقدسة، وإن الأرض المقدسة هي بيت المقدس. (18) وقوله تعالى: (ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها). يقول المفسرون أن المقصود بالأرض التي باركنا فيها هي فلسطين وقوله: (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة) (20). والحديث في هذه الآية الكريمة عن أهل سبأ في اليمن، فقد جعل الله تعالى بين اليمن والأرض المباركة وهي بلاد الشام قرى متواصلة.

وقد استدلل علماء التفسير بإجماع، على أن المقصود بالأرض المباركة في هذه الآيات كلها هي أرض فلسطين وما حولها من بلاد الشام، وذلك استناداً إلى الآية التي سبق ذكرها من سورة الإسراء والتي تنص صراحة على أن المسجد الأقصى هو الأرض التي بارك الله ما حولها. إضافة إلى عدة أدلة نقلية وعقلية أخرى، يقول الأستاذ عبد الحميد طهماز، وهو من مدينة حماة السورية: «والأرض التي بارك الله فيها للعالمين هي أرض بلاد الشام، بين ذلك سبحانه في عدد من الآيات الكريمة، منها قوله تعالى: (سبحان الذي أسرى ليلاً بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله)» ويقول أيضاً: «وفلسطين هي أفضل أرض في بلاد الشام، لأن فيها أولى القبلتين المسجد الأقصى ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي الأرض المقدسة التي ذكرها سبحانه في قوله الكريم على لسان نبيه موسى صلى الله عليه وسلم: (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم، ولا تتردوا على أديباركم فتتقلبوا خاسرين). وعندما جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام سأل الله أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر، وهي أرض فلسطين» (21)

رابعاً: القدس في الحديث الشريف

لقد حظيت القدس بنصيب وافر من أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - حتى أننا نلاحظ أن المعنى الواحد يتكرر في عدة أحاديث، مع اختلاف بسيط في الرواية. وهذا التكرار، يدل على أن بيت المقدس، يتمتع بمكانة مرموقة وسامية في العقيدة الإسلامية، وأن له شأنًا عظيمًا عند الله عز وجل ورسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - وفيما يلي نذكر بعض المعاني التي وردت في

الأحاديث الشريفة، والتي تتعلق بالمسجد الأقصى وما حوله، وسنورد حديثاً شريفاً واحداً يتضمن كل معنى من المعاني وذلك تجنباً لإطالة لأننا - كما أسلفنا - نجد المعنى الواحد يرد في أحاديث كثيرة لا يتسع مجال بحثنا لذكرها كلها.

المسجد الأقصى هو ثاني مسجد وضع في الأرض:

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ التَّمِيمِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وَضِعَ أَوَّلَ قَالَ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ ثُمَّ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى قُلْتُ كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا قَالَ أَرْبَعُونَ ثُمَّ قَالَ حَيْثُمَا أَدْرَكْتُكَ الصَّلَاةَ فَصَلِّ وَالْأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ. (22)

بيت المقدس أولى القبلتين:

حَدَّثَنَا عَلْقَمَةُ بْنُ عَمْرٍو الدَّارِمِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَاشٍ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا وَصُرِفَتِ الْقِبْلَةُ إِلَى الْكُعْبَةِ بَعْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ بِشَهْرَيْنِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَكْثَرَ تَقَلُّبٍ وَجْهِهِ فِي السَّمَاءِ وَعَلِمَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَهْوَى الْكُعْبَةَ فَصَعِدَ جَبْرَيْلُ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَّبِعُهُ بَصَرُهُ وَهُوَ يَصْعَدُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَنْظُرُ مَا يَأْتِيهِ بِهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ) (الآية فَأَتَانَا آتٌ فَقَالَ إِنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ صُرِفَتْ إِلَى الْكُعْبَةِ وَقَدْ صَلَّيْنَا رَكَعَتَيْنِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَتَحَنُّنٌ رُكُوعٌ فَتَحَوَّلْنَا فَبَيْنَمَا عَلَى مَا مَضَى مِنْ صَلَاتِنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا جَبْرَيْلُ كَيْفَ حَالُنَا فِي صَلَاتِنَا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ). (23)

المسجد الأقصى أحد ثلاثة مساجد تشد إليهما الرحال:

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَشُدُّ الرَّحَالَ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى. (24)

المسجد الأقصى مسرى نبيينا صلى الله عليه وآله وسلم

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَمَّا كَذَبَنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلَى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفِقْتُ أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظَرُ إِلَيْهِ. (25)

الصلاة فيه مضاعفة الأجر:

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا أَبُو الْخَطَّابِ الدَّمَشْقِيُّ حَدَّثَنَا زُرَيْقُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْهَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ بِصَلَاةٍ وَصَلَاتُهُ فِي مَسْجِدِ الْقِبَالِ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ صَلَاةً وَصَلَاتُهُ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي يُجْمَعُ فِيهِ بِخَمْسِينَ صَلَاةً وَصَلَاتُهُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِخَمْسِينَ أَلْفَ صَلَاةٍ وَصَلَاتُهُ فِي مَسْجِدِي بِخَمْسِينَ أَلْفَ صَلَاةٍ وَصَلَاتُهُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ. (26)

بيت المقدس و طائفة من أمته صلى الله عليه وسلم ظاهرة على الحق:

قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَحَدَّثَ فِي كِتَابِ أَبِي يَحْيَى يَدُهُ حَدَّثَنِي مَهْدِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ الرَّمْلِيُّ حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ عَنْ الشَّيْبَانِيِّ وَاسْمُهُ يَحْيَى بْنُ أَبِي عَمْرٍو عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيِّ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَعَدُوَّهُمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ

مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأَوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَآيَنَ هُمْ قَالَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ (27)

فضل الإهلال منه بعمره

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُصَفَّى الْجُمَيْصِيُّ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَقَ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي سُبَيْانَ عَنْ أُمِّهِ أُمِّ حَكِيمٍ بِنْتِ أُمِّهِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَهَلَ بِعُمْرَةٍ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ كَانَتْ لَهُ كَفَّارَةٌ لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ قَالَتْ فَخَرَجْتُ أَيُّ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِعُمْرَةٍ. (28)

المسجد الأقصى أرض المحشر والمنشر

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّقِّي حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي سَوْدَةَ عَنْ أَخِيهِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي سَوْدَةَ عَنْ مَيْمُونَةَ مَوْلَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَالَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ أَثَرُهُ فَصَلُّوا فِيهِ فَإِنَّ صَلَاةً فِيهِ كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ قُلْتُ أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَحْمَلَ إِلَيْهِ قَالَ فَتَهْدِي لَهْ زَيْتًا يُسْرَجُ فِيهِ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ كَمَنْ أَتَاهُ. (29)

بيت المقدس الملجأ عند البلوى بالبقاء

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ الْحَكَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ بْنُ رِبِيعَةَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَطَاءٍ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ عَنْ ذِي الْأَصَابِعِ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ ابْتُلِينَا بِعَدَاكَ بِالْبَقَاءِ أَتَيْنَ تَأْمُرُنَا قَالَ عَلَيْكَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ فَلَعَلَّه أَنْ يَنْشَأَ لَكَ ذُرِّيَّةٌ يَغْدُونَ إِلَى ذَلِكَ الْمَسْجِدِ وَيَرْوَحُونَ. (30)

خامساً: بيت المقدس منبع بركة بلاد الشام

تعتبر الكتب التي تناولت فضائل المسجد الأقصى من الكتب التاريخية أو كما يقول فؤاد سزكيس «قسماً من التاريخ المحلي» (31) أو كما يعتبرها روزنتال «جزءاً من التاريخ المحلي الديني» (32) ومن هنا فقد «عنيت عناية خاصة بالأحاديث الخاصة بالفضائل المتعارف عليها، ولذلك فقد كانت كتب فضائل البلدان في أول أمرها قليلة الأخبار التاريخية فيها وكثيرة التفاصيل الخاصة بفضائل المدينة. ومن ثم تطورت كتب الفضائل فاتخذت لها منهجاً شبه موحد أساسه الاعتماد على الآيات القرآنية والأحاديث التي يعتبرها جمهور المفسرين تتحدث في فضل بلد معين. فقد وجدنا في القرنين الثالث والرابع للهجرة كتباً كاملة خصصت لفضائل البلدان وتاريخها، جمعت فيها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والروايات المختلفة التي كانت معروفة ومتداولة منذ نهاية القرن الأول للهجرة». (33) وفي مطلع القرن الخامس الهجري وصلت كتب الفضائل إلى غايتها (34)، نذكر منها «فضائل البيت المقدس» لأبي بكر محمد بن أحمد الواسطي التي قرأها في منزله ببيت المقدس سنة 410 هـ على عبد العزيز النصيبى (35)

وبرغم كثرة ما جمع من أحاديث في فضل بيت المقدس في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة، فإن كتب فضائل بيت المقدس أو تاريخها قد تأخرت في الظهور كمصنفات خاصة حتى النصف الثاني من القرن الرابع ومطلع القرن الخامس للهجرة. على أن السبب في تأخير ظهور مؤلفات عن فضائل بيت المقدس يرجع إلى عوامل عدة، لعل أولها هو اختلاف المسلمين فيما بينهم بشأن مكانة بيت المقدس، أضف إلى ذلك، أن مدينة القدس كانت فقدت مكانتها السياسية والعلمية والاجتماعية بعد سقوط دولة بني أمية وإهمال العباسيين لبلاد الشام عامة وبيت المقدس بصفة خاصة. (36) وفي ذلك يقول المقدسي: (وهو كما نعرف من أهل بيت المقدس في القرن الرابع الهجري)

«بيت المقدس قليلة العلماء كثيرة النصارى، الفقيه مهجور والأديب غير مشهود. لا مجلس ولا تدريس، وقد غلب عليها النصارى واليهود وخلا المجلس من الجماعات والمجالس». (37) وإذا كان العلماء والأئمة ينحون إلى تعميم البركة المذكورة في القرآن الكريم على الشام كله فإننا نرى، رغم تأييدنا لهذا التعميم أنه ناتج في نهاية المطاف عن انبعاث شعاع منير من بؤرة إشعاع ثرية، ومن مركز تنوير لا يكل، وهو بيت المقدس إلى أطراف سعدت بهذا الإشعاع، وبهذا النور لفوزها بالجوار المقدسي. إن مجمل ما نقرؤه من آيات القرآن التي استند عليها في الإفصاح عن مكانة الشام إنما يذكر بيت المقدس فحسب، وهي بلا ريب جزء من الشام. (38)

فابن تيمية على سبيل المثال يستدل مثله مثل كثير من المفسرين في استدلاله على بركة بيت المقدس على الآيات الكريمة التي أشرنا إليها آنفاً، رغم أن هذه الآيات واردة في فضل بيت المقدس، ونحن نرى ألا غبار على هذا الاستدلال، فإن فضل بيت المقدس فضل للشام، لكونها جزءاً منها؛ وقد شملت إحدى هذه الآيات على فضل الشام فيما يشبه الصراحة، وهي قوله تعالى: (الذي باركنا حوله)، (39) التي وسعت دلالتها حتى بلغت الشام كله.

إن تفسير هذه الآيات التي استند عليها ابن تيمية باعتبارها نصوصاً في فضل الشام، «إنما يأتي تبعاً لاحتضان الشام لبيت المقدس، إذ جميعها يتحدث في الحقيقة عن بيت المقدس أصالة، وما مقام الشام عامة فيها إلا تبعاً لمقام بيت المقدس.

وليس أدل على هذا المعنى من آية الإسراء التي هي في فضل بيت المقدس خاصة، وما للشام من فضل فيها إلا أنها مما حول المسجد الأقصى فهي بناء على هذا الجوار المقدسي نالت البركة التي جعلها الله حول المسجد الأقصى بقوله تعالى: (الذي باركنا حوله) وهذه الآية، أعني الإسراء، ذكرت عند العلماء رضي الله عنهم كدليل على فضل الشام ما أخفى لدى كثير من الناس لب فضل القدس». (40)

ومن هذا المنطلق نجد أن المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم يتحدث عن عموم بركة بلاد الشام ولا يخص المسجد الأقصى أو بيت المقدس أو حتى فلسطين بميزة معينة، بل يتحدث عن بلاد الشام بشكل عام حيث يقول: «إقليم الشام جليل الشأن، ديار النبيين ومركز الصالحين، ومعدن البدلاء ومطلب الفضلاء، به القبلة الأولى، وموضع المحشر والمسرى، والأرض المقدسة، والرباطات الفاضلة، والثغور الجليلة والجلال الشريفة، ومهاجر إبراهيم وقبره، وديار أيوب وبئر، ومحارب داود وبابه، وعجائب سليمان ومدنه، وتربة إسحق وأمه، ومولد المسيح ومهدده، وقرية طالوت ونهره، ومقتل جالوت وحصنه، وجبّ أرميا وحبسه، ومسجد أوريا وبيته، وقبة محمد وبابه، وصخرة موسى وربوة عيسى ومحارب زكريا ومعرك يحيى، ومشاهد الأنبياء وقرى أيوب، ومنازل يعقوب، والمسجد الأقصى، وجبل زيتا،» (41)

وهكذا نرى أن هذه البركة ليست لأهل تلك الأرض وحدهم بل إنها تشمل العالمين (ونحنينا ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) سورة الأنبياء: 71. والتعبير القرآني الرائع (باركنا حوله) يعد أبلغ تعبير عن قدسية وبركة المسجد الأقصى المبارك، حيث أن البركة حوله تدل على أنه هو في الأصل منبع البركة، ومن كثرة هذه البركة عمت ما حوله كاملاً، ومعظم العلماء على أن البركة تشمل منطقة الشام بشكل عام، على تفاضل بالطبع حسب القرب من المسجد الأقصى المبارك.

سادسا: أسباب بركة بيت المقدس وما حوله من بلاد الشام:

فيما يلي تشير إلى أبرز فضائل بيت المقدس التي جعلته موضع بركة تفيض على ما حوله من ديار وعباد:

- لأنه المسجد الثاني الذي وضع في الأرض بعد المسجد الحرام.
- وهو واحد من المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال.
- والمسجد الأقصى واحد من المساجد الثلاثة التي يعتكف فيها.
- والمسجد الأقصى الصلاة فيه كمثني صلاة وخمسين في الثواب.
- والمسجد الأقصى يرجى لمن صلى فيه أن يخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه .
- والمسجد الأقصى القبلة الأولى للأنبياء جميعا والمسلمين قبل أن ينزل القرآن باستقبال الكعبة.
- والمسجد الأقصى وما حوله من بلاد الشام مهاجر خيار أهل الأرض.
- والمسجد الأقصى وما حوله من بلاد الشام مسكن ، ومحل ملازمة أكثر الأنبياء والرسل.
- والمسجد الأقصى وما حوله من بلاد الشام محل هجمة المشركين على المسلمين.
- والمسجد الأقصى وما حوله من بلاد الشام أرض رباط ورأسا في ثغور المسلمين.
- والمسجد الأقصى وما حوله من بلاد الشام أرض المجاهدين من المرابطين والفاطحيين.
- والمسجد الأقصى منبر دعوة أكثر الأنبياء والرسل.
- والمسجد الأقصى وما حوله من بلاد الشام محل الطائفة المنصورة.
- والمسجد الأقصى محل إسرائ النبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام.
- والمسجد الأقصى صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم إماما في النبیین والمرسلين.
- والمسجد الأقصى محل معراج النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء.
- والمسجد الأقصى وما حوله من بلاد الشام محل اهتمام النبي محمد صلى الله عليه وسلم.
- والمسجد الأقصى شاهد في تاريخه - قديما وحديثا - على عقيدة المسلمين وحالهم - صحة وفسادا.
- والمسجد الأقصى وما حوله من بلاد الشام عقر دار المؤمنين إذا وقعت الفتن.
- والمسجد الأقصى لا يدخله المسيح الدجال.
- والمسجد الأقصى وما حوله من بلاد الشام محل نزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء.
- والمسجد الأقصى وما حوله من بلاد الشام أرض المحشر والمنشر.
- والمسجد الأقصى وما حوله من بلاد الشام محل كثير من أشراط الساعة آخر الزمان.

الهوامش:

1. المفصليات ص 485.
2. جبر، يحيى . معجم البلدان الأردنية والفلسطينية ص 48.
3. الإسرائ؛ الآية 1
4. المسيري، عبد الوهاب، اليهود واليهودية والصهيونية، ط1، دار الشروق، 1999م، ص 124/4.
5. المرجع السابق ص 158/8.
6. ياقوت الحموي، معجم البلدان ص 42.
7. شراب، محمد، معجم بلدان فلسطين، دار المأمون للتراث، دمشق، 1987م، ص 560.
8. انظر معجم سجي، المجلد الثاني ص 1217،
9. سورة الإسرائ، آية 1
10. من كتب التفسير
11. كتب التفسير
12. رواه البخاري.
13. <http://al-aqsa.blogspot.com>
14. www.athagafy.com/Moslum/alaqsa
15. الإسرائ (1)
16. الأعراف: (137)
17. الأنبياء (71)
18. مختصر تفسير ابن كثير، اختصار الشيخ محمد علي الصابوني، (514/2).
19. الأنبياء (81)
20. سبأ (18).
21. طهماز، عبد الحميد . في كتابه سبيل السعادة في سورة طه وكلمة التوحيد وأمة التوحيد في سورة الأنبياء، (68.66)
22. رواه الإمام أحمد في مسنده حديث 20426
23. رواه ابن ماجه في سننه حديث 1000
24. رواه الإمام أبي داود في سننه حديث 1738
25. رواه الإمام البخاري في صحيحه
26. رواه الإمام ابن ماجه في سننه حديث 1403
27. رواه الإمام أحمد في مسنده حديث 21286
28. رواه الإمام ابن ماجه في سننه حديث 2993
29. رواه الإمام ابن ماجه في سننه حديث 1397
30. رواه الإمام أحمد في مسنده حديث 16037
31. فؤاد سزكيس، تاريخ التراث العربي، ج1، ص 339 - 351
32. « History of Muslim Historyography P. 171. Fi Rosen that A. (1968 Leiden)»
33. فؤاد سزكيس، تاريخ التراث العربي، ج1 ص 339 - 351
34. إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ص 39
35. فضائل البيت المقدس (نشر وتحقيق حسون القدسي 1979) ص 2
36. إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ص 40-41
37. المقدسي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص 167.
38. مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، اعتنى بها وخرّج أحاديثها عاصر الجزائر وأنور الباز، (23/27)
39. الإسرائ الآية 1
40. التنشئة، جواد بحر. مكانة بيت المقدس بين نصوص الوحي وحركة الإنسان. مركز دراسات المستقبل، فلسطين-الخليل. ط1، 2006. ص 205 - 207
41. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، لشمس الدين، أبي عبد الله محمد المقدسي، (151).
42. إعداد : هشام بن فهمي العارف، موقع الدعوة السلفية من المسجد الأقصى المبارك <http://www.sahab.net/forums/showthread.php?threadid=3186>

مستقبل المقدسات الإسلامية

أ. عباس نمر

الحمد لله المنان ، منزل البيان ، قاصم الجبارين بكل مكان ، والصلاة والسلام على من أنزل عليه القرآن ، محمد بن عبد الله قاهر المشركين والكفار من فرس ورومان ، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين ، وبعد ..
الشكر كل الشكر للقائمين على هذا المؤتمر القيم ، وكل التحية والتقدير لكل الحاضرين والمحاضرين.

أيها الحفل الكريم ..

إحدى وأربعين سنة ونيف ، ثم تتكرر الغضبة الإسلامية ، مثلة في ورثة بني عثمان ، حيث وقف اردوغان ، رئيس الوزراء التركي معارضاً رئيس إسرائيل ، ومفتداً مزاعمه حول فلسطين ، وشعب فلسطين ، في مؤتمر دافوس ، حيث رفضت حميته الإسلامية الأباطيل والأضاليل التي نفثها شمعون بيرس في ذلك المؤتمر

إنها الحمية الإسلامية أيضا التي دفعت سفير تركيا في إسرائيل - من قبل - وذلك عام النكسة 1967م للثورة على قصف الجيش الإسرائيلي للمسجد الأقصى ومسجد الصخرة المشرفة بقنابل المورتر ، فأصيبت القباب والأبواب ، ودمرت مئذنة باب الأسباط ، ورفع العلم الإسرائيلي فوق المسجد الأقصى بأمر من الكولونيل مردخاي غور ، أحد قادة الجيش الإسرائيلي

وقال السفير التركي - وهو على ساحات المسجد الأقصى وأمام أهالي القدس عندما شاهد العلم الإسرائيلي والدمار الذي حصل من قنابل المورتر والتي هي أكثر من ثلاثين قذيفة - نظر إلى السماء رافعاً يديه ثم قال : « إذا لم ينزل العلم الإسرائيلي فوراً ستقطع العلاقات ، وهذا صرح إسلامي مقدس لدى كل المسلمين » مما اضطر وزير دفاع إسرائيل موشي ديان ، آنذاك إلى الاعتذار ، وإلى إنزال العلم الإسرائيلي حفاظاً على العلاقات مع تركيا

أليس ذلك مؤشراً من المؤشرات الواضحة على مستقبل المقدسات الإسلامية ؟ ... إنها الحمية الإسلامية ؟

وعلى أن الغلبة للحق ، لا للقوة مهما تمادى المتمادون ومهما زعم الزاعمون
وها هي جامعة النجاح الوطنية تؤكد على ذلك باستمرارها في عقد هذه المؤتمرات حول مستقبل المقدسات الإسلامية في القدس

والمؤتمر العاشر الذي يعقد الآن يثبت مدى إيمان هذه الجامعة الوطنية وتمسكها بحقيقة المستقبل الزاهر الذي ينتظر القدس ومقدساتها على أيدي أحفاد الناصر صلاح الدين ... ولكنكم تستعجلون.

أيها الحفل الكريم ..

إن المحتل الإسرائيلي أساء ومازال مستمراً في الإساءة إلى مقدساتنا الإسلامية ، وبتغيير المعالم التي يتوهم أنها سوف تتيح له فرض الأمر الواقع الذي يريده ، ومن ذلك ما نشاهده ونسمعه كل يوم من إضرار بالمسجد الأقصى المبارك ، واعتداءات على أساساته وتدنيس لباحاته ، فنحن لا ننسى إحراقه والاستيلاء على مفاتيح باب المغاربة ، وما أن تنتهي إسرائيل من حفر نفق تحت المسجد الأقصى ، حتى تعلن نيتها إقامة نفق آخر أو أنفاق ، إضافة إلى ما تدعيه زوراً من حقها في كثير

من الأماكن الإسلامية المقدسة
وفي ظل الواقع الصعب الذي تعيشه المدينة المقدسة ، فإن شهية المحتل مستعرة ، لأجل إزالة كل المعالم المقدسة بمعالٍ يهودية مزيفة

إن التاريخ لم يعرف صراعاً على مدينة من المدن ، كما هو الصراع على مدينة القدس ، لأن القدس بعمقها التاريخي ورمزها الديني تفتح آفاق الآخرين ليجربوا حظهم في مدينة ترفض أن تكون لهم ، وأن الحقائق لا تحتاج إلى برهان ، والقضية ليست بالادعاء ولكن بصدق الانتماء ، فالسابق لمن صدق لا لمن سبق ، فماذا ننتظر من قوم ساءت صفاتهم ، وتكاثرت أوهامهم ، ولم يكونوا في يوم من الأيام عامل بناء ، بل معول هدم وإفساد لبيوت الله والمدارس وقلع الأشجار ، وما غرة عنا ببعيد وليس ذلك فحسب ، بل إن هناك **مساجد قد دمرت مباشرة بعد حرب عام 1967م** " بعد النكسة " كما حدث لمساجد داخل السور في القدس في حارة المغاربة مثل :

1. مسجد الأفضل ومعه المدرسة الأفضلية
2. مسجد ومقام الشيخ عبيد
3. جامع البراق والذي قال عنه يوم تدميره قائد سلاح الهندسة في جيش الاحتلال آنذاك إيتان بن موشيه حيث قال : كان في باحة البراق على مسافة عدة أمتار منها مسجد فرس محمد " الذي كان يسمى أيضاً مسجد البراق " حيث كان حصان محمد قد صعد منه إلى السماء إن كان الحصان قد صعد للسماء فلماذا لا يصعد المسجد أيضاً ؟ وقمت بطحنه بشكل جيد جداً بحيث لم يبق له أثر يذكر

وهناك **مساجد حولت إلى كنس** ، مثل :

1. مسجد وزاوية النبي داود خارج السور
2. مسجد بلال بن رباح « مسجد القبة » في بيت لحم .

وهناك **مساجد قسمت على غرار المسجد الإبراهيمي في الخليل** ، مثل :

1. مسجد النبي صمويل ، الذي أعلن جيش الاحتلال منذ عشر سنوات أن المسجد منطقة عسكرية مغلقة ، ولا يقام فيه إلا صلاة الظهر والعصر بصعوبة ، أما صلاة الجمعة فتقام باستمرار رغم معاناة المصلين

وهناك أيضاً **مساجد ألغيت فيها الصلاة** مثل :

1. مسجد القلعة في باب الخليل
 2. مسجد الشيخ حسن في باب الخليل
 3. مسجد الحريري في حارة الأرمن
 4. مسجد الديسي في حارة الشرف
- وهناك مساجد منع فيها رفع الأذان وأخرى على الطريق خصوصاً المساجد القريبة من المستوطنات والمستوطنين داخل القدس وخارجها

أيها الحفل الكريم

الاعتداءات على المقدسات كثيرة ...

فإلى متى تستمر هذه الاستفزازات ؟

وإلى متى سيبقى الناس مختلفين ومتخلفين ؟

ألا يدفع كل ذلك المسلمين والعرب والفلسطينيين الى نبذ الفرقة ، والتمسك بالوحدة لحماية الأعراس والأوطان والمقدسات ؟!

وأخيراً لن يصلح مال هذه الأمة ، ولن تخرج من عزلتها وتخلفها وضعفها إل يعودتها إلى قيمها النبيلة وأخلاقها الأصيلة وعاداتها الجميلة ، وبوحدتها وتتألف قلوب الغيورين على مصالحها ، وبإعداد العدة وإخلاص النية ، فقد قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » فالحق الذي نملكه ، بحاجة إلى قوة تحميه ، فلا يفل الحديد إلا الحديد ، ولا يأتي بالنصر إلا الصبر وشد الأزر ، وإبقاء شعلة الإباء والحرية في نفوس أبناء هذه الأمة المجيدة ، التي يصدق عليها قول الشاعر :

بلاد مات فتيتها لتجيا وزالوا دون قومهم ليقوا

وحررت الشعوب على قناها فكيف على قناها تستترف

« والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

والله أسأل أن يحفظ بلادنا من كيد الكائدين وأطماع المعتدين وأن يهيء الأسباب لتحرير فلسطين .

ويوفقنا الله جميعاً الى ما فيه خير هذا الوطن العزيز لما يحبه ويرضاه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الواقع العمراني والحفريات حول الحرم القدسي الشريف والآثار الاسلامية عامة حول الأقصى

الأستاذة صباح سليمان الصباح

جامعة القدس المفتوحة

المقدمة :

إن التوصيات والأنظمة التي يجب على الحكومة التي تحتل قطراً من الأقطار التابعة لحكومة أخرى أن تتبعها هي التوصيات والقرارات والمبادئ الدولية التي أقرها المؤتمر الدولي الذي عقد في (هاغ سنة 1954) حول الحفر والتنقيب في الآثار في المناطق التي تحتلها أية دولة والتوصيات والقرارات والمبادئ التي أقرها المؤتمر نفسه في جلسته التاسعة في نيودلهي في كانون أول 1956 م

إن على الحكومة المعادية لها إن تسترجع جميع الآثار التي تم اكتشافها إلى الحكومة التي تم الاعتداء عليها ولا يجوز للحكومة التي تحتل أي بلد غير بلدها أن تنقل أي أثر تعثر عليه إلا تحت مراقبة المدير العام للمنظمة الدولية المعروفة باليونسكو أو من ينوب عنه إلا أن سلطات الاحتلال اتخذت عدة قرارات ونفذت عدة مشاريع تتعلق بالآثار مناقضة لقرارات التي اتخذت لذلك فقد حطمت مقبرة مأمّن الله الاسلامية تحطيماً كاملاً حتى انه لم يبق من قبور المسلمين فيها سوى ما يقرب من الثمن والباقي ازلتها وبنيت مكانها مباني ووحدات منافع صحية وحدائق عامة وطرق ومواقف السيارات منها المجاري العامة من هنا تم طمس معها أي أثر من معالم العروبة والإسلام ووجودها في هذه المدينة المقدسة مع ان مساحة المقبرة تزيد على 134 دونم

وفي بيان إلى الرأي العام العربية والإسلامي بشأن المسجد الأقصى المبارك صادر عن الهيئة الاسلامية العليا بالقدس جاء فيه مايلي :

لقد بدأت التحرشات بالحرم القدسي الشريف منذ بداية الاحتلال لمدينة القدس ، وكان التمهيد لذلك بالمباشرة فوراً بهدم المنازل والمساجد والزوايا في حارة المغاربة منذ اليوم الأول للاحتلال وإزالة تلك المباني وبخاصة تلك التي تلاصق السور الغربي للحرم الشريف حيث الساحة التي تعرف باسم ساحة المبكى ، وبعضها يعتبر من الأبنية الواقعة داخل السور المذكور كأبنية الزاوية الفخرية الواقعة في القسم الجنوبي الغربي من ساحة المسجد الأقصى المبارك ، بالإضافة إلى تحطيم الباب الرئيس للمسجد الأقصى والأقواس والنوافذ الحصية فوق مداخل الأقصى التي أزيلت بفعل قنابل حرب حزيران سنة 1967 وما تبع ذلك من أعمال الحفريات التي جرت وما زالت تجري في المنطقة التي تقع جنوبي المسجد الأقصى والواقعة غربي السور ، وتحت الأبنية والمدارس والزوايا التاريخية بمحاذاة سور المسجد الأقصى الغربي من الجنوب إلى أقصى الشمال ، والتي أثرت على تلك المباني فارتجت أساساتها وتصدع بنيانها وأصبحت آيلة إلى السقوط كما حدث في المدرسة الجوهريّة وعمارة رباط الكرد والتكرية وغيرها من الأبنية الاسلامية الأثرية التي تعود تاريخها للعهد الأموي وما تبعه من الحضارة العباسية والفاطمية والمملوكية في المنطقة الجنوبية إلى العهد المملوكي والتركي من الناحية الغربية

تلك الأبنية التي تعتبر من أهم المعالم الحضارية لمدينة القدس ، أبرزت الوجه الإسلامي لهذه المدينة ، والتي يحاولون منذ الاحتلال تغيير طابعها وإضفاء وجه آخر عليها وفرض واقع جديد وملامح غير إسلامية عليها

ونعود إلى الموضوع الخطير ، موضوع المسجد الأقصى المبارك وما تعرض له من اعتداءات مباشرة تثبت بوضوح ما يبين له ومل يخطط من أجل الاستيلاء عليه تمهيدا للحلم القديم الجديد الذي يداعب أفكار اليهود وهو إزالة الأقصى وبناء الهيكل على أنقاضه

لقد تكررت الاعتداءات على المسجد الأقصى المبارك ، حتى أصبحت كأنها برنامج يومي ، إنها مسلسل متصل بعضها يبدو عاديا والبعض الآخر يعكس تصميمات وتخطيطات ولعل أبرز ما يوضح الهدف النهائي هو الحوادث التالية :

1. بتاريخ 15-8-1967م قام حاخام الجيش الإسرائيلي آنذاك المدعو شلومو غورن يرافقه حوالي عشرين ضابطا بالصلاة في ساحة المسجد الأقصى المبارك وقد استمرت صلاتهم حوالي ساعتين وأعلن بعدها انه سيحضر يوم السبت بتاريخ 24-8-1967م لإقامة صلاة أخرى في الساحة الواقعة بين المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة وأعلنت صحيفة جروساليم بوست آنذاك إن لدى الحاخام غورن مشروع بإقامة كنيس في الساحة المذكورة
2. بعد إعلان ضم القدس العربية في 27 حزيران سنة 1967م ، عقد في القدس اجتماع لحاخامي اليهود في العالم ، ناقش فيه موضوع القدس وطالب الحضور بإعادة بناء الهيكل فكان جواب وزير الأديان آنذاك (الدكتور زيرح فارها فتك) (انه لا يناقش احد في إن الهدف النهائي لنا هو إقامة الهيكل ، ولكن الأوان لم يحن بعد وعندما يحين الموعد لا بد من حدوث زلزال يهدم الأقصى وبنني الهيكل على أنقاضه)
3. لقد استولى الجيش الإسرائيلي على مفتاح باب المغاربة (احد الأبواب الرئيسية للحرم القدسي في 31-8-1976م
4. إحراق المسجد الأقصى بتاريخ 21-8-1969م وأتت النار على المنبر العظيم (منبر صلاح الدين ، كما أتت على جزء مهم من الناحية الجنوبية للمسجد الأقصى المبارك) وقد أصدرت القاضية الإسرائيلية المدعوة (روث) سنة 1976م بان لليهود الحق في الصلاة في المسجد الأقصى ، وكان الرد على القرار من المسلمين مجازر وأحداث في تلك الفترة
5. في أول شهر 1980م تم اكتشاف من الجانب الإسرائيلي على متفجرات وقنابل وأسلحة على سطح احد المعابد اليهودية التي اعيدت بعد سنة 1967م والقريبة من الحرم القدسي وكان الهدف من ذلك نسف المسجد الأقصى من قبل المتطرفين اليهود وبناء الهيكل على أنقاضه. ويعتبر اليهود المتطرفون أن يوم 9-8-1981م هو ذكرى خراب الهيكل ووصول اليهود إلى النفق المغلق من فترة زمنية والعمل على فتحه من جديد يعتبر اعتداء على المقدسات الإسلامية وخطيرا على ساحاته ومنشآته. وقد حاولت الهيئة الإسلامية الوصول إلى موقع العمل للاطلاع على حقيقة ما يجري ولن السلطات المعنية حالت دون ذلك وأخذت تماطل لأسباب واهية وان الهيئة الإسلامية إذ تعلن ذلك لا يمكنها أن تقف مكتوفة الأيدي ، وهي في الوقت نفسه تعمل على مجابهة العمليات التي تجري بما يكفل المحافظة على المسجد وسوف تواصل اطلاع الرأي العام على كل ما يجد من خطوات والتفافا حول المسجد العظيم وتعبيرا عن قلق العرب والمسلمين على هذا العبث الإسرائيلي ، فإنها

تدعو المواطنين في الداخل والخارج إلى الإضراب العام يوم الخميس بتاريخ 3-9-1981م تعبيرا عن تمسكهم بمسجدهم العظيم ، والدفاع عنه بكل غال ونفيس

قال تعالى (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون). صدق الله العظيم.

كانت بعثة أثرية انكليزية - فرنسية قد قامت بين سنتي 1961-1967م بالحفر والتنقيب في تلك المنطقة إلا انه لم يسمح لا من قبل المسئولين بأي حفر ملاصق لجدار المسجد الأقصى ، ولا بد من الإشارة إلى ما ذكره البروفيسور لآب مدير المدرسة الأمريكية للأثار الشرقية بالقدس (إن اليهود الأرثوذكس المعروفين ب السفراديم يعارضون أيضا هذه الحفريات إلا أن الادون بيرام المدير الإسرائيلي غير مكترث أو مبال باعتراض المسلمين ولا باعتراض الأرثوذكس من بني قومه زاعما أن حق إصدار الإذن بالحفر في تلك المنطقة في أية منطقة غيرها من المناطق الداخلية في حدود القدس العربية كلها (منطقة أثرية) وانه لا يجوز القيام بأي حفر أو تنقيب فيها إلا بإذن منه ويضيف البروفيسور لآب إن الحفر والتنقيب الذي يجري في لصق الجدار القبلي والغربي للحرم الشريف يقوم به حوالي عشرين عاملا من العمال الاسرائيلين بالا جره وآخرون متطوعون وشبان من طلاب الجامعة العبرية وآخرون ليست لديهم إيه مؤهلات أثرية تبرر استخدامهم مثل هذا العمل

ويؤكد البروفيسور لآب أن الحفر الذي يجري هنا مناقض لجميع التواصي والمبادئ التي أقرتها المواثيق الدولية ولا سيما القرارين المذكورين سابقا هذا فضلا انه يجري ضده إرادة أصحاب الحق الشرعي في ارض الوقف الإسلامي لصحق جدار أقدس مكان إسلامي حول الحرم القدسي الشريف الذي بات مهددا في خطر الانهيار بسبب هذه الحفريات العميقة إلى جانب الخطر الذي يتهدد التاريخ الإسلامي بطمس المعالم الإسلامية

الحفريات الإسرائيلية حول المسجد الأقصى المبارك التي تمت منذ سنة 1967م لغاية الآن وما نتج بشأنها :

منذ الاحتلال الإسرائيلي للقدس سنة 1967م بدأت تجري أعمال الحفريات حول المسجد الأقصى في جهتين الأولى الغربية والثانية الجنوبية

أ - الحفريات في الجهة الغربية :

بدأت أمام حائط البراق حيث تم في البداية هدم وإزالة حارة المغاربة (وتم تخفيض منسوب الساحة أمام حائط المبكى حوالي 3 أمتار) وتشرف على هذه الحفريات وزارة الأديان الإسرائيلية وبعد إنها هذا العمل بدأت عملية تعزيل الأبنية القديمة أسفل المدرسة التنكرية التي احتلتها قوات الاحتلال وتم تنظيف كل الغرف والأنفاق السفلية وأصبح بالإمكان الوصول إلى نقطة تقع أسفل باب السلسلة حيث يوجد هناك قوس يسمى قوس ولسن ، بعد ذلك اتخذت الحفريات شكل نفق كنقف المناجم يسير بموازة السور الغربي للحرم الشريف ويخترق الآبار وتربة أساسات الأبنية التاريخية الملاصقة للحرم الشريف من الجهة الغربية ، وهدف هذه الحفريات الكشف على المداميك السفلية للحائط الغربي من الحرم الشريف والتي يدعون أنها تعود إلى ما يسمى بالعصر اليهودي أو إلى بناء الهيكل

وقد بدأت آثار هذه الحفريات تظهر تدريجيا العمل في النفق المتجهة شمالا فبدت التصدعات والشروخ تظهر على المباني الواحد تلو الآخر وفي البداية هبطت أرضية رباط الكرد وتصعد بناؤها كما تصدعت جدران المدرسة الجوهريّة المتاخمة لرباط الكرد ، وقد تم إغلاق بئر المدرسة العثمانية وأدى

تحويل ماز ريب المطر إلى مكان تصريف آخر غير البئر إن هبوط في أرضية ركن من أركان المدرسة وسقوط احد الأقواس الحاملة كما تم إغلاق جامع المدرسة الذي امتلاً بالأنقاض المرفوعة إليه من داخل النفق

والى اليوم لا زالت هذه المباني التاريخية تحمل نتائج هذه الحفريات فالصقائل الحديدية والدعامات الخرسانية التي شوهت هذه المباني أصبحت عاملاً لا يمكن الاستغناء عنه للإبقاء على هذه المباني ومن المعلوم إن الذين يقومون بهذه الحفريات ليست لديهم ادني المؤهلات العلمية المطلوبة كما أنهم يرفعون شعارات دينية متطرفة ، وجل همهم هو كشف ما يدعون انه آثار الهيكل الثاني دون أدنى اكرتار لوضعية المباني الأخرى وسلامتها أو سلامة ساكنيها

ولقد كشف النقاب مؤخرًا وعلى لسان ((شيلانسكي)) وزير الدولة في مكتب رئاسة الوزراء أثناء حديثه بخصوص بئر قايتباي ، أن حاخام حائط المبكى يملك صلاحيات واسعة بهذا الشأن مصدق عليها من الكنيسة وهي تنص على انه يحق له الانطلاق من أمر بتجفيف مياه البئر قايتباي وهدم الحائط الغربي والنفاد من خلالها إلى أسفل ساحات المسجد الأقصى فان هذا العمل حسب ادعائه هو من ضمن صلاحياته المنوه عنها

إن الحفريات التي تتم في هذا الجانب في من اخطر الأمور التي تعرض سلامة الأقصى والمباني المجاورة للأخطار وهم تتم بدون اطلاق أي احد ، وان المطالبة بوقفها واجب المسؤولين ، وعليهم إتباع سياسة النفس الطويل في التنديد بها وعمل كل ما يمكن لإيقافها لا أن تكون استنكاراتهم متزامنة فقط مع النتائج السلبية التي تظهرين فترة أخرى

ب - الحفريات في الجهة الجنوبية :

تشرف على هذه الحفريات بعثة آثار إسرائيلية بدعم من الجامعة العبرية ومؤسسات صهيونية أخرى ومع إن أهداف هذه البعثة مقنعة بالعلم والآثار إلا أنها تركز على ما يمكن أن يعود إلى فترة حكم اليهود وضعية الهيكل وتبقى آثار الفترات الأخرى في الظل مع العلم إن نتائج الحفريات أظهرت آثاراً هامة للفترات الأخرى مقابل الفترة البيزنطية والأهم في الفترة الإسلامية حيث أظهرت أساسات عدة مباني وقصور تحيط بالأقصى من جهة الزاوية الجنوبية الغربية والجهة الجنوبية بأكملها خلال العمل في هذه الحفريات فقد اكتشفت آثار وأنفاق تستمر إلى داخل المنطقة من أسفل ساحات الأقصى في الجهة الجنوبية ، وتم إغلاقها جميعها وهذه الأماكن هي :

1. أسفل أرضية الأسطبلات
2. أسفل الباب الثلاثي
3. إلى الغرب قليلاً من الباب الثلاثي
4. أسفل المدرسة الخنثنية

5. تم اكتشاف مجموعة من الآبار المتصلة أسفل الحفريات التي تمت تحت جزء الأعمار ولدى النزول فيها تبين إن هذه الآبار متصلة بآبار خارج سور الحرم الشريف الجنوبي ، وإن هذه الآبار قد دخلتها بعثة الآثار الإسرائيلية التي تجري الحفريات خارج سور الحرم الجنوبي وتم إغلاقها في حينه في نقطتين الأولى أسفل الحائط الجنوبي للأقصى والثانية المدرسة الخنثنية الأماكن الحساسة التي يمكن النفاذ من خلالها :

الجهة الجنوبية :

1. الأنفاق المذكورة والتي تم إغلاقها إلا أنها تحتاج إلى مراقبة مستمرة لئلا يعاد فتحها

2. إسطبلات سليمان
3. إنفاق الباب الثلاثي المتصلة بإسطبلات سليمان
4. المدرسة الخنثنية والأقصى القديمة

الجهة الغربية :

1. المنطقة خلف المتحف الإسلامي ، وهي مغلقة من قبل الجيش كمنطقة أمنية ، وقد تم في الماضي تحرير جزء منها وضمه إلى المتحف الإسلامي وبقي الجزء الملاصق لباب المغاربة والذي يحاول مكتب المهندس المقيم تعميره وضمه أيضاً للمتحف الإسلامي باعتباره جزءاً لا يتجزأ من الحرم الشريف
2. جامع البراق : ويقع أسفل الرواق الغربي على يمين باب المغاربة وهو مهجور ومهمل ، ومن الثابت انه يغلق باباً قديماً اكتشفه احد الأثريين وسمي باسمه ويدعي باب ((بار كلي)) إن جامع البراق هو جزء من هذا الممر بينما جرى تحويل الجزء التالي له إلى بئر ماء بني عليه سبيل يقع في مواجهة باب المغاربة
3. قايتباي : وقد تم فتحه من قبل السلطة الدينية وجرى تفرغ من المياه وكانوا بصدد الحفر في واجهته الشرقية التي تقع أسفل سبيل قايتباي عندما تم اكتشاف ذلك وتم إغلاقه ولغاية الآن فقد كان التسلسل من خلالها إلى أسفل ساحات الحرم هي المحاولة الأخيرة في سلسلة المحاولات وليس آخرها طبعاً إلا إنها أخطرها
4. جامع المدرسة العثمانية وهو مغلق من قبل السلطة الدينية
5. المدرسة التنكرية والتي يسيطر عليها ألان الجيش الإسرائيلي
6. الزاوية الشمالية الغربية للحرم ، حيث يوجد نفق يؤدي إلى البركة المزدوجة (توين بول) وهذا النفق يمتد تحت السور الغربي إلى النقطة ما تقع أسفل دائرة الأوقاف
7. البئر الثلاثي الذي يقع أسفل أروقة دائرة الأوقاف

ج - الجهة الشمالية :

موقف سيارات الأوقاف : وهو مؤسس على طمم يغطي بركة واسعة قديمة ، ويتصل بهذه البركة نفقان يتجهان غرباً أسفل المباني الواقعة إلى الغرب من هذه البركة ، وقد علمت حديثاً إن مشروعا مسمى ((مشروع تحسين واعمار منطقة باب الأسباط)) أعدته البلدية اليهودية للقدس قد قدم لدائرة الأوقاف رغم الديباجة الذكية في عرض هذا الموضوع من حيث كونه مشروعا يحسن مدخل الحرم إلا أنها تركز حول إحياء هذه البركة

د - الجهة الشرقية :

حيث توجد مقبرة إسلامية وقد تقف هذه المقبرة عائقا ألان إلا انه ونظرا للإهمال الشديد والفوضى الشاملة فيها وانعدام وجود الحراسة والأسوار يمكن في المستقبل وفي الوقت المناسب تقديم مشروع آخر لبلدية القدس كبناء طريق مشاه تخترقها وبذلك تتم السيطرة على جميع جوانب الحرم ويقع في هذه الجهة بالذات الباب الذهبي وهو مغلق ومهمل أيضاً ولا زلت اذكر كلمة لتيدي كوليك يقول فيها انه في الوقت المناسب سيجري فتح هذا الباب التاريخي وتعميره

نية سلطات الاحتلال كما هو واضح في الحفريات ما يلي :

1. السيطرة على المناطق التي تحيط بالحرم ويتم ذلك عن طريق :
- الحفريات الأثرية ذات القناع العلمي

- الحفريات الأثرية ذات الأغراض الدينية
- الاستيلاء على الأبنية والمناطق بحجج أمنية
- الاستيلاء على المدارس والبيوت بحجج قانونية وإدارية
- الاستيلاء على المناطق بواسطة ما يسمى بالمشاريع التطويرية

2. إيجاد موطن قدم في الحرم الشريف ويتم ذلك عن طريق :

- النفاذ والتسلل عبر الحفريات إلى أية أنفاق أو أبنية تحت ساحات الحرم الشريف
- المحاولات المستمرة لصلاة
- السيطرة على مناطق وأبواب

• من وسائل دفع الخطر وتتم ذلك بواسطة :

1. العمل على توقيف الحفريات وتكثيف الحملات ضدها وخصوصا الحفريات في الجانب الغربي
2. المطالبة بالإشراف على المنطقة جنوبي المسجد الأقصى المسماة بأرض الخاتونية حيث أنها وقف إسلامي وهي حاليا يجري تحويلها إلى حديقة أثرية
3. تعمير وإصلاح واستعمال جميع المناطق والساحات والأنفاق والمباني والآبار الموجودة في الحرم الشريف
4. تشديد الرقابة والحراسة
5. تكثيف النشاطات وإحياء المناسبات وحلقات المناقشة والبحث وعمل كل ما من شأنه أن يساعد على استمرار التواجد الديني واستمرار تواجد المسلمين ورجال الدين وطلاب العلم في أبنية وساحات الحرم الشريف

• التصدي للحفريات من قبل الهيئة الإسلامية :

قامت هيئة مؤلفة من سماحة الشيخ سعد الدين العلمي والسيد عارف العارف والسيد محمد اسحق درويش والسيد الحاج فؤاد عبد الهادي والمهندس محمد نسيبة وحسن طهيبوب بزيارة مكان الحفريات الواقعة تحت المدرسة التنكزية وذلك في 27 من الشهر خمسة في عام 1970م وكان بانتظارهم هناك حاخام مسؤول عن الحفريات في تلك المنطقة وهو ماير يهودا غيتس ومدير دائرة الأماكن المقدسة بوزارة الأديان الحاخام ضيوف برلا ومن هناك وجد إن الحفريات تقع تحت أقواس قديمة مبنية من الحجارة وإن العمل الذي يجري هو إزالة الردم الواقع تحت تلك الأقواس وأرضية الحفر تقع على مستوى أرضية ساحة المبكى ، من هنا جاء تقدير الهيئة أن أعمال الحفر والتنقيب والتفريغ تشمل الطابق الأرضي لا للمدرسة التنكزية فحسب بل للمباني المجاورة للمدرسة المذكورة من الغرب إلى مسافة لا تقل عن مائة مترا ، وقد اتضح للهيئة أيضا إن النية متجهة إلى الاستمرار بالعمل محاولة للوصول إلى أقصى الجدار الغربي للحرم الشريف من الناحية الشمالية حتى باب الغوانمة كما تبين للجنة أن هناك فتحة كان العالم الأثري البريطاني قد فتحها قبل مائة عام وهي محاذية للسور وتقع إلى الشمال من الطابق الأرضي للتنكزية وقد أظهر عمقها أن هناك أربعة عشر مدمكا من نفس طراز حجارة السور وهو أعمق مدمكا واقع على الصخر وهنا تم إقامة كنيس عليها

الاحتجاجات التي تطلب بوقف أعمال الحفر من أسبابها التالية :

1. إن هذا الحفر يجري حول الحرم القدسي الشريف الذي من شأنه أن يغير معالم المدينة المقدسة ويؤثر على تراثنا الحضاري والعمراني ويهدد هذا التراث بالزوال مما يخالف حقنا الطبيعي في الاعتزاز بتراثنا والحفاظ عليه
2. أن هذا الحفر ضار كل الضرر بمصلحة الأوقاف الإسلامية بشكل خاص لأن جميع المباني القائمة فوق مكان الحفر تابعة للوقف ولها صبغة تاريخية وقيمة أثرية ترتبط بالفن المعماري الإسلامي كما ترتبط بتاريخ المسجد الأقصى نفسه ، هذا المكان ذو الدلالة العميقة في قدسيته كما ورد في القرآن الكريم وإن كل مبنى من المباني القائمة فوق مكان الحفر كان فيما مضى مدرسة علم ومنار هدى ونقى للعروبة والإسلام الإنسانية
3. إن الحفر الذي تقوم به وزارة الأديان هناك ضار كل الضرر بمصلحة السكان للرحيل عن بلدتهم ومنازلهم وكلهم من العائلة الإسلامية القديمة القدس منذ أقدم العصور مثل ال أبو سعود وال الخالدي وال الشهابي والبديري والخطيب والعفيفي وهداية والفتياني والقطب وغيرهم
4. إن التصميم الذي نلاحظه على هذه الحفريات يعطينا الانطباع الكافي بأن هناك نوايا أبعد مدى تجاه مقدساتنا الإسلامية في المنطقة التي يجري العمل فيها ولهذا فإن الهيئة الإسلامية لا يسعها إلا أن تعود مرة أخرى فتكرر احتجاجاتها السابقة وقيام وزارة الأديان بشأن 72 منزلا والواقعة على الناحية الغربية من سور الحرم الشريف والإصرار لوزارة الأديان على هدمها وتطلب من سلطات الاحتلال الإسرائيلي وقف كل عمل من أعمال الحفر القائمة على محاذاة الحرم القدسي وفي أي مكان من مدينة القدس وإعادة الوضع إلى مكان عليه وذلك للأسباب المتقدمة وأهمها حقنا الطبيعي في المحافظة على تراثنا الحضاري وقرارت الأمم المتحدة ومجلس الأمن التي تحرم القيام بأي عمل لتغيير الأوضاع والمعالم في القدس الشريف

الحفريات تهدد المقدسات الإسلامية :

كما زلنا نطالب بوقف الحفريات أعمالهم مخالفة للأصول المرعية والقوانين والاتفاقات الدولية حيث أن :

- الحفريات تمت دون استئذاننا
- معالم لعهد بيت المقدس الثاني
- قصر للخلفاء الأمويين
- اكتشافات إسلامية هامة
- الحفريات تجري في ملك إسلامي
- أضرارها أكثر من فوائدها
- المسلمون طالبوا بوقفها مرارا

وفي جريدة البشير في تاريخ 4-3-1972م نشر أن إذاعة راديو إسرائيل صرحة بتصريحاً لبنيامين مازار رئيس البعثة التنقيب الأثرية في المنطقة المتاخمة للسور قال فيه أن هذه الحفريات تم تمويها من قبل جمعيات أجنبية والجامعة العبرية والوكالة اليهودية وأكاديمية العلوم ووزارة المعارف والثقافة في إسرائيل

الحفريات بجانب الأقصى (الهيئة الإسلامية تناشد اليونسكو إيقافها) :

في تموز 1973 م أصدرت الهيئة الإسلامية بيانا احتجت فيه على الحفريات بجوار المسجد الأقصى المبارك من هنا فقد شط الخيال ببعض الصحف ان سمحت لنفسها بالتصريح وحب الاستطلاع ما دعت به بالفضول ببعض المسؤولين بان يقوموا ببعض الحفريات داخل الأقصى، ومن هنا اعترضوا أعضاء الهيئة الإسلامية عند زيارة الموقع الحفريات واطلعوا على ما يجري وتم الاعتراض على الحفريات التي تجري في ارض وقفية ودون الحصول على موافقة أصحابها وقد أصدرت الهيئة الإسلامية بناء على تقرير أعضائها الذين زاروا الموقع احتجاجا على هذه الحفريات وطلبت التوقف منها كما احتجت على رفض الحفريات

وأنها تخالف القوانين الدولية وقرارات ومؤتمرات واطلعت ممثل اليونسكو على جميع هذه الاحتجاجات. على كلا هذه الحفريات تجري حول الحرم الشريف أو في أي مكان آخر وتؤكد إن في استمرار هذه الحفريات تغيير المعالم وإزالة لآثار، وطمس للمدينة وقضاء على حضارة ومخالفة لجميع القوانين الدولية والتواصي الصادرة عن مؤتمرات اليونسكو وقراراتها وتطالب المسؤولين بالتوقف عنها وتطالب من جميع المؤسسات الدولية وبشكل خاص من منظمة اليونسكو إن تضع حدا لهذه الأعمال وفي منطقة المسجد الأقصى المبارك وجميع أنحاء الضفة وباقي المناطق العربية المحتلة تمشيا مع أبسط القواعد والتواصي والقوانين الدولية

تقرير المهندسين :

في يوم 7-4-1974م قامت لجنة هندسية عربية بتقديم تقرير على الحفريات ذكرت فيه ما يلي :

1. أن هناك تشققات مختلفة ظاهرة في المبنى بعضها قديم ناتج عن البناء وهي تشققات مختلفة ظاهرة في المبنى الجدار الشرقي للأبنية المدرسة الجوهريّة
2. كما لوحظت تشققات في الجدار الساند الواقع في مدخل رباط الكرد الواقع إلى الشرق من المدرسة الجوهريّة وتدل هذه التشققات على وجود هبوط في أساس هذا الجدار الاستنادي
3. رفض السلطات المسؤولية التعاون مع السلطات الوقفية في إعطاء المعلومات اللازمة في هذا النفق ورفض تقديم المخططات تفصيلية إلى المهندس المقيم

العمل على تغيير باب المغاربة :

في عام 1978م جاء عن سماحة المحتسب (الشيخ حلمي المحتسب) رئيس الهيئة الإسلامية ورئيس مجلس الأوقاف والشؤون الإسلامية في تلك الفترة قام بإرسال برقية إلى السلطات المعنية التي تقوم بمحاولات تغيير معالم باب المغاربة أحد أبواب المسجد الحرام الشريف وذكر سماحته في هذه البرقية أن الجيش باشر في الاعتداء على حرمة المسجد الأقصى المبارك محاولا التغيير في باب المغاربة وطالب بوقف الجيش عن العمل وإعادة كل شيء إلى ما كان عليه لان المسجد الأقصى هو مسجدا ولا نسمح بالاعتداء عليه او تغيير معالمه ولكن فوجئ الشيخ إن رجال الجيش احضروا عمالا للقيام بالعمل في باب المغاربة فطلبت منهم التوقف عن العمل ولم يتمكن من ذلك ثم طالب الجيش والشرطة وقف العمل في هذا المكان العائد للمسلمين باعتبار أن المسجد الأقصى مسجد إسلامي وهذا الباب هو أحد الأبواب الرئيسية للحرم القدسي ولكنهم لم يتوقفوا ، مع العلم أن مجلس الأوقاف الإسلامية كان قد طلب السماح بإجراء إصلاحات ضرورية في باب المغاربة إلا أن السلطات منعتهم من القيام بذلك

محاولة تغيير البئر إلى كنس :

حينما بني عبد الملك بن مروان مسجد الصخرة والأقصى عمل على تنظيم جميع الساحات أبار لري زوار الأقصى وأهل القدس وحينما بني أحد الأبار في الناحية الغربية من الساحات وجد بابا في السور الغربي فأغلقه واحكم إغلاقه وجعل على ذلك سبيلا ومتوضاً من هنا حفر اليهود نفقا غربا سور المسجد واكتشفوا ذلك الباب هدموا قسما منه ووجدوا بداخله بئرا سحبا المياه من البئر وأزالوا الأحجار التي تسد الباب ودخلوا إلى داخل البئر بعد ما أزالوا جميع مياهه

أعلنت وزارة الأديان أنها اكتشفت نفقا يمتد من الناحية الغربية من السور باتجاه قبة الصخرة شرقا واتخذت ذلك المكان كنيسة وان هذا الاكتشاف أهم لدى إسرائيل من تدمير المفاعل النووي بالعراق ، حيث إعلان يوم 3-9-1981م إضراب عام في الضفة الغربية وقطاع غزة احتجاجا على هذا العمل الإجرامي على ذلك

الأماكن المستهدفة من قبل الحفريات الاسرائيلية وهي ثلاثة :

1. مغارة منحوتة في الصخرة تقع ملاصقة للباب الثلاثي والى الجنوب منه ، وقد ظهر في حوائطها المقصورة حديثا ضربات فؤوس في أماكن متفرقة وهي عبارة عن جسات لاكتشاف أي منفذ ، ثم حفرة في وسط أرضية المغارة تكشف عن قناة قديمة ممتدة شمالا أسفل الاصطبلات تتجه جنوب أسفل أرضية المغارة وهي في حدود 70 * 60 سم تقريبا وقد ثبت ان هذا الموقع قد استهدف من قبل المعتدين
2. فتحة مغطاة بحديد حماية تقع أسفل الدرجات التي تصل إلى الباب المزدوج المغلق وقد تم خلع حديد الحماية وهذه الفتحة تفضي إلى نفق قصير ممتد شرقا غربا إلا أن امتداده إلى الغرب لا يتجاوز الستة أمتار وينتهي بالصخر المصمت
3. نفق يمتد أسفل مستوى المدرسة الخاتونية وهو مغلق في نهايته أيضا

أما من حيث محاولة التسلل فإنني أرجو أن أبين ما يلي :

- إذا كان الهدف من العبث في بعض الأنفاق الموجودة في موقع الحفريات هو التسلل الى داخل الحرم كما دعت العصاة اليهودية الإرهابية التي قامت بالمحاولة ، فان ذلك من الناحية العملية لم يكن ممكنا إذا كان عامل السرعة رئيسيا في مخططهم حيث ان مثل هذه العملية تتطلب حفريات شاقة وفي أماكن ضيقة وتتطلب وقتا طويلا

- لذلك فان الاحتمالات ترجح ان المحاولة كانت وضع المتفجرات في أركان مختلفة أسفل المسجد الأقصى المبارك ويؤيد ذلك

الى ان عملية وضع المتفجرات قد نفذت في مساجد أخرى وجرت محاولة لذلك في الطريق المؤدية إلى باب المجلس

وكذلك ان الموعد كان كل ليلة الجمعة أي بعدها سيكون يوم الجمعة وصلاة الجمعة أو قد يكون الهدف هو تفجير المكان واستغلال الهرج والمرج للدخول والتمركز في الساحات وخصوصا وان قسما منهم من أفراد الجيش

وعلى كل الأحوال فانه حسب رأيي إن الاستفادة الوحيد من هذه الإجراءات هي السلطة المحتلة التي تتعزز مكانتها أكثر وأكثر بعد كل عملية او محاولة اعتداء

مراحل الحفريات سابقا :

المرحلة الأولى :

وقد بدئ بها في أواخر 1967م وتمت سنة 1968م وقد جرت على امتداد (70) مترا من أسفل الحائط الجنوبي للحرم الإسلامي القدسي خلف قسم من جنوب المسجد الأقصى وأبنية جامع النساء والمتحف الإسلامي والمئذنة الفخرية الملاصقة له ، ووصل عمق هذه الحفريات الى 14 مترا ، وهي تشكل باستمرار ، ومع مرور الوقت ، عامل خطر يهدد بإحداث تصدعات لهذا الحائط والأبنية الدينية والحضارية والأثرية الملاصقة له

المرحلة الثانية :

وقد تمت سنة 1969م ، وقد جرت على امتداد (80) مترا آخر من سور الحرم الإسلامي القدسي ، مبتدئه حيث انتهت المرحلة الأولى ، ومتجهة شمالا حتى وصلت أحد أبواب الحرم الشريف المسمى (باب المغاربة) ، مارة تحت مجموعة من الأبنية الإسلامية الدينية التابعة للزاوية الفخرية (مركز الإمام الشافعي) وعددها (14) صدعتها جميعها وتسببت في إزالتها بالجرافات الإسرائيلية في سنة 1969م وإجلاء سكانها ، (ملاحظة التاريخ يعيد نفسه)

لفت انتباهي مبنى B:

هو البرج الثاني الذي أشار إليه تشارلز وارن في عام 1884 وهو من ضمن استحكامات مدينة القدس وأساس هذا البرج مبني على الصخر وبعض أجزاء الحائط مثبت بالجص وقد أشار وارن أيضا إلى الوضع المتهترئ لهذا البرج وحيطانه وقد ألفت هذا البرج من تحصينات القدس في العهد البيزنطي أيضا حيث إن البيزنطيين بنوا فوقه. وقد أشارت كاثلين كينيون إلى هذا البرج وذكرت أن البناة الفنيقيين قد ساهموا في بئانه اعتمادا على نوع النحت في الحجارة.

حفريات الأنفاق :

منذ عام 1967 قامت حكومة دولة الاحتلال عبر وزارة بحفريات على الحد الغربي للحرم الشريف وتحت الأبنية التاريخية فيه ، وما إن حل عام 1985 حتى انتهت حفرياتها إن طول الحد الغربي للحرم الشريف هو 488 مترا وتم الكشف 80 بالمئة من نفق يجري بموازة هذا الحد على يد الحفريات مازار

وكان علماء الآثار البريطانيون من بينهم تشارلز ولسون (1864) وتشارلز وارن (1867-1870) قد اكتشفوا أجزاء من هذا النفق إلا أنهم لم يعرفوا أهميته. وقد اعتقد وارن في حينه أن الممر الذي يجري من الشرق إلى الغرب تحت باب السلسلة هو معبر سري وخاص للملك هيرودوس يمر به منطلقا من قصره.

هناك جسر معلق بأقواس إلى الناحية الشرقية ، إلا أن التعمير الجدي جاء بعد صلاح الدين وبالتحديد أيام المماليك حيث أقاموا سلسلة من الأقواس في منطقة باب السلسلة وعلى طول الحد الغربي لباحة الحرم وإلى جانب القاعات تحت باب السلسلة هناك بركة للمياه لم يحدد تاريخ إنشائها ولكن على الأغلب أنها أنشئت في عهد الأيوبيين وفي القاعدة هناك أحجار يتراوح طولها بين 3,5 - 12,50 مترا وبعضها يصل وزنه إلى 370 طنا وتاريخ هذه الأحجار يعود لعهد هيرودوس حيث أنها مبنية دون استعمال اسمنت أو أي مادة لاصقة ، وقد تم هدم هذه المنشآت على

يد الإمبراطور الروماني تيتوس عام 70 م . باتجاه الشمال وعبر المسار الرئيسي على حد تعبير دان بهات هناك خزان للمياه ، ولقد تبدل استعمال هذا الخزان حتى أنه استعمل كبوابة لباحة الحرم باتجاه الشمال خزان آخر للمياه يعود لأيام المماليك ، وبعد ذلك يصبح النفق ضيقا ، والآثار الموجودة تدل على أن الحجارة هي من من عهد هيرودوس هناك خزنان آخران باتجاه الشمال ويضيق النفق في هذا المكان وبدلا من أن تكون حجارة مشيدة من الناحيتين فمن الواضح أن النفق قد حفر في الصخر

وكانت قلعة مشيدة عند الجزء الشمالي الغربي لباحة الحرم إلا أنها هدمت في عهد هيرودوس أما تحت التلة في المنطقة الشمالية الغربية لباحة الحرم فالنفق يستمر أجزاء منه محفور في الصخر والأجزاء الأخرى مشيدة بالحجارة

باتجاه الشمال هناك خزان آخر للمياه يعود تاريخه للعهد البيزنطي أسفل المدرسة المنجية النفق مشيد بالحجارة وليس محفورا في الصخر ، وباتجاه الشمال هناك باب حديدي ثم يتسع النفق ويتضح أن سقفه مشيد بالحجارة تميل إلى الناحية الشرقية وينتهي النفق بوجود سلم يحمي التلة في الشمال الغربي بعرض 50 متر وبطول 150 - 200 مترا ، أما العمق فهو 18 مترا

إلى الغرب من هذه المنطقة يوجد سلم يؤدي إلى تقاطع الطريق بين باب الغوانمة ، وطريق الآلام ، وقد حاولت السلطات فتح ممر في عام 1988م إلا أنه وقع نزاع مع المواطنين العرب وتم إغلاق الفتحة إلى الشمال من خزان المياه هناك حائط شيد ببناء مبنى راهبات صهيون في عام 1870 كأساس للمبنى ولمنع دخول أي شخص إلى المنطقة المبنى من النفق

المحتويات

الصفحة	الموضوع
3	1- كلمات الافتتاح
7	2- اسرائيل أنهت الخطط المحلية وبدأت في تنفيذ الخطة الاستراتيجية .. د. ابراهيم القني
18	3- الإرث العربي المسيحي في القدس .. د. جمال خضر
26	4- نحو مكتبة رقمية لتراث القدس .. د. احمد السعيد
28	5- مستقبل القدس الشرقية وفق الرؤية الإسرائيلية .. أ. عليان الهندي
52	6- الخزر لا بنو إسرائيل العاصمة (إتل) لا القدس الشريف .. أ. غسان بدران
59	7- بيت المقدس في العهد الإسلامي .. أ. اميمه الخرشا
78	8- خصائص العمارة والزخرفة الإسلامية في بيت المقدس .. د. حسن نعيير
96	9- مكانة القدس الدينية .. د. محمد الشريده
104	10- استشراف مستقبل القدس وشروط حمايتها .. أ. زهير الدبعي
114	11- الواقع واستشراف المستقبل في شعر عبد القادر الحسيني وترسله .. د. فيصل غواده
136	12- المسجد الأقصى في الزمان والمكان والسنة والقرآن .. د. يحيى جبر
148	13- مستقبل المقدسات الإسلامية .. أ. عباس نمر
151	14- الواقع العمراني والحفريات حول الحرم القدسي الشريف والآثار الإسلامية عامة حول الأقصى .. أ. صباح الصباح

المراجع :

المراجع العربية :

1. الحفريات الإسرائيلية حول المسجد الأقصى ومسجد الصخرة المشرفة
2. إعداد - روجي الخطيب
- اعتداءات على المسجد الأقصى المبارك وما حوله بيت المقدس ، (1992)
- إدارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية العامة - القدس
3. الهيئة الإسلامية العليا 1967-1984 م
- سماحة الشيخ سعد بن العلي العلمي
4. الطبعة الأولى - القدس

المراجع الأجنبية :

- Bahat , Dan ,
Carta s Historical Atlas of Jerusalem , Jerusalem
Bahat , Dan ,
- Ariel, Jerusalem No, 84 / 1991
The Western Wall Tunnels
Ben Dov , Meir,
- In the shadow of Temple Keter Publishing House , Jerusalem 1982.
Ben Dov , Meir,
The western wall , Jerusalem 1981
- Encyclopaedia of Archaeological Excavations in the Holy land Jerusalem 1979,
-Mazar , Benjamin
- The Mountain of the lord New york 1975
Mazar , Benjamin and Eilat , Qedem , Monogeph of the Institute of Archaeology
The Hebrew University 29 . Jerusalem 1989 .
Yadin , Jerusalem Revealed .
- I. E. S. Jerusalem 1976.
- Biblical Archaeological Review
- Benjamin Mazar; Excavation Near Temple Mount Reveal Splendors of Herodian
Jerusalem .



كلية الآداب - جامعة النجاح الوطنية
مكتبة جامعة النجاح الوطنية



NL271092

www.najah.edu